أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضي الإمام العلامة

ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر

البيضاوي

القسم الرابع

يقيمون فيها وقيل هو بُطنان الجنّة وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ عطفٌ على المرفوع في جزء ١٣
يدخلون وانّما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعولٌ معه والمعنى أنّه يلحق بهم من صلح من اهلهم ركوع ٩
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعًا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على انّ الدرجة تعلو بالشفاعة او أنّ
الموصوفين بتلك الصفات يُقْرَن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنّة زيادةً في أُنْسهم
وفي التقييد بالصلاح دلالةٌ على انّ مجرّد الانساب لا ينفع وَٱلْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ من
ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتُّحَف قائلين (٢٤) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بشارة بدوام السلامة بِمَا صَبَرْتُمْ
متعلّق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فانّ الخبر فاصل والباء للسببيّة او
البدليّة فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ وقرئ فَنَعْمَ بفتح النون والاصلُ نَعِمَ فسكّن العين بنقل حركتها الى الفاء
وبغيره (٢٥) وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ يعنى مُقابلي الاوّلين مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ من بعد ما اوثقوه به من
الاقرار والقبول وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بالظلم وتهييج الفتن أُولٰئِكَ لَهُمُ
ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ عذاب جهنّم او سوء عاقبة الدنيا لانّه في مقابلة عقبى الدار (٢٦) ٱللَّهُ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ يوسّعه ويضيّقه وَفَرِحُوا اى اهل مكّة بِٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا بما بسط لهم في الدنيا
وَمَا ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ في جنب الآخرة إِلَّا مَتَاعٌ الّا متعة لا تدوم كعُجالة الراكب وزاد الراعى
والمعنى انّهم أَشِروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغترّوا بما هو في
جنبه نَزْر قليل النفع سريع الزوال (٢٧) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ ركوع ١٠
مَنْ يَشَآءُ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ اقبل الى الحقّ ورجع عن العناد
وهو جواب يجرى مجرى التعجّب من قولهم كانّه قال قُل لهم ما اعظمَ عنادكم انّ اللّه يضلّ من يشاء
ممّن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كلّ آية ويهدى اليه من اناب بما جئتُ به بل
بأدنى منه من الآيات (٢٨) ٱلَّذِينَ آمَنُوا بدل من مَنْ او خبر مبتدإ محذوف وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ
أُنسا به واعتمادا عليه ورجاءً منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالّة
على وجوده ووحدانيّته او بكلامه يعنى القران الّذى هو اقوى المعجزات أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ
تسكن اليه ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مبتدأٌ خبرُه طُوبَى لَهُمْ وهو فُعْلَى من الطيب قلبت ياؤه
واوا لضمّة ما قبلها مصدر لطاب كبُشْرَى وزُلْفَى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وَحُسْنَ مَآبٍ
بالنصب (٢٩) كَذٰلِكَ مثلَ ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا تقدّمتها أُمَمٌ
أُرسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليهم لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لتقرأ عليهم الكتاب الّذى
اوحيناه اليك وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمٰنِ وحالهم انّهم يكفرون بالبليغ الرحمة الّذى احاطت بهم نعمته

جزء ۱۳ وسعت كلّ شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الّذي
ركوع ۱۰ هو مناط المنافع الدينيّة والدنيويّة عليهم وقيل نزلت في مشركي مكّة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن
فقالوا وما الرحمن قُلْ هُوَ رَبِّي اى الرحمن خالقي ومتولّي امرى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لا مستحقّ للعبادة سواه عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ في نصرتي عليكم وَإِلَيْهِ مَتَابِ مرجعي ومرجعكم (۳۰) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ شرط
حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القران او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو انّ كتابا
زعزعت به الجبال عن مقارّها أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ تصدّعت من خشية اللّه عند قراءته او شقّقت
فجعلت انهارا وعيونا أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ فتسمع فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانّه
الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله تعالى ولو انّنا نزّلنا اليهم
الملائكة الآية وقيل انّ قريشا قالوا يا محمّد إِنْ سرّك ان نتّبعك فسيّر بقرانك الجبال عن مكّة حتّى
تتّسع لنا فنتّخذ فيها بساتين وقطائع او سخّر لنا به الريح لنركبها ونتّجر الى الشأم او ابعث لنا به
قصيّ بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلّمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل
الجواب مقدّم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض ، وتذكير كُلِّمَ خاصّة لاشتمال الموتى
على المذكّر الحقيقيّ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا بل للّه القدرة على كلّ شيء وهو إضراب عمّا تضمّنه لَوْ من
معنى النفي اى بل اللّه قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الّا انّ ارادته لم تتعلّق بذلك لعلمه
بانّه لا تلين له شكيمتهم ويؤيّد ذلك قوله أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم
وذهب اكثرهم الى انّ معناه افلم يعلم لما روى انّ عليّا وابن عبّاس وجماعة من الصحابة والتابعين
قرءوا افلم يتبيّن وهو تفسيره وانّما استعمل اليأس بمعنى العلم لانّه مسبّب عن العلم فانّ المأيوس عنه
لا يكون الّا معلوما ولذلك علّقه بقوله أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا فانّ معناه نفي هُدَى
بعض الناس لعدم تعلّق المشيئة باهتدائهم وهو على الاوّل متعلّق بمحذوف تقديره افلم ييأس الّذين
آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء اللّه لهدى الناس جميعا او بآمنوا (۳۱) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا من الكفر وسوء الاعمال قَارِعَةٌ داهية تقرعهم وتقلقلهم أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ فيفزعون
منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفّار مكّة فانّهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول اللّه صلعم
فانّه عم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحلّ
خطابا للرسول صلعم فانّه حلّ بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ الموت او
ركوع ۱۱ القيامة او فتح مكّة إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ لامتناع الكذب في كلامه (۳۲) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن
قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تسلية لرسول اللّه ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه ، والاملاء ان يترك
ملاوة من الزمان في دعة وأمن ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ اى عقابي ايّاهم (۳۳) أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ
كُلِّ نَفْسٍ رقيب عليها بِمَا كَسَبَتْ من خير او شرّ لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء

من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ استيناف او عطف على جزء ١٣
كسبت ان جعلت ما مصدريّة او لم يوحّدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه ركوع ١١
على انّه المستحقّ للعبادة وقوله قُلْ سَمُّوهُمْ تنبيه على انّ هؤلاء الشركاء لا يستحقّونها والمعنى صفوهم
فانظروا هل لهم ما يستحقّون به العبادة ويستأهلون الشركة أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بل اتنبّئونه وقرئ تُنْبِئُونَهُ
بالتخفيف بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ بشركاء يستحقّون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقّونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكلّ شيء أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ ٱلْقَوْلِ ام تسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير
حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجيّ كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه
بالاعجاز بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ تمويههم فتخيّلوا اباطيل ثمّ خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم
وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ سبيل الحقّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وَصَدُّوا بالفتح اى وصدّوا
الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصدٌّ بالتنوين وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ يخذله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يوفّقه للهدى
(٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصايب وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ
لشدّته ودوامه وَمَا لَهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ من عذابه او من رحمته مِنْ وَاقٍ حافظ (٣٥) مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ
ٱلْمُتَّقُونَ صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم
مثلُ الجنّة وقيل خبره تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ على طريقة قولك صفةُ زيد أَسْمَرُ او على حذف موصوف
اى مثلُ الجنّة جنّةٌ تجرى من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد
المحذوف من الصلة أُكُلُهَا دَائِمٌ لا ينقطع ثمرها وَظِلُّهَا اى وظلّها كذلك لا يُنْسَخ كما ينسخ فى الدنيا
بالشمس تِلْكَ اى الجنّة الموصوفة عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مآلهم ومنتهى امرهم وَعُقْبَى ٱلْكَافِرِينَ ٱلنَّارُ لا غير
وفى ترتيب النظمين إطماعٌ للمتّقين واقناطٌ للكافرين (٣٦) وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامّتهم فانّهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم
وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ يعنى كفرتهم الّذين تحزّبوا على رسول اللّه صلعم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه
والسيّد والعاقب واشياعهما مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرّفوه منها
قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللّٰهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ جواب للمنكرين اى قل لهم انّى امرت فيما انزل الىّ بأن اعبد
اللّهَ واوحّده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره وامّا ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس
ببدع مخالفةُ الشرائع والكتب الالهيّة فى جزئيّات الاحكام ، وقرئ وَلَا أُشْرِكُ بالرفع على الاستيناف
إِلَيْهِ أَدْعُو لا الى غيره وَإِلَيْهِ مَآبِ واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتّفق عليه بين
الانبياء وامّا ما عدا ذلك من التفاريع فممّا يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه

جزء ۱۳ (۳۷) وَكَذٰلِكَ ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المُجْمَع عليها أَنزَلْنٰهُ حُكْمًا يحكم فى
رکوع ۱۱ القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عَرَبِيًّا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمُ ٱلَّتِى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حُوّلت
عنها بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ بنسخ ذلك مَا لَكَ مِنَ ٱللّٰهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ينصرك ويمنع العقاب عنك
رکوع ۱۲ وهو حسمٌ لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (۳۸) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ بَشَرا مثلك
وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً نساء واولادا كما هى لك وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ وما صحّ له ولم يكن فى وسعه
أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ تقترح عليه وحكم يلتمس منه إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ فانّه الملىّ بذلك لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ
لكلّ وقت وأمد حُكْمٌ يُكْتَب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم (۳۹) يَمْحُوا ٱللّٰهُ مَا يَشَآءُ ينسخ ما
يستصوب نَسْخَه وَيُثْبِتُ ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيّآت التائب ويثبت الحسنات مكانها
وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلّق به جزاء ويترك غيره مُثْبَتا او يثبت ما رآه وحده فى صميم
قلبه وقيل يمحو قرْنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات ، وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائىّ وَيُثَبِّتُ بالتشديد وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من
كائن الّا وهو مكتوب فيه (۴۰) وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ وكيفما دارت الحال اريناك
بعض ما اوعدناهم او توفّيناك قبله فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ لا غير وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ للمجازاة لا عليك فلا
تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانّا فاعلون له وهذا طلائعه (۴۱) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ
ارض الكفرة نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا بما نفتحه على المسلمين منها وَٱللّٰهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ لا رادّ له وحقيقته
الّذى يعقّب الشىء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحقّ معقّب لانّه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انّه
حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ، ومحلّ لا مع المنفىّ النصب على
الحال اى يحكم نافذا حكمه وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ فيحاسبهم عمّا قليل فى الآخرة بعد ما عذّبهم بالقتل
والاجلاء فى الدنيا (۴۲) وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ بأنبيائهم والمؤمنين منهم فَلِلّٰهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا اذ لا
يُؤْبَه بمكر دون مكره فانّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ فيُعِدّ جزاءها
وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المُعَدّ لهم وهم فى غفلة منه وهذا
كالتفسير لمكر اللّه بهم واللام تدلّ على انّ المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما فى الاضافة الى الدار كما
عرفت ، وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ٱلْكَافِرُ على ارادة الجنس وقرئ ٱلْكَٰفِرُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱلْكُفْرُ اى
اهله وَسَيَعْلَمُ من اعلمه اذا اخبره (۴۳) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قيل المراد بهم رؤساء اليهود

قُلْ كَفَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ فانّه أَظْهَرَ من الادلّة على رسالتى ما يُغْنِى عن شاهد يشهد عليها جزء ١٣
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ علم القران وما أُلّف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام ركوع ١٢
واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو اللّه اى كفى بالّذى يستحقّ العبادة وبالّذى لا يعلم ما فى
اللوح الّا هو شهيدا بيننا فيُخْزِى الكاذب منّا ويؤيّده قراءةُ من قرأ وَمِنْ عِنْدِهِ بالكسر وعلم الكتاب
على الاوّل مرتفع بالظرف فانّه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعيّن
على الثانى وقرئ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ على الحرف والبناء للمفعول ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة الرعد
أُعْطِى من الاجر عشر حسنات بوزن كلّ سحاب مضى وكلّ سحاب يكون الى يوم القيامة وبُعث
يوم القيامة من الموفين بعهد اللّه •

سُورَةُ إِبْرٰهِيمَ

مكّيّة وآيها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓر كِتَابٌ اى هو كتاب أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ بدعائك ايّاهم الى ما تضمّنه مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ من ركوع ١٣
انواع الضلال إِلَى ٱلنُّورِ الى الهدى بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الّذى هو تسهيل
الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله إِلَى صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ بدل من قوله الى
النور بتكرير العامل او استيناف على انّه جواب لمن يسأل عنه ، واضافة الصراط الى اللّه امّا لانّه مقصده
او المُظْهِر له ، وتخصيص الوصفين للتنبيه على انّه لا يذلّ سالكه ولا يخيب سابله (٢) ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُ
مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او اللّه خبرُ مبتدا محذوف والّذى
صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانّه كالعَلَم لاختصاصه بالمعبود على الحقّ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور ، والويل نقيض الوأل
وهو النجاة وأصلُه النصب لانّه مصدر الّا انّه لم يُشتقّ منه فِعْل لكنّه رفع لافادة الثبات (٣) ٱلَّذِينَ
يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ يختارونها عليها فانّ المختار للشىء يطلب من نفسه ان يكون
احبّ اليها من غيره وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بتعويق الناس عن الايمان وقرئ وَيُصِدُّونَ من أَصدّه
وهو منقول من صَدَّ صُدُودًا اذا تنكّب وليس فصيحا لانّ فى صَدَّهُ مندوحةً عن تكلّف التعدية
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحقّ ليقدحوا فيه فحُذف الجارّ وأُوصل الفعل الى الضمير ،
والموصول بصلته يحتمل الجرّ صفةً للكافرين والنصبَ على الذمّ والرفعَ عليه او على انّه مبتدأ خبره أُولٰئِكَ

جزء ١٣ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ اى ضلّوا عن الحقّ ووقعوا عنه بمراحل والبُعْد فى الحقيقة للضالّ فوُصف به فعله للمبالغة
ركوع ١٣ او للامر الّذى به الضلال فوصف به لملابسته (٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الّا بلغة قومه
الّذى هو منهم وبُعث فيهم لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثمّ ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانّهم اولى الناس اليه بأن يدعوهم واحقّ بأن ينذرهم ولذلك أُمر النبىّ صلعم بانذار عشيرته اوّلا ولو
نُزّل على من بُعث الى امم مختلفة كُتُبٌ على السنتهم استقلّ ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادّى الى اختلاف
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلّم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعّبة منها وما فى اتعاب القرائح
وكدّ النفوس من القُرَب المقتضية لجزيل الثواب ، وقرئ بِلِسْنِ وهو لغة فيه كرِيش ورِيَاش ولُسْنٍ
بضمّتين وضمّة وسكون على الجمع كعُمُد وعُمْد ، وقيل الضمير فى قومه لمحمّد صلعم وانّ اللّه تعالى انزل
الكتب كلّها بالعربيّة ثمّ ترجمها جبريل او كلّ نبىّ بلغة المُنْزَل عليهم وذلك ليس بصحيح يردّه قوله
ليبيّن لهم فانّه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبيّن للعرب فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ
فيخذله عن الايمان وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالتوفيق له وَهُوَ الْعَزِيزُ فلا يُغْلَب على مشيئته الْحَكِيمُ الّذى
لا يُضِلّ ولا يهدى الّا لحكمة (٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بمعنى اى اخرج لانّ فى الارسال معنى القول او بأن اخرج فانّ صِيَغ الافعال
سواء فى الدلالة على المصدر فيصحّ ان توصل بها أنِ الناصبة وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ بوقائعه الّتى وقعت على
الامم الدارجة وايّامُ العرب حروبُها وقيل بنعمائه وبلائه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ يصبر على
بلائه ويشكر على نعمائه فانّه اذا سمع بما أُنزل على من قبله من البلاء وأُفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبّه
لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكلّ مؤمن وانّما عبّر عنهم بذلك تنبيها على انّ الصبر
والشكر عنوان المؤمن (٦) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
اى اذكروا نعمته عليكم وقت انجائه ايّاكم ويجوز ان ينتصب بعليكم إن جُعلت مستقرّة غير صلة
للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطيّة دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة اللّه بدل الاشتمال
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ احوال من آل فرعون او من ضمير
المخاطَبين ، والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانّه مفسّر بالتذبيح والقتل ثَمّ
ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو إمّا جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقّة وَفِي ذَلِكُمْ
من حيث انّه باقدار اللّه ايّاهم وامهالهم فيه بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة
ركوع ١٤ الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ايضا من كلام موسى وتأذّن بمعنى آذن كتوعّد
واوعد غير انّه ابلغ لما فى التفعّل من معنى التكلّف والمبالغة لَئِنْ شَكَرْتُمْ يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم
من الانجاء وغيره بالايمان والعمل لَأَزِيدَنَّكُمْ نعمة الى نعمة وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ ما انعمت عليكم إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

فلعلّی اعذّبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرّح بالوعد ويعرّض بالوعيد جزء ۱۳
والجملة مقول قول مقدّر او مفعول تأذّن على انّه جارٍ مجرى قال لانّه ضربٌ منه (۸) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا رکوع ۱۴
أَنْتُمْ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا من الثقلين فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عن شكركم حَمِيدٌ مستحق للحمد فی ذاته محمود يحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرّات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الّا انفسكم حيث حرمتموها مزيدَ الانعام وعرّضتموها للعذاب الشديد (۹) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ من كلام موسى او كلامٌ مبتدأ من اللّه (۱۰) وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جملة وقعت اعتراضا او الّذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انّهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الّا اللّه ولذلك قال ابن مسعود كذب النسّابون جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ فعضّوها غيظا ممّا جاءت به الرسل كقوله تعالى عضّوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجّبا منه او استهزاءً عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انّا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردّوها فی افواه الانبياء يمنعونهم من التكلّم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردّوا ايادى الانبياء الّتی هی مواعظهم وما اوحى اليهم من الحِكَم والشرائع فی افواههم لانّهم اذا كذّبوها ولم يقبلوها فكانّهم ردّوها الى حيث جاءت منه وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ على زعمكم وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ من الايمان ، وقرئ تَدْعُونَّا بالادغام مُرِيبٍ موقع فی الريبة او ذی ريبة وهی قلق النفس وأن لا تطمئنّ الى الشیء (۱۱) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ أُدخلت همزة الانكار على الظرف لانّ الكلام فی المشكوك فيه لا فی الشكّ اى انّما ندعوكم الى اللّه وهو لا يحتمل الشكّ لكثرة الادلّة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقولهم فَاطِرِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وهو صفة او بدل ، وشكّ مرتفع بالظرف يَدْعُوكُمْ الى الايمان ببعثه ايّانا لِيَغْفِرَ لَكُمْ او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنی على اقامة المفعول له مقام المفعول به مِنْ ذُنُوبِكُمْ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فانّ الاسلام يجبّه دون المظالم وقيل جیء بمن فی خطاب الكفرة دون المؤمنين فی جميع القران تفرقةً بين الخطابين ولعلّ المعنى فيه انّ المغفرة حيث جاءت فی خطاب الكفّار مرتّبةٌ على الايمان وحيث جاءت فی خطاب المؤمنين مشفوعةٌ بالطاعة والتجنّب عن المعاصی ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى الى وقت سمّاه اللّه وجعله آخرَ اعماركم (۱۲) قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا فضل لكم علينا فلِمَ تُخصّون بالنبوّة دوننا ولو شاء اللّه ان يبعث الى البشر رسلا لَبعث من جنس افضل تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا بهذه الدعوى فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ يدلّ على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزيّة او على صحّة ادّعائكم النبوّة كانّهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البيّنات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنّتا ولجاجا

(۱۳) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ سلّموا مشاركتهم جزء ۱۳
فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوّة فضل اللّه ومنّه عليهم ، وفيه دليل على انّ النبوّة عطائيّة رکوع ۱۴
وانّ ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة اللّه تعالى وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ (۱۴) إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ
اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبدّ به استطاعتنا حتّى نأتى بما اقترحتموه وانّما هو امر يتعلّق
بمشيئة اللّه فيخصّ كلّ نبىّ بنوع من الآيات وَعَلَى ٱللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ فلنتوكّل عليه فى الصبر
على معاندتكم ومعاداتكم عمّموا الامر للاشعار بما يوجب التوكّل وقصدوا به انفسهم قصدا أوّليّا
الا ترى قوله (۱۵) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللّٰهِ اى اىّ عذر لنا فى ان لا نتوكّل وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
الّتى بها نعرفه ونعلم انّ الامور كلّها بيده ، وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا جوابُ قسم محذوف اكّدوا به توكّلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من
الكفّار عليهم وَعَلَى ٱللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ فليثبت المتوكّلون على ما استحدثوه من توكّلهم
المسبّب عن ايمانهم (۱۶) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا حلفوا رکوع ۱۵
على ان يكون احد الامرين امّا اخراجهم للرسل او عودهم الى ملّتهم وهو بمعنى الصيرورة لانّهم لم
يكونوا على ملّتهم قطّ ويجوز ان يكون الخطاب لكلّ رسول ومن آمن معه فغلّبوا الجماعة على الواحد
فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اى الى رسلهم لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّالِمِينَ على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانّه نوع
منه (۱۷) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ اى ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها ، وقرئ لَيُهْلِكَنَّ وَلَيُسْكِنَنَّكُمْ بالياء اعتبارا لأَوْحَى كقولك أَقْسَمَ زيدٌ لَيَخْرُجَنَّ
ذٰلِكَ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لِمَنْ خَافَ مَقَامِى موقفى وهو الموقف
الّذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لأعماله وقيل المقام مُقْحَم
وَخَافَ وَعِيدِ اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفّار (۱۸) وَٱسْتَفْتَحُوا سألوا اللّهَ الفتحَ على
اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفُتاحة كقوله ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وهو
معطوف على فاوحى والضمير للانبياء عم وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانّ كلّهم سألوه ان ينصر
المحقّ ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكنّ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ اى ففتح لهم
فأفلح المؤمنون وخاب كلّ جبّار عاتٍ متكبّر على اللّه معاند للحقّ فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان
الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان أَوْقَع (۱۹) مِنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ اى من بين يديه فانّه مُرْصَد بها
واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك
وَيُسْقَىٰ مِنْ مَآءٍ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنّم يَلْقَى فيها ما يَلْقَى ويسقى من ماء صَدِيدٍ
عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار (۲۰) يَتَجَرَّعُهُ يتكلّف جرعه وهو صفة لماء او حال من
الضمير فى يسقى وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يَغَصّ به فيطول عذابه والسوغ

جوازه الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ اى اسبابه من الشدائد جزء ١٣
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كلّ مكان من جسده حتّى من اصول شعره وابهام رجله ركوع ١٠
وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ فيستريح وَمِن وَرَآئِهِ ومن بين يديه عَذَابٌ غَلِيظٌ اى يستقبل فى كلّ وقت عذابا اشدّ
ممّا هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصّة الرسل نازلة فى
اهل مكّة طلبوا الفتح الّذى هو المطر فى سنيهم الّتى ارسل اللّه عليهم بدعوة رسوله فخيّب رجاءهم فلم
يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم فى جهنّم بدل سقياهم صديد اهل النار (٢١) مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم الّتى هى مثل فى الغرابة او قوله أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ وهو على
الاوّل جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ حملته
واسرعت الذهاب به ، وقرأ نافع ٱلرِّيَاحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة
كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبّه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب
ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير أساس من معرفة اللّه والتوجّه بها اليه او اعمالهم
للاصنام برماد طيّرته الريح العاصف لَا يَقْدِرُونَ يوم القيامة مِمَّا كَسَبُوا من اعمالهم عَلَىٰ شَىْءٍ لحبوطه
فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذَٰلِكَ اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انّهم محسنون
هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ فانّه الغاية فى البعد عن طريق الحقّ (٢٢) أَلَمْ تَرَ خطاب للنبىّ والمراد به امّته وقيل
لكلّ واحد من الكفرة على التلوين أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ بالحكمة والوجه الّذى يحقّ
ان تخلق عليه ، وقرأ حمزة والكسائىّ خَالِقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يعدمكم
ويخلق خلقا آخر مكانكم رتّب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فانّ من
خلق اصولهم وما يتوقّف عليه تخليقهم ثمّ كوّنهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدّلهم
بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (٢٣) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ بمتعذّر او متعسّر فانّه قادر لذاته
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه
وخوفا لعقابه يوم الجزاء (٢٤) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر اللّه ومحاسبته
او للّه على ظنّهم فانّهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنّون انّها تخفى على اللّه فاذا كان يوم
القيامة انكشفوا للّه عند انفسهم وانّما ذكر بلفظ الماضى لتحقّق وقوعه فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانّما كتب بالواو على لفظ من يفخّم الالف قبل الهمزة فيميلها الى
الواو لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا لرؤسائهم الّذين استتبعوهم واستغووهم إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فى تكذيب
الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار
مضاف فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا دافعون عنّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال
والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشىء الّذى هو عذاب اللّه ويجوز ان تكونا للتبعيض

جزء ١٣ اى بعض شىء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية
ركوع ١٥ مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (٢٥) قَالُوا اى الّذين استكبروا جوابا عن
معاتبة الاتباع واعتذارا عمّا فعلوا بهم لَوْ هَدَانَا ٱللَّهُ للايمان ووفقنا له لَهَدَيْنَاكُمْ ولكن ضللنا فاضللناكم
اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه
عنكم كما عرّضناكم له لكن سدّ دوننا طريق الخلاص سَوَآءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مستويان علينا
الجزع والصبر مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو
يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين
ويؤيده ما روى انّهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا
ركوع ١٦ نصبرْ فيصبرون كذلك ثمّ يقولون سواء علينا (٢٦) وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ أُحكم وفُرغ منه
ودخل اهلُ الجنّة الجنّة واهلُ النار النارَ خطيبا فى الاشقياء من الثقلين إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ
وعدا من حقّه ان يُنْجَز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء وَوَعَدْتُكُمْ وَعْدَ الباطل وهو ان لا
بَعْث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فَأَخْلَفْتُكُمْ جعل تبيّن خُلْف وَعْدِه كالاخلاف منه
وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلّط فالجئكم الى الكفر والمعاصى (٢٧) إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ الّا دعائى
ايّاكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنّه على طريقة قولهم • تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيع •
ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي اسرعتم اجابتى فَلَا تَلُومُونِي بوسوستى فانّ من صرّح
العداوة لا يلام بامثال ذلك وَلُومُوٓا أَنْفُسَكُمْ حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربّكم لـمّا دعاكم
واحتجّت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدلّ عليه اذ يكفى لصحّتها
ان يكون لقدرة العبد مَدْخَلٌ ما فى فعله وهو الكَسْب الّذى يقوله اصحابنا مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ بمغيثكم
من العذاب وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ بمغيثىّ وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع انّ حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر
وقبلها الفٌ فبالحرىّ ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء
والكاف فى ضربتهو واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ما امّا
مصدريّة ومن متعلّقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم ايّاى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا
بمعنى تبرّأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى مَنْ نحو ما فى
قولهم سبحان ما سخّركنّ لنا ومن متعلّقة بكفرت اى كفرت بالّذى اشركتمونيه وهو الله تعالى
بطاعتكم ايّاى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددتُ امره بالسجود
لآدم واشرك منقول من شرِكَ زيدًا للتعدية الى مفعول ثان إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تتمّة كلامه او
ابتداء كلام من الله وفى حكاية امثال ذلك لطفٌ للسامعين وايقاظ لهم حتّى يحاسبوا انفسهم ويتدبّروا

عواقبهم (٢٨) وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا جزء ١٣
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وَأُدْخِلُ على التكلّم فيكون قوله باذن ربهم ركوع ١٩
متعلقا بقوله تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ اى يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم (٢٩) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
كيف اعتمده ووضعه كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اى
هى كشجرة وان تكون اوّل مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء أَصْلُهَا
ثَابِتٌ فى الارض ضارب بعروقه فيها وَفَرْعُهَا واعلاها فِي ٱلسَّمَاءِ ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على
الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثَابِتٌ أَصْلُهَا والاوّل على اصله ولذلك قيل
انّه اقوى ولعلّ الثانى ابلغ (٣٠) تُؤْتِي أُكُلَهَا تعطى ثمرها كُلَّ حِينٍ أقّته الله لاثمارها بِإِذْنِ رَبِّهَا بارادة
خالقها وتكوينه وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لانّ فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانّه
تصوير للمعانى وادناء لها من الحسّ (٣١) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ كمثل شجرة خبيثة ٱجْتُثَّتْ
استؤصلت واخذت جثّته بالكلّية مِنْ فَوْقِ ٱلْأَرْضِ لانّ عروقها قريبة منه مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ استقرار،
واختُلف فى الكلمة والشجرة ففسّرت الكلمة الطيّبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحقّ ولعلّ المراد بهما ما يعمّ ذلك فالكلمة الطيّبة ما
اعرب عن حقّ او دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسّرت الشجرة الطيّبة
بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنّة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعلّ المراد بهما ايضا ما
يعمّ ذلك (٣٢) يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ الذى ثبت بالحجّة عندهم وتمكّن فى قلوبهم
فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فلا يزلّون اذا فُتنوا فى دينهم كزكريّاء ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم
اصحاب ٱلْأُخْدُودِ وَفِي ٱلْآخِرَةِ فلا يتلعثمون اذا سُئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة
وروى انّه عم ذكر قبض روح المومن فقال ثمّ يُعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره
ويقولان له من ربّك وما دينك ومن نبيّك فيقول ربّى الله ودينى الاسلام ونبيّى محمّد فينادى منادٍ من
السماء أنْ صدق عبدى فذلك قوله يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ الذين
ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحقّ ولا يثبتون فى مواقف الفتن وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا
يَشَاءُ من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (٣٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ركوع ١٧
اى شُكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه او بدّلوا نفس النعمة كفرا فانّهم لمّا كفروها سُلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصّلين للكفر بدلها كأهل مكّة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوّام بيته ووسّع عليهم
ابواب رزقه وشرّفهم بمحمّد صلعم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأُسروا وقُتلوا يوم بدر وصاروا اذلّاء

*

جزء ١٣ فبدّلوا مشكورها النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلىّ هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة فامّا
ركوع ١٧ بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأمّا بنو اميّة فمتّعوا حتّى حين وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمُ ٱلَّذين شايعوهم فى الكفر دَارَ ٱلْبَوَارِ دار الهلاك بحملهم على الكفر (٣٤) جَهَنَّمَ عطف بيان لها يَصْلَوْنَهَا حالٌ منها او من القوم اى داخلين فيها مُقاسين لحرّها او مفسّرٌ لفعل يقدّر ناصبا لجهنّم وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ وبئس المقرّ جهنّم (٣٥) وَجَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ٱلّذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتّخاذ الانداد لكن لمّا كان نتيجته جُعل كالغرض قُلْ تَمَتَّعُوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانّها من قبيل الشهوات الّتى يُتمتّع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذانٌ بأنّ المهدَّد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدَّد به وأنّ الامرين كائنان لا محالة ولذلك علّله بقوله فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ وأنّ المخاطَب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمرٍ مُطاع (٣٦) قُلْ لِعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا خصّهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انّهم المقيمون لحقوق العبوديّة ، ومفعول قل محذوف يدلّ عليه جوابه اى قل لعبادى الّذين آمنوا أقيموا الصلوة وأنفقوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ فيكون ايذانا بانّهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفكّ فعلهم عن امره وانّه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدّر بلام الامر ليصحّ تعلّق القول بهما وانّما حَسُن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله

محمّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كلُّ نفسٍ اذاما خِفْتَ من امرٍ تَبالا

لدلالة قُلْ عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مُقامَيْن مقامهما وهو ضعيف لانّه لا بدّ من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولانّ امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سِرًّا وَعَلَانِيَةً منتصبان على المصدر اى انفاقَ سرٍّ وعلانية او على الحال اى ذوى سرٍّ وعلانية او على الظرف اى وقتَىْ سرٍّ وعلانية والاحبُّ إعلان الواجب وإخفاء المتطوّع به مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ فيبتاعَ المقصّرُ ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه وَلَا خِلَالٌ ولا مخالّة فيشفعَ لك خليل او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالّة وانّما يُنتفع فيه بالانفاق لوجه اللّه تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العامّ (٣٧) ٱللّٰهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مبتدأ وخبر وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعولٌ لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويُحتمل عكسُ ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلّة او المصدرِ لانّ اخرج فى معنى رزق وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ بمشيئته الى حيث توجّهتم وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَارَ فجعلها مُعَدّة لانتفاعكم وتصرّفكم ،وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفيّة اتّخاذها وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكوّنات وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ يتعاقبان لِسُباتكم ومعاشكم وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ اى بعضَ جميع ما سألتموه يعنى من

كلّ شيء سألتموه شيئًا فانّ الموجود من كلّ صنف بعض ما فى قدرة الله ولعلّ المراد بما سألتموه ما جزء ١٣
كان حقيقًا بأن يُسأل لاحتياج الناس اليه سُئل او لم يُسأل، وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ركوع ١٧
ومصدريّة ويكون المصدر بمعنى المفعول، وقرئ مِن كُلٍّ بالتنوين اى وآتاكم من كلّ شيء ما احتجتم
اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موقع الحال اى وآتاكم من كلّ شيء غيرَ
سائليه وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها ولا تطيقوا عدّ أنواعها فضلا عن أفرادها فانّها
غير متناهية وفيه دليل على انّ المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ يظلم النعمة باغفال
شكرها او يظلم نفسه بأن يعرّضها للحرمان كَفَّارٌ شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدّة يشكو ويجزع
كفّار فى النعمة يجمع ويمنع (٣٨) وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هٰذَا ٱلْبَلَدَ بلدة مكّة آمِنًا ذا أمنٍ لمن ركوع ١٨
فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدًا آمنا انّ المسئول فى الاوّل ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى
الثانى جعله من البلاد الآمنة وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ بعّدنى واياهم أَنْ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ واجعلنا منه فى جانب
وقرئ وَأَجْنِبْنِي وهما على لغة نجد وامّا اهل الحجاز فيقولون جنّبنى شرّه، وفيه دليل على انّ عصمة
الانبياء بتوفيق الله وحفظه ايّاهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذرّيّته وزعم ابن عُيَيْنة انّ
اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجّا به وانّما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمّونها الدُّوار ويقولون
البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته (٣٩) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ فلذلك سألتُ منك
العصمة واستعذت بك من اضلالهنّ واسناد الاضلال اليهنّ باعتبار السببيّة كقوله تعالى وغرّتهم الحيوة
الدنيا فَمَنْ تَبِعَنِي على دينى فَإِنَّهُ مِنِّي اى بعضى لا ينفكّ عنّى فى امر الدين وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة، وفيه دليل على انّ كلّ ذنب فللّه ان يغفره
حتّى الشرك الّا انّ الوعيد فرّق بينه وبين غيره (٤٠) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي اى بعض ذرّيّتى او
ذرّيّة من ذرّيّتى فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن وُلد منه فانّ اسكانه متضمّن لاسكانهم بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
يعنى وادى مكّة فانّها حجريّة لا تُنبت عِنْدَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ الّذى حرّمتَ التعرّض له والتهاون به او لم
يزل معظّما ممنّعا يهابه الجبابرة او مُنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمّى عتيقا اى أُعتق منه
ولو دعا بهذا الدعاء أوّل ما قدم فلعلّه قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روى انّ هاجر كانت
لسارة فوهبتها من ابرهيم فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها
فأخرجهما الى ارض مكّة فأظهر الله عين زمزم ثمّ انّ جُرْهُم رأوا ثمّ طيورا فقالوا لا طير الّا على الماء فقصدوه
فرأوها وعندها عينٌ فقالوا أَشركينا فى مائك نُشركك فى ألباننا ففعلت رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ اللام لام
كي وهي متعلّقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كلّ مرتفَق ومرتزَق الّا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرّم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانّها المقصودة بالذات من اسكانهم ثَمّ والمقصودُ من
الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كأنّه طلب منهم الاقامة وسأل
من الله ان يوفّقهم لها فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ اى افئدة من افئدة الناس ومِن للتبعيض ولذلك قيل

جزء ١٣ لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجّت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب
ركوع ١٨ منى سقيم اى افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر فى أدؤر وأن يكون
اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وإن
كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من أفد تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ تسرع اليهم شوقا ووِدادا
وقرئ تُهْوَى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتَهْوَى من هَوِىَ يَهْوَى اذا احبّ وتعديته بإلى
لتضمّنه معنى النزوع وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ مع سكناهم واديا لا نبات فيه لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ تلك النعمة
فأجاب اللّه دعوته فجعله حرما آمنا يُجبى اليه ثمرات كلّ شىء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعيّة
والصيفيّة والخريفيّة فى يوم واحد (۴۱) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ تعلم سرّنا كما تعلم علننا
والمعنى انّك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منّا بأنفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنّا ندعوك اظهارا
لعبوديّتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وَجْد الفُرْقة وما نعلن من
التضرّع اليك والتوكّل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرّع واللجإ الى اللّه تعالى
وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ لانّه العالم بعلم ذاتىّ يستوى نسبته الى كلّ معلوم
ومِنْ للاستغراق ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ اى وهب لى وأنا كبير آيس من الولد قيّد الهبة
بحال الكِبَر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من آلائه إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ روى انّه وُلد له اسمعيل لتسع
وتسعين سنة واسحٰق لمائة وثنتى عشرة سنة إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ اى لَمُجيبه من قولك سمع الملك
كلامى اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد
السماع الى دعاء اللّه على المجاز وفيه اشعار بانّه دعا ربّه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له سؤله حين ما
وقع اليأس منه ليكون من اجلّ النعم وأجلاها (۴۲) رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ معدّلا لها مواظبا عليها
وَمِن ذُرِّيَّتِى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام اللّه تعالى او استقراء عادته فى الامم الماضية
انّه يكون فى ذرّيته كفّار رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ واستجب دعائى او وتقبّل عبادتى رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وقرئ ولأبوىّ
وقد تقدّم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوّاء وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ يثبت مستعار من
القيام على الرِّجْل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا
ركوع ١٩ (۴۳) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ خطاب لرسول اللّه صلعم والمراد به تثبيته على ما هو
عليه من انّه تعالى مطّلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانّه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكلّ من توهّم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انّه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ يؤخّر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ اى
تشخص ابصارهم فلا تقرّ فى اماكنها من هول ما ترى (۴۴) مُهْطِعِينَ اى مسرعين الى الداعى او

مُقْبِلِينَ بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا وأصلُ الكلمة هو الاقبال على الشيء مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ رافعيها جزء ۱۳
لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم ركوع ۱۹
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قَلْبُهُ هواء
اى لا رأى فيه ولا قوّة قال زهير من الظلمان جُؤْجُؤُهُ هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق
وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يا محمّد يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانّه اوّل ايّام عذابهم وهو
مفعول ثانٍ لأنذر (۴۵) فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالشرك والتكذيب رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ اخّر العذاب
عنّا او ردّنا الى الدنيا وأمهلنا الى حدّ من الزمان قريب او اخّر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب
دعوتك (۴۶) نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ جواب للامر ونظيره لولا اخّرتنى الى اجل قريب فأصّدّق وأكن
من الصالحين أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ على ارادة القول وما لكم جواب القسم
جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انّكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلّهم اقسموا بطرا وغرورا او دلّ عليه حالهم حيث بَنَوْا شديدا وأمّلوا بعيدا وقيل اقسموا انّهم لا
ينتقلون الى دار اخرى وانّهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله
جَهْدَ أيمانهم لا يبعث الله من يموت (۴۷) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ بالكفر والمعاصى
كعاد وثمود وأصلُ سكن ان يعدّى بفي كقرّ وغنِيَ وأقام وقد يُستعمل بمعنى التبوّء فيجرى مجراه كقولك
سكنت الدارَ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ بما تشاهدون فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر
عندكم من اخبارهم وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ من احوالهم اى بيّنّا لكم انّكم مثلهم فى الكفر واستحقاق
العذاب او صفاتِ ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمُ المستفرغ
فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او
عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ فى العظم والشدّة لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ مسوّى
لازالة الجبال وقيل إنْ نافية واللام مؤكّدة لها كقوله وما كان الله ليعذّبهم على انّ الجبال مَثَلٌ لامر
النبىّ صلعم ونحوه وقيل مخفّفة من الثقيلة والمعنى انّهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكّنا
من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائى لَتَزولُ بالفتح والرفع على انّها المخفّفة واللام هى الفاصلة ومعناه
تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لامَ كَيْ وقرئ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ (۴۸) فَلَا تَحْسَبَنَّ
ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ مثل قوله انّا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبنّ انا ورسلى وأصله مخلف رسله وَعْدَه
فقدّم المفعول الثانى ايذانا بانّه لا يخلف الوعد اصلا كقوله انّ الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
احدا كيف يخلف رسله إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غالبٌ لا يماكر قادرٌ لا يدافع ذُو ٱنتِقَامٍ لاوليائه من اعدائه (۴۹) يَوْمَ
تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ بدلٌ من يوم يأتيهم او ظرفٌ للانتقام او مقدّرٌ باذكر او لا يخلف وَعْدَه ولا

جزء ١٣ ركوع ١٩ يجوز ان ينتصب بمخلف لانّ ما قبل انّ لا يعمل فيما بعده. وَٱلسَّمٰوٰتُ عطف على الارض وتقديره والسموات غيرَ السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدّلت الدراهم دنانير وعليه قوله بدّلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدّلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وغيّرت شكلها وعليه قوله يبدّل اللّه سيّأتهم حسنات والآية تحتملهما وعن علىّ رضه تبدّل ارضا من فضّة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عبّاس هى تلك الارض وانّما تغيّر صفاتها ويدلّ عليه ما روى ابو هريرة رضه انّه عم قال تبدّل الارض غير الارض فتُبْسَط وتُمَدّ مدّ الاديم العُكاظىّ لا ترى فيها عوجا ولا أمْتا واعلمْ انّه لا يلزم على الوجه الاوّل ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثانى ان يجعل اللّه الارض جهنّم والسموات الجنّة على ما اشعر به قوله كَلّا انّ كتاب الأبرار لفى علّيّين وقوله انّ كتاب الفُجّار لفى سجّين وَبَرَزُوا من اجداثهم لِلّٰهِ ٱلْوٰحِدِ ٱلْقَهّٰارِ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على انّ الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن المُلْك اليوم للّه الواحد القهّار فانّ الامر اذا كان لواحد غلّاب لا يغالَب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (٥٠) وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ قُرِن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زُوِّجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم فِى ٱلْأَصْفَادِ متعلّق بمقرّنين او حال من ضميره والصَفَد القيد وقيل الغُلّ قال سَلامة بن جَنْدَل

وزَيْدُ الخيل قد لاقى صِفادا يَعَضّ بساعدٍ وبعَظْمِ ساقِ

وأصله الشدّ (٥١) سَرَابِيلُهُمْ قمصانهم مِنْ قَطِرَانٍ وجاء قَطْران لغتين فيه وهو ما يتحلّب من الأَبْهَل فيُطْبَخ فتُهنأ به الابل الجَرْبى فيحرق الجرب بحدّته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تُطْلَى به جلود اهل النار حتّى يكون طلاؤه لهم كالقُمُص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على انّ التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يُحيط بجوهر النفس من الملكات الرديّة والهيآت الوحشيّة فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قِطْرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصُفْر المُذاب والآنى المتناهى حرّه والجملة حال ثانية او حال من الضمير فى مقرّنين وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنّٰارُ وتتغشاها لانّهم لم يتوجّهوا بها الى الحقّ ولم يستعملوا فى تدبّره مشاعرهم وحواسّهم التى خُلقت فيها لاجله كما تطّلع على افئدتهم لانّها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن يتّقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يُسْحَبون فى النار على وجوههم لِيَجْزِيَ ٱللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ اى يفعل بهم ذلك ليجزى كلّ نفس مجرمة مَا كَسَبَتْ او كلّ نفس من مجرمة او مطيعة لانّه اذا بيّن انّ المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم انّ المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعيّن ذلك ان علّق اللام ببرزوا إِنَّ ٱللّٰهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لانّه لا يشغله

حساب عن حساب (٥٢) هٰذَا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه جزء ١٣
من قوله ولا تحسبنّ اللّه بَلَاغٌ لِلنَّاسِ كفاية لهم فى الموعظة وَلِيُنْذَرُوا بِهِ عطف على محذوف اى لينصحوا ركوع ١٩
ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلّقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلّق بمحذوف تقديره ولينذروا به
أُنزل او تُلى وقرئ بفتح الياء من نَذِرَ به اذا علمه واستعدّ له وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ بالنظر والتأمّل
فيما فيه من الآيات الدالّة عليه او المنبّهة على ما يدلّ عليه وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ فيرتدعوا عمّا يُرديهم
ويتدرّعوا بما يُحظيهم واعلمْ انّه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى الغاية والحكمة فى
انزال الكتب تكميلُ الرسل للناس واستكمالُ القوّة النظريّة الّتى منتهى كمالها التوحيد واستصلاحُ القوّة
العمليّة الّذى هو التدرّع بلباس التقوى جعلنا اللّهُ تعالى من الفائزين بهما ، وعن النبىّ صلعم من قرأ
سورة ابرٰهيم أُعطى من الاجر عشر حسنات بعددِ من عبد الاصنام وعددِ من لم يعبد •

سُورَةُ الْحِجْرِ

مكيّة وآيها تسع وتسعون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ الاشارة الى آيات السورة والكتابُ هو السورة وكذا القرآن ركوع ٢٠
وتنكيرُه للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبيّن الرشد من الغىّ بيانا غريبا
(٢) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت جزء ١٤
او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم رُبَمَا بالتخفيف وقرئ رَبَمَا بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضمّ ركوع ١
الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافّة تكفّه عن الجرّ فيجوز دخوله
على الفعل وحقّه ان يدخل على الماضى لكن لمّا كان المترقّب فى اخبار اللّه تعالى كالماضى فى تحقّقه
أُجْرى مجراه وقيل مَا نكرة موصوفة كقوله

رُبّما تكرهُ النفوسُ من الامـ ـــر له فُرجةٌ كحلّ العقال

ومعنى التقليل فيه الايذان بانّهم لو كانوا يودّون الاسلام مرّة فبالحرىّ ان يسارعوا اليه فكيف وهم
يودّونه كلّ ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنّوا ذلك ،
والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف باللّه ليفعلنّ (٣) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا بدنياهم
وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ويشغلهم توقّعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرضُ اقناطُ الرسول من ارعوائهم وايذانُه بانّهم من اهل الخذلان وانّ
نصحهم بعدُ اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجّة وتحذير عن ايثار التنعّم وما يؤدّى اليه

طول الامل (٤) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ اجلٌ مقدّرٌ كُتب فى اللوح المحفوظ ، والمستثنى جزء ١٤
جملة واقعة صفةً لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الّا لها منذرون لكن لمّا شابهت صورتها ركوع ١
صورة الحال أُدخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ
اى وما يستأخرون عنه وتذكيرُ ضمير امّة فيه للحمل على المعنى (٦) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ نادَوْا به النبىّ صلعم على التهكّم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ونظير ذلك قول
فرعون انّ رسولكم الّذى أُرسل اليكم لمجنون والمعنى انّك لتقول قول المجانين حين تدّعى انّ اللّه نزّل
عليك الذكر اى القران (٧) لَوْمَا تَأْتِينَا ركّب لَوْ مع مَا كما ركّبت مع لا لمعنيَيْن امتناع الشىء
لوجود غيره والتحضيض بِالْمَلَائِكَةِ ليصدّقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذّبة قبل إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى دعواك
(٨) مَا يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بالياء مسندا الى ضمير اسم اللّه وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بالنون وابو بكر
بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تَنَزَّلُ بمعنى تتنزّل إِلَّا بِالْحَقِّ الّا تنزيلا ملتبسا بالحقّ اى
بالوجه الّذى قدّره واقتضته حكمته ولا حكمةَ فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانّه لا يزيدكم الّا
لَبْسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فانّ منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحقّ
الوحى او العذاب وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ اذًا جواب لهم وجزاء لشرط مقدّر اى ولو نزّلنا الملائكة
ما كانوا منظرين (٩) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ردٌّ لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكّده من وجوه
وقرّره بقوله وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ اى من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرّق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى
ان يُطْعَن فيه بانّه المنزّل له وقيل الضمير فى له للنبىّ صلعم (١٠) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ
فى فِرَقهم جمعُ شيعة وهى الفرقة المتّفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه وأصله الشِّياع وهو الحطب
الصغار توقد بها الكبار والمعنى نبّأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (١١) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبىّ صلعم ، وما للحال لا يدخل الّا مضارعا بمعنى
الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (١٢) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ندخله فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ
والسلك ادخال الشىء فى الشىء كالخيط فى المِخْيط والرمح فى المطعون ، والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على انّه تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فانّ الضمير الآخر فى قوله (١٣) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ له
وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذَّبا غير مؤمَن به او
بيان للجملة المتضمّنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه
ولا يتعيّن ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها

مفسّرة للمعنى الاوّل بل يقوّيه وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ اى سُنّة اللّه فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر فى جزء ١٤
قلوبهم او باهلاك من كذّب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكّة (١٤) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ اى على هؤلاء ركوع ١
المقترحين بَابًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (١٥) لَقَالُوا من غلوّهم فى العناد وتشكيكهم فى الحقّ
إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا سُدّت من الابصار بالسحر من السَّكْر ويدلّ عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او
حُيّرت من السُّكر ويدلّ عليه قراءة من قرأ سَكِرَتْ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ قد سحرنا محمّد بذلك كما
قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالةٌ على البتّ بانّ ما يرونه لاحقيقة له بل
هو باطل خُيّل اليهم بنوع من السحر (١٦) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا اثنى عشر مختلفة الهيآت ركوع ٢
والخواصّ على ما دلّ عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وَزَيَّنَّاهَا بالاشكال والهيآت البهيّة لِلنَّاظِرِينَ
المعتبرين المستدلّين بها على قدرة مُبْدِعها وتوحيد صانعها (١٧) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس الى اهلها ويتصرّف فى امرها ويطّلع على احوالها (١٨) إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
بدل من كلّ شيطان ، واستراق السمع اختلاسه سرّا شُبّه به خطفتهم اليسيرة من قُطّان السموات بما
بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عبّاس انّهم
كانوا لا يُحْجَبون عن السموات فلمّا وُلد عيسى عم مُنعوا من ثلاث سموات فلمّا ولد محمّد عم منعوا
من كلّها بالشُّهب ولا يقدح فيه تكوّنها قبل المولد لجواز أن يكون لها اسباب أُخر وقيل الاستثناء
منقطع اى ولكن من استرق السمع فَأَتْبَعَهُ فتبعه ولحقه شِهَابٌ مُبِينٌ ظاهر للمُبْصرين ، والشهابُ شُعْلةُ
نار ساطعة وقد يُطْلَق للكوكب والسِنان لما فيهما من البريق (١٩) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ جبالا ثوابت وَأَنْبَتْنَا فِيهَا فى الارض او فيها وفى الجبال مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْزُونٍ مقدّر
بمقدار معيّن تقتضيه حكمته او مستحسَن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يُوزَن ويُقْدَر او له
وَزْنٌ فى ابواب النعمة والمنفعة (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ
مَعَائِش بالهمزة على التشبيه بشَمَائِل وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ عطف على معايش او على محلّ لكم ويريد
به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنّون انّهم يرزقونهم ظنّا كاذبا فانّ اللّه يرزقهم وايّاهم وفذلكة
الآية الاستدلالُ بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معيّنَيْن مختلفة الاجزاء فى الوضع محدَثةً فيها انواعُ
النبات والحيوان المختلفة خِلْقةً وطبيعةً مع جوازِ أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته
والتفرّد فى الوهيّته والامتنانُ على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحّدوه ويعبدوه ثمّ بالغ فى ذلك وقال
(٢١) وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ اى وما من شىء الّا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه أضعافَ ما
وُجِد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبّه مقدوراته بالاشياء المخزونة الّتى لا يُحْوِج اخراجها

جزء ١٤ الى كلفة واجتهاد وَمَا نُنَزِّلُهُ من بقاع القدرة اِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ حدّه الحكمة وتعلّقت به المشيئة فانّ
ركوع ٢ تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بدّ له من مخصّص حكيم
(٢٢) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ حوامل شبّه الريح الّتى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبّه ما لا يكون كذلك بالعقيم او مُلقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المُطيحات فى قوله • ومختبط ممّا تُطيح الطوائح • وقرئ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ على تأويل الجنس فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ فجعلناه لكم سُقْيًا وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ قادرين متمكّنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغُدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدلّ على المدبّر الحكيم كما يدلّ حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فانّ طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حدّ لا بدّ له من سبب مخصّص (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها وَنُمِيتُ بازالتها وقد أُوّل الحيوة بما يعمّ الحيوان والنبات ، وتكرير الضمير للدلالة على الحصر وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الباقون اذا مات الخلائق كلّها (٢٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعدُ او من تقدّم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخّر لا يخفى علينا شىء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فانّ ما يدلّ على قدرته دليل على علمه وقيل رغّب رسول اللّه صلعم فى الصفّ الاوّل فازدحموا عليه فنزلت وقيل انّ امرأة حسناء كانت تصلّى خلف رسول اللّه صلعم فتقدّم بعض القوم لئلّا ينظر اليها وتأخّر بعض ليبصرها فنزلت (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ لا محالة للجزاء ، وتوسيط الضمير للدلالة على انّه القادر والمتولّى لحشرهم لا غيرُ ، وتصدير الجملة بانّ لتحقيق الوعد والتنبيه على انّ ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدلّ على صحّة الحكم كما صرّح به
ركوع ٣ بقوله إِنَّهُ حَكِيمٌ باهر الحكمة مُتقن فى افعاله عَلِيمٌ وسع علمُه كلّ شىء (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ من طين يابس يصلصل اى يصوّت اذا نُقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صلّ مِنْ حَمَإٍ طين تغيّر واسودّ من طول مجاورة الماء وهو صفةُ صلصال اى كائنٍ من حمإ مَسْنُونٍ مصوّر من سُنّة الوجه او مصبوب ليَيبس ويتصوّر كالجواهر المذابة تُصبّ فى القوالب من السَّنّ وهو الصبّ كانّه افرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان اجوفَ فيَبس حتّى اذا نُقر صلصل ثمّ غيّر ذلك طَورا بعد طور حتّى سوّاه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فانّ ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمّى سَنينا (٢٧) وَالْجَانَّ ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لانّ تشعّب الجنس لمّا كان من شخص واحد خُلق من مادّة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها ، وانتصابه بفعل يفسّره خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ من قبل خلق الانسان مِنْ نَارِ السَّمُومِ من نار الحرّ الشديد النافذ فى المسامّ ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى

جزء ١٤ ركوع ٣

الجواهر المجرّدة فضلا عن الاجسام المؤلّفة التي الغالب فيها الجزء النارى فانّها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ، ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله سبحانه وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدّمة الثانية التي يتوقّف عليها امكان الحشر وهو قبول الموادّ للجمع والاحياء (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقت قوله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٩) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدّلت خلقته وهيّأته لنفخ الروح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي حتّى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولمّا كان الروح يتعلّق اوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوّة الحيوانيّة فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا ، واضافة الروح الى نفسه لما مرّ فى النساء فَقَعُوا لَهُ فاسقطوا له سَاجِدِينَ امر من وقع يقع (٣٠) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ اكّد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكّد بالكلّ للاحاطة وباجمعين للدلالة على انّهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا (٣١) إِلَّا إِبْلِيسَ ان جعل منقطعا اتّصل به قوله أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ اى ولكن ابليس ابى وان جعل متّصلا كان استينافا على انّه جواب سائل قال هلّا سجد (٣٢) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ اىّ غرض لك فى ان لا تكون مَعَ السَّاجِدِينَ لآدم (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ اللام لتأكيد النفى اى لا يصحّ منّى * وينافى حالى ان اسجد لِبَشَرٍ جسمانىّ كثيف وانا ملك روحانىّ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وهو اخسّ العناصر وخلقتنى من نار وهى اشرفها استنقص آدم عم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (٣٤) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من السماء او الجنّة او زمر الملائكة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مطرود من الخير والكرامة فانّ من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمّن الجواب عن شبهته (٣٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ هذا الطرد والابعاد إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فانّه منتهى امد اللعن فانّه يناسب ايّام التكليف ومنه زمان الجزاء - وما فى قوله فأذّن مؤذّن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انّما حدّ اللعن به لانّه ابعد غاية يضربها الناس او لانّه يعذّب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (٣٦) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي فأخّرنى والفاء متعلّقة بمحذوف دلّ عليه فاخرج منها فانّك رجيم إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاوّل دون الثانى (٣٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٨) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ المسمّى فيه اجله عند الله او انقراض الناس كلّهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايّام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبّر عنه اوّلا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى

جزء ١٤ الكلاميين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعلّه يموت اوّل اليوم ويبعث مع الخلائق فى تضاعيفه ، وهذه
ركوع ٣ المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدلّ على منصب ابليس لانّ خطاب اللّه له على سبيل الاهانة والاذلال

(٣٩) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي الباء للقسم وما مصدريّة وجوابه لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ والمعنى اقسم باغوائك اياى لازيّننّ لهم المعاصى فى الدنيا الّتى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال اللّه خلافٌ وقيل للسببيّة ، والمعتزلة اوّلوا الاغواء بالنسبة الى الغىّ او التسبّب له بأمره ايّاه بالسجود لآدم عم او بالاضلال عن طريق الجنّة واعتذروا عن امهال اللّه له وهو سببٌ لزيادة غيّه وتسليطٌ له على اغواء بنى آدم بانّ اللّه تعالى علم منه وممّن تبعه انّهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وأنّ فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعفُ ذلك لا يخفى على ذوى الالباب وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ولأحملنّهم اجمعين على الغواية (٤٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ اخلصتَهم لطاعتك وطهّرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كلّ القرآن اى الّذين اخلصوا نفوسهم للّه تعالى (٤١) قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ حقّ علىّ ان اراعيه مُسْتَقِيمٌ لا انحراف عنه ، والاشارة الى ما تضمّنه الاستثناء وهو تخليص المخلَصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انّه طريق علىّ يؤدّى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلال ، وقرئ عَلِيٌّ من عُلوّ الشرف (٤٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ تصديقٌ لابليس فيما استثناه وتغييرُ الوضع لتعظيم المخلَصين ولانّ المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيبٌ له فيما اوهم انّ له سلطانا على من ليس بمخلَص من عباده فانّ منتهى تزيينه التحريضُ والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الّا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاوّل يدفع قولَ مَنْ شرط أن يكون المستثنى اقلّ من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين (٤٣) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ لموعد الغاوين او المتّبعين أَجْمَعِينَ تأكيد للضمير او حال والعاملُ فيها الموعد إن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة إن جعلته اسم مكان فانّه لا يعمل (٤٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنّم ثمّ لظى ثمّ الحُطَمة ثمّ السعير ثمّ سقر ثمّ الجحيم ثمّ الهاوية ولعلّ تخصيص العدد لانحصار مَجامع المُهْلِكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوّة الشهويّة والغضبيّة او لانّ اهلها سبع فرق لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ من الاتباع جُزْءٌ مَقْسُومٌ أُفْرِز له فأعلاها للموحّدين العُصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين ، وقرأ ابو بكر جُزُءٌ بالتثقيل وقرئ جُزٌ على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثمّ الوقف عليه بالتشديد ثمّ اجراء الوصل مجرى الوقف ، ومنهم حال منه او من المستكنّ فى الظرف لا فى مقسوم لانّ الصفة لا
ركوع ٤ تعمل فيما تقدّم موصوفها (٤٥) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ من اتباعه فى الكفر والفواحش فانّ غيرها مكفّرة فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

لكلّ واحد جنّة وعين او لكلّ عدّة منهما لقوله ولمن خاف مقام ربّه جنّتان ثمّ قوله ومن دونهما جزء ١٤
جنّتان وقوله مَثَلُ الجَنَّةِ الّتى وُعِدَ المتّقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية، وقرأ نافع وابو عمرو وحفص ركوع ٤
وهشام وَعُيُونٍ وَٱلْعُيُونِ بضمّ العين حيث وقع والباقون بكسر العين (٤٦) ٱدْخُلُوهَا على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انّه ماضٍ فلا يكسر التنوين بِسَلَامٍ سالمين او مسلّما عليكم آمِنِينَ من الآفة والزوال (٤٧) وَنَزَعْنَا فى الدنيا بما الّف بين قلوبهم او فى الجنّة بتطييب نفوسهم مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ وحقد كان فى الدنيا وعن علىّ رضه أرجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنّة ومراتب القُرب إِخْوَانًا حال من ضمير فى جنّات او فاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانّه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقرّ فى على سرر (٤٨) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ فانّ تمام النعمة بالخلود (٤٩) نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٠) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له، وفى ذكر المغفرة دليل على انّه لم يرد بالمتّقين من يتّقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف (٥١) وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ على نبّئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به (٥٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا اى نسلّم عليك سلاما او سلّمنا سلاما قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ خائفون وذلك لانّهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانّهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقّع ما تكره (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ وقرئ لَا تَاجَلْ ولَا تُوجَلْ من اوجله ولَا تُوَاجَلْ من واجله بمعنى اوجله إِنَّا نُبَشِّرُكَ استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فانّ المبشَّر لا يُخاف منه وقرأ حمزة نَبْشُرُكَ بفتح النون والتخفيف من البَشْر بِغُلَامٍ هو اسحٰق لقوله وبشّرناه باسحٰق عَلِيمٍ اذا بلغ (٥٤) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أَنْ مَسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ تعجّب من ان يولد له مع مسّ الكبر ايّاه او انكار لأن يبشّر به فى مثل هذه الحال وكذا قوله فَبِمَ تُبَشِّرُونَ اى فبأىّ اعجوبة تبشّرون او فبأىّ شىء تبشّرون فانّ البشارة بما لا يتصوّر وقوعه عادةً بشارة بغير شىء، وقرأ ابن كثير بكسر النون مشدّدة فى كلّ القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخفّفة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية وكسرها على الياء (٥٥) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بما يكون لا محالة او باليقين الّذى لا لَبْسَ فيه او بطريقة هى حقّ وهو قول اللّه وأمره فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْقَانِطِينَ من الآيسين من ذلك فانّه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر وكان

جزء ١٤ استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّالُّونَ ركوع ٤ المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة اللّه وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من رَوح اللّه الّا القوم الكافرون ، وقرأ ابو عمرو والكسائىّ يَقْنِطُ بالكسر وقرئ بالضمّ وماضيهما قنط بالفتح (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ اى فما شأنكم الّذى أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعلّه علم انّ كمال المقصود ليس البشارة لانّهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريّاء ومريم او لانّهم بشّروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدءوا بها (٥٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ يعنى قوم لوط (٥٩) إِلَّا آلَ لُوطٍ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيّد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متّصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انّا ارسلنا الى قوم اجرم كلّهم الّا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدلّ عليه قوله إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ اى ممّا يعذّب به القوم وهو استيناف اذا اتّصل الاستثناء ومتّصل بآل لوط جارٍ مجرى خبر لكنّ اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (٦٠) إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الأوّل لا يكون الّا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللّهمّ الّا أن يجعل انّا لمنجّوهم اعتراضا ، وقرأ حمزة والكسائىّ مخففا قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَابِرِينَ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قَدَرْنا بالتخفيف وانّما علّق والتعليق من خواصّ افعال القلوب لتضمّنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدّرنا أُجْرى مجرى قلنا لانّ التقدير بمعنى القضاء قولٌ وأصله جعل الشىء على مقدار غيره واسنادهم ايّاه الى انفسهم وهو فعل اللّه سبحانه وتعالى لما لهم ركوع ٥ من القرب والاختصاص به (٦١) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦٢) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشرّ (٦٣) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ اى ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرّك ويشفى لك من عدوّك وهو العذاب الّذى توعّدتهم به فيمترون فيه (٦٤) وَأَتَيْنَاكَ بِٱلْحَقِّ باليقين من عذابهم وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فيما اخبرناك به (٦٥) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيّان بوصل الالف من السُّرى وهما بمعنى وقرئ فَسِرْ من السَّير بِقِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال

افتحى الباب وانظرى فى النجوم   كم علينا من قِطْع ليلٍ بَهيم

وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطّلع على حالهم وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلّف امرءٌ فيصيبه العذاب وقيل نُهوا عن الالتفات ليوطّنوا نفوسهم على المهاجرة وَٱمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ اى حيث امركم اللّه بالمضىّ اليه وهو الشأم او مصر فعدّى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتّساع (٦٦) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ اى واوحينا اليه مقضيّا ولذلك عُدّى بالى ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ مبهم تفسيره أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ

ومحلّه النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى جزء ١٤
انّهم يستأصلون عن آخرهم حتّى لا يبقى منهم احد مُصْبِحِينَ داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء ركوع ٥
او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فانّ دابر هؤلاء فى معنى مُدْبِرى هؤلاء (٦٧) وَجَآءَ أَهْلُ
ٱلْمَدِينَةِ سدوم يَسْتَبْشِرُونَ باضياف لوط طمعا فيهم (٦٨) قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ بفضيحة
ضيفى فانّ من أُسىء الى ضيفه فقد أُسىء اليه (٦٩) وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى ركوب الفاحشة وَلَا تُخْزُونِ ولا
تذلّونى بسببهم من الخِزْى وهو الهوان او لا تُخجلونى فيهم من الخزاية وهى الحياء (٧٠) قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ
عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ عن ان تُجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانّهم كانوا يتعرّضون لكلّ احد وكان
لوط يمنعهم عنه بقدر وُسْعه او عن ضيافة الناس وانزالهم (٧١) قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ يعنى نساء القوم فانّ
نبىّ كلّ امّة بمنزلة ابيهم وفيه وجوهٌ ذُكرت فى هود إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قضاء الوطر او ما اقول لكم
(٧٢) لَعَمْرُكَ قسم بحيوة المخاطَب وهو النبىّ صلعم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعَمْرك قسمى وهو
لغة فى العُمر يختصّ به القسم لإيثار الاخفّ فيه لانّه كثير الدور على السنتهم إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ لفى غوايتهم
او شدّة غُلْمتهم الّتى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الّذى يشار به اليهم يَعْمَهُونَ
يتحيّرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (٧٣) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ يعنى
صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عم مُشْرِقِينَ داخلين فى وقت شروق الشمس (٧٤) فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا
عالى المدينة او عالى قُراهم سَافِلَهَا فصارت منقلبة بهم وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ من طين متحجّر
او طين عليه كتاب من السجلّ وقد تقدّم مزيد بيان لهذه القصّة فى سورة هود (٧٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّلْمُتَوَسِّمِينَ للمتفكّرين المتفرّسين الّذين يتثبّتون فى نظرهم حتّى يعرفوا حقيقة الشىء بسمته (٧٦) وَإِنَّهَا
وانّ المدينة او القرى لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (٧٧) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
باللّه ورسله (٧٨) وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعث اللّه اليهم
شعيبا فكذّبوه فأُهلكوا بالظُلّة ، والايكة الشجرة المتكاثفة (٧٩) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ بالاهلاك وَإِنَّهُمَا يعنى سدوم
والايكة وقيل الايكة ومدين فانّه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احداهما منبّها على الاخرى لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتمّ به فسمّى به الطريق ومطمر البنّاء واللوح لانّها ممّا يؤتمّ به
(٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ يعنى ثمود كذّبوا صالحا ومن كذّب واحدا من الرسل فكانّما ركوع ٦
كذّب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين ، والحجر واد بين المدينة والشام
يسكنونه (٨١) وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيّهم او معجزاته
كالناقة وسقبها وشربها ودرّها او ما نصب لهم من الأدلّة (٨٢) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ

جزء ١٤ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان
ركوع ٦ الجبال تحميهم منه (٨٣) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ من بناء
البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعُدد (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ الا
خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم من الارض وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ
ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلْخَلَّٰقُ الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم ٱلْعَلِيمُ بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل اليه
ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف
عثمان وأُبىّ هُوَ ٱلْخَالِقُ وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (٨٧) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا
سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم
يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع
مِّنَ ٱلْمَثَانِى بيان للسبع والمثانى من التثنية او الثناء فان كل ذلك مُثَنًّى تكرر قراءته او الفاظه او
قصصه ومواعظه او مُثْنًى عليه بالبلاغة والاعجاز او مُثْنٍ على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه
الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القران او كتب الله كلها فيكون مِنْ للتبعيض وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ان اريد
بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن
عطف احد الوصفين على الآخر (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ لا تطمح ببصرك طموح راغب إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا
مِّنْهُمْ اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مُفْضٍ الى دوام
اللذات وفى حديث ابى بكر رضه من اوتى القران فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغّر
عظيما وعظّم صغيرا وروى انه عم وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قُرَيْظة والنَّضِير فيها انواع البزّ
والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوّينا بها وانفقناها فى سبيل
الله فقال لهم لقد أُعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ انهم لم يؤمنوا
وقيل انهم المتمتعون به وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وتواضع لهم وارفق بهم (٨٩) وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (٩٠) كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ مثل
العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفّروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط
الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيّتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه
ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا

بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وشعر وكهانة جزء ١٤
واساطير الأولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على انّ القران ما يقرءونه من ركوع ٦
كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول اللّه صلعم وقوله لا تمدّنّ الى آخره اعتراضا ممدّا لها (٩١) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ أجزاء جمع عِضة وأصلها عِضْوة من عضّى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فِعْلة من عَضَهْتُه اذا بهتّه وفى الحديث لعن رسول اللّه العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانّما جُمع جَمْعَ السلامة جبرا لما حذف منه، والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره (٩٢) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عامّ فى كلّ ما فعلوا من الكفر والمعاصى (٩٤) فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فاجهرْ به من صدع بالحجّة اذا تكلّم بها جهارا او افرقْ به بين الحقّ والباطل وأصله الابانة والتمييز، وما مصدريّة او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ولا تلتفت الى ما يقولون (٩٥) إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ بقمعهم واهلاكهم وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدىّ بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطّلب يبالغون فى ايذاء النبىّ صلعم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول اللّه صلعم أُمرت ان اكفيكهم فأومى الى ساق الوليد فمرّ بنبّال فتعلّق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظّما لأخذه فاصاب عِرْقا فى عقبه فقطعه فمات وأومى الى أخْمَص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتّى صارت كالرحى ومات وأشار الى انف عدىّ بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتّى مات والى عينَى الاسود بن عبد المطّلب فعمى (٩٦) ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة امرهم فى الدارين (٩٧) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ من الشرك والطعن فى القران والاستهزاء بك (٩٨) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فافزعْ الى اللّه تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغمّ عنك او فنزّهه عمّا يقولون حامدا له على أنْ هداك للحقّ وَكُنْ مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ من المصلّين وعنه صلعم انّه كان اذا حزبه امرٌ فزع الى الصلوة (٩٩) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ اى الموت فانّه متيقّنٌ لحاقه كلّ حىّ مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيّا ولا تُخلّ بالعبادة لحظةً، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمّد •

سُورَةُ ٱلنَّحْلِ

مكّيّة غير ثلث آيات فى آخرها وآيها مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٤ ركوع ٧ (١) أَتَىٰ أَمْرُ ٱللّٰهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلعم من قيام الساعة او اهلاك اللّه ايّاهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صحّ ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه فنزلت والمعنى انّ الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقّق من حيث انّه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانّه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ تبرّأ وجلّ عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء على وَفْق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على انّ الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انّه نزلت اتى امر اللّه فوثب النبىّ صلعم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه (٢) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ بالوحى او القران فانّه يحيى به القلوب الميّتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الّذى به علم الرسول ما يحقّق توعّدهم به ودنوّه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو يُنْزِلُ من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تَنَزَّلُ بمعنى تتنزّل وقرأ ابو بكر تُنَزَّلُ على المضارع المبنىّ للمفعول من التنزيل مِنْ أَمْرِهِ بأمره او من اجله عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ان يتّخذه رسولا أَنْ أَنْذِرُوا بأن انذروا اى اعلموا من نَذِرت بكذا اذا علمته أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱتَّقُونِ أنّ الشأن لا اله الّا انا او خوّفوا اهل الكفر والمعاصى بأنّه لا اله الّا انا وقوله فاتّقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود ، وأنّ مفسّرةٌ لانّ الروح بمعنى الوحى الدالّ على القول او مصدريّةٌ فى موضع الجرّ بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخفّفةٌ من الثقيلة ، والآية تدلّ على أنّ نزول الوحى بواسطة الملائكة وأنّ حاصله التنبيهُ على التوحيد الّذى هو منتهى كمال القوّة العلميّة والامرُ بالتقوى الّذى هو اقصى كمال القوّة العمليّة وأنّ النبوّة عطائيّة والآيات الّتى بعدها دليل على وحدانيّته من حيث انّهما تدلّ على انّه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (٣) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدّرها وخصّصها بحكمته تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ منهما او ممّا يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما وممّا لا يقدر على خلقهما ، وفيه دليل على انّه تعالى ليس من قبيل الأجرام (٤) خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ جماد لا حسّ بها ولا حراك سيّالة لا تحفظ الوضع والشكل فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ منطيق مجادل مُبِينٌ للحجّة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يُحيى العظام وهى رميم روى انّ أُبىّ بن خلف اتى النبىّ صلعم بعظم رميم

وقال يا محمّد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رمّ فنزلت (٥) وَٱلْأَنْعَامَ الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسّره خَلَقَهَا لَكُمْ او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خُلقت لاجله وما بعده تفصيل له فِيهَا دِفْءٌ ما يدفأ به فيقى البرد وَمَنَافِعُ نسلها ودرّها وظهورها وانّما عبّر عنها بالمنافع ليتناول عوضها وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآى او لانّ الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش وأمّا الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكّه (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ زينة حِينَ تُرِيحُونَ تردّونها من مراعيها الى مُراحها بالعشىّ وَحِينَ تَسْرَحُونَ تخرجونها بالغداة الى المراعى فانّ الأفنية تتزيّن بها فى الوقتين ويُجلّ اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لانّ الجمال فيها اظهر فانّها تقبل مَلأى البطون حافلة الضروع ثمّ تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها ، وقرئ حينًا على انّ تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (٧) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ احمالكم إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ اى ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ الّا بكلفة ومشقّة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدرُ شَقَّ الامرُ عليه وأصلُه الصدع والمكسورُ بمعنى النصف كانّه ذهب نصف قوّته بالتعب إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (٨) وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ عطف على الانعام لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً اى لتركبوها وتتزيّنوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محلّ لتركبوها وتغييرُ النظم لانّ الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولانّ المقصود من خلقها الركوب وامّا التزيّن بها فحاصل بالعَرَض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علّة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزيّنين او متزيّنا بها ، واستدلّ به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يُقصد منه غالبا ان لا يُقصد منه غيرُه اصلا ويدلّ عليه انّ الآية مكّيّة وعامّة المفسّرين والمحدّثين على انّ الحُمُر الاهليّة حُرّمت عام خيبر وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ لمّا فصّل الحيوانات التى يُحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريّا او غير ضرورىّ اجمل غيرها ويجوز أن يكون اخبارا بانّ له من الخلائق ما لا عِلْمَ لنا به وأن يراد به ما خلق فى الجنّة والنار ممّا لم يخطر على قلب بشر (٩) وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ بيانُ مستقيم الطريق الموصل الى الحقّ او اقامةُ السبيل وتعديلها رحمةً وفضلا او عليه قَصْدُ السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيلٌ قَصْدٌ وقاصدٌ اى مستقيم كانّه يقصد الوجه الّذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال وَمِنْهَا جَائِرٌ حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانّه ليس بحقّ على الله ان يبيّن طرق الضلالة او لانّ المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انّما جاء بالعَرَض ، وقرئ وَمِنْكُمْ جَائِرٌ اى عن القصد وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ اى ولو

جزء ۱۴ شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (۱۰) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ
ركوع ۸ ٱلسَّمَآءِ من السحاب او من جانب السماء مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لانّ مياه العيون والآبار منه لقوله سبحانه فسلكه ينابيع وقوله فأسكنّاه فى الارض وَمِنْهُ شَجَرٌ ومنه يكون شجر يعنى الشجر الّذى ترعاه المواشى وقيل كلّ ما نبت على الارض شجر قال

يَعْلِفُها اللحمَ اذا عزّ الشّجرْ والخيلُ فى إطعامها اللحمِ ضررْ

فِيهِ تُسِيمُونَ ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصله السومة وهى العلامة لانّها تؤثّر بالرعى علامات (۱۱) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وبعض كلّها اذ لم ينبت فى الارض كلّ ما يمكن من الثمار ولعلّ تقديم ما يُسام فيه على ما يؤكل منه لانّه سيصير غذاء حيوانيّا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ على وجود الصانع وحكمته فانّ من تأمّل انّ الحبّة تقع فى الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشقّ اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشقّ اسفلها فيخرج منه عروقها ثمّ ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كلّ منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتّحاد الموادّ ونسبة الطبائع السفليّة والتأثيرات الفلكيّة الى الكلّ علم انّ ذلك ليس الّا بفعل فاعل مختار مقدّس عن منازعة الاضداد والانداد ولعلّ فصل الآية به لذلك (۱۲) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ بأن هيّأها لمنافعكم مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ حالٌ من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخّرات للّه خلقها ودبّرها كيف شاء او لما خُلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذانٌ بالجواب عمّا عسى ان يقال انّ المؤثّر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فانّ ذلك إن سُلّم فلا ريب فى انّها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بدّ لها من موجد مخصّص مختار واجب الوجود دفعًا للدّور والتسلسل او مصدرٌ ميمىّ جُمع لاختلاف الانواع ، وقرأ حفص وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر والشمس والقمر ايضا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ جمع الآية وذكر العقل لانّها تدلّ انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير مُحْوِجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (۱۳) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عطف على الليل اى وسخّر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ اصنافه فانّها تتخالف باللون غالبا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ انّ اختلافها فى الطباع والهيئآت والمناظر ليس الّا بصنع صانع حكيم (۱۴) وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ جعله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا هو السمك ووصفه بالطراوة لانّه ارطب

اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارَع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريّا فى ماء زعاق وتمسّك به مالك والثورىّ على انّ من حلف لا يأكل لحما حَنِثَ بأكل السمك وأُجيب عنه بانّ مَبْنَى الأيمان على العُرْف وهو لا يُفْهَم منه عند الاطلاق الا ترى انّ اللّه سمّى الكافر دابّة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابّة بركوبه وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا كاللؤلؤ والمرجان اى تلبس نساؤكم فأسند اليهم لانّهنّ من جملتهم ولانّهنّ يتزيّنّ بها لاجلهم وَتَرَى ٱلْفُلْكَ السفن مَوَاخِرَ فِيهِ جوارى فيه تشقّه بحيزومها من المَخْر وهو شقّ الماء وقيل صوتُ جرى الفلك وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ من سعة رزقه بركوبها للتجارة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى تعرفون نعمه فتقومون بحقّها ولعلّ تخصيصه بتعقيب الشكر لانّه اقوى فى باب الانعام من حيث انّه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (١٥) وَأَلْقَى فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ جبالا رواسى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لانّ الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كُرة حقيقيّة بسيطة الطبع وكان من حقّها ان تتحرّك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرّك بأدنى سبب للتحريك فلمّا خُلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجّهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد الّتى تمنعها عن الحركة وقيل لمّا خلق اللّه الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقِرٍّ احد على ظهرها فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال وَأَنْهَارًا اى وجعل فيها انهارا لانّ القى فيه معناه وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لمقاصدكم او الى معرفة اللّه (١٦) وَعَلَامَاتٍ معالم يستدلّ بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ بالليل فى البرارى والبحار، والمراد بالنجم الجنس ويدلّ عليه انّه قرئ بِٱلنُّجُمِ بضمّتين وضمّة وسكون على الجمع وقيل الثريّا والفرقدان وبنات نَعْش والجَدْى، ولعلّ الضمير لقريش لانّهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم، واخراج الكلام عن سَنَن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانّه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزمُ لهم واوجبُ عليهم (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرّد بخلق ما عدّد من مُبْدَعاته لأن يساويه ويستحقّ مشاركته ما لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حقّ الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنّه عكس تنبيها على انّهم بالاشراك باللّه جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كلّ ما عُبد من دون اللّه مغلّبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانّهم سمّوها آلهة ومن حقّ الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانّه قيل انّ من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا عِلْمَ عنده أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فتعرفوا فساد ذلك فانّه لجلائه كالحاصل للعقل الّذى يحضر عنده بأدنى تذكّر والتفات (١٨) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعدادَ النعم والزامَ الحجّة على تفرّده باستحقاق العبادة

جزء ١٤

ركوع ٨

جزء ١٤ تنبيها على انّ وراء ما عدّد نعما لا تنحصر وانّ حق عبادته تعالى غير مقدور إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ حيث
ركوع ٨ يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها رَحِيمٌ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
(١٩) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار
العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة (٢٠) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ اى والآلهة الّذين تعبدونهم من
دونه وقرأ عاصم ويعقوب يَدْعُونَ بالياء لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا لمّا نفى المشاركة بين من
يخلق ومن لا يخلق بيّن انّهم لا يخلقون شيئا لينتج انّهم لا يشاركونه ثمّ اكّد ذلك بأن اثبت
لهم صفات تنافى الألوهيّة فقال وَهُمْ يُخْلَقُونَ لانهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله
ينبغى ان يكون واجب الوجود (٢١) أَمْوَاتٌ هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات حالا ومآلا غَيْرُ أَحْيَاءٍ
بالذات ليتناول كلّ معبود والاله ينبغى ان يكون حيّا بالذات لا يعتريه الممات وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٢) أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عَبَدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى
ركوع ٩ ان يكون عالما بالغيوب مقدّرا للثواب والعقاب ، وفيه تنبيه على انّ البعث من توابع التكليف (٢٣) إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَاحِدٌ تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
بيانٌ لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدمُ ايمانهم بالآخرة فانّ المؤمن بها يكون طالبا
للدلائل متأمّلا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يُعرَف الّا
بالبرهان اتّباعا للأسلاف وركونا الى المألوف فانّه ينافى النظر والاستكبارُ عن اتّباع الرسول وتصديقه
والالتفاتِ الى قوله والاوّل هو العمدة فى الباب ولذلك رتّب عليه ثبوت الآخرين (٢٤) لَا جَرَمَ حقّا
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانّه مصدر او فعل (٢٥) إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فضلا عن الّذين استكبروا عن توحيده او اتّباع رسوله (٢٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ
القائل بعضهم على التهكّم او الوافدون عليهم او المسلمون قَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ اى ما تدّعون نزوله
او المنزّل اساطير الاوّلين وانّما سمّوه منزلا على التهكّم او على الفرض اى على تقدير انّه منزل فهو اساطير
الاوّلين لا تحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون (٢٧) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ اى قالوا
ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فانّ اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم وبعض اوزار ضلال من يضلّونهم وهو حصّة التسبّب بِغَيْرِ عِلْمٍ حال من المفعول اى يضلّون من
لا يعلم انّهم ضُلّال وفائدتها الدلالة على انّ جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميّزوا بين
ركوع ١٠ الحقّ والمبطل أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ بئس شيئا يزرونه فعلهم (٢٨) قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ اى سوّوا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فأتاها امره من جهة العُمُد الّتى بنوا

عليها بأن ضعضعت فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وصار سبب هلاكهم وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ جزء ١٤
لَا يَشْعُرُونَ لا يحتسبون ولا يتوقّعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى ركوع ١٠
الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصّد أمر السماء فأهبّ الله الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا
(٢٧) ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ يذلّهم أو يعذّبهم بالنار كقوله تعالى ربّنا انّك من تدخل النار فقد اخزيته
وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِىَ اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ
تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقّوننى فانّ مشاقّة المؤمنين كمشاقّة اللّه
قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ اى الانبياء والعلماء الّذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقّونهم ويتكبّرون
عليهم او الملائكة إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ الذلّة والعذاب عَلَى ٱلْكَافِرِينَ وفائدة قولهم اظهار الشماتة
وزيادة الاهانة وحكايته لأن يكون لطفا لمن سمعه (٢٨) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَآئِكَةُ وقرأ حمزة بالياء وقرئ
بادغام التاء فى التاء ، وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ بأن عرّضوها للعذاب المخلّد
فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت مَا كُنَّا قائلين ما كنّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ كفر وعدوان ويجوز
ان يكون تفسيرا للسلم على انّ المراد به القول الدالّ على الاستسلام بَلَىٰٓ اى فتجيبهم الملائكة بلى
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع
الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ما كنّا نعمل من سوء بأنّا لم نكن
فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الرادّ عليهم هو اللّه تعالى او اولو العلم (٢٩) فَٱدْخُلُوٓا۟
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ كلّ صنف بابها المعدّ له وقيل ابواب جهنّم اصناف عذابها خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ جهنّم (٣٠) وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ يعنى المؤمنين مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا اى انزل خيرا وفى
نصبه دليل على انّهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى
انّ احياء العرب كانوا يبعثون ايّام الموسم من يأتيهم بخبر النبىّ صلعم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ مكافأة فى الدنيا
وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتّقوا على قولهم ويجوز ان يكون
بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انّه منتصب بقالوا وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ دار الآخرة فحذف
لتقدّم ذكرها وقوله (٣١) جَنَّاتُ عَدْنٍ خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح
يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ من انواع المشتهيات ، وفى تقديم الظرف تنبيه
على انّ الانسان لا يجد جميع ما يريده الّا فى الجنّة كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيّد الوجه الأوّل (٣٢) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَآئِكَةُ طَيِّبِينَ طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى

جزء ۱۴ لانه في مقابلة حالتي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
رکوع ۱۰ لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر
بالدخول حينئذ (۳۵) هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من
الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (۳۶) فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم
على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق
رکوع ۱۱ لا يستعمل الا في الشر (۳۷) وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء
الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم
البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا
اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل
الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ
الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء
الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية
في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج
السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله (۳۸) ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من
حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم ، وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من
الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح
به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون (۳۹) ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله
وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم
من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (۴۰) واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في

البعث حق فساده ولقد رَدّ الله عليهم ابلغ ردّ فقال بَلَى يبعثهم وَعْدًا مصدر مؤكّد لنفسه وهو ما دلّ جزء ١٤
عليه بَلَى فانّ يبعث موعد من الله عَلَيْهِ انجازه لامتناع الخُلف فى وعده او لانّ البعث مقتضى حكمته ركوع ١١
حَقًّا صفة اخرى للوعد وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ انّهم يُبْعَثون امّا لعدم علمهم بانّه من مواجب الحكمة الّتى جرت عادته بمراعاتها وامّا لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهّمون امتناعه ثمّ انّه تعالى بيّن الامرين فقال (٤١) لِيُبَيِّنَ لَهُمْ اى يبعثهم ليبيّن لهم ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وهو الحقّ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل بالثواب والعقاب ثمّ قال (٤٢) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ وهو بيان امكانه وتقريره انّ تكوين الله بمحض قدرته ومشيّته لا توقّف له على سبق الموادّ والمدد والّا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادّة ومثال امكن تكوينها اعادة بعده ، ونصب ابن عامر والكسائى فَيَكُونَ عطفا على نقول او جوابا للامر
(٤٣) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر ركوع ١٢
بعضهم الى الحبشة ثمّ الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول الله صلعم وهم بلال وصُهَيب وخَبّاب وعمّار وعابس وابو جَنْدَل وسُهَيْل ، وقوله فى الله اى فى حقّه ولوجهه لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً مباءة حسنة وهى المدينة او تبوئة حسنة وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ممّا يعجّل لهم فى الدنيا وعن عمر انّه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادّخر لك فى الآخرة افضل لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الضمير للكفّار اى لو علموا انّ الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (٤٤) ٱلَّذِينَ صَبَرُوا على الشدائد كأذى الكفّار ومفارقة الوطن ومحلّه النصب او الرفع على المدح وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ منقطعين الى الله مفوّضين اليه الامر كلّه (٤٥) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ردّ لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنّة الالهيّة بأن لا يبعث للدعوة العامّة الّا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذُكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ اهل الكتاب او علماء الأحبار ليعلّموكم إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وفى الآية دليل على انّه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامّة وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يُبعثوا الى الانبياء الّا ممثّلين بصورة الرجال وردّ بما روى انّه عم رأى جبريل عم على صورته الّتى هو عليها مرّتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يُعلم (٤٦) بِٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ اى ارسلناهم بالبيّنات والزبر اى المعجزات والكتب كانّه جواب قائل قال بم أُرسلوا ويجوز ان يتعلّق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الّا رجالا بالبيّنات كقولك ما ضربت الّا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبيّنات او بيوحى على المفعوليّة او الحال من القائم مقام فاعله على

جزء ۱۴ لانّ قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على انّ الشرط للتبكيت والالزام وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ اى القرآن
ركوع ۱۳ وانّما سُمّى ذكرا لانّه موعظة وتنبيه لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فى الذكر بتوسّط انزاله اليك ممّا أُمروا به ونُهوا عنه او ممّا تشابه عليهم والتبيين اعمّ من ان ينصّ بالمقصود او يرشد الى ما يدلّ عليه كالقياس ودليل العقل وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وارادة أن يتأمّلوا فيه فيتنبّهوا للحقائق (۴۷) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ اى المكرات السيّئات وهم الّذين احتالوا لهلاك الانبياء او الّذين مكروا رسول اللّه وراموا صدّ اصحابه عن الايمان أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ كما خسف بقارون أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (۴۸) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ اى متقلّبين فى مسايرهم ومتاجرهم فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (۴۹) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ على مخافة بأن يُهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوّفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شىء فى انفسهم واموالهم حتّى يهلكوا من تخوّفته اذا تنقّصته روى انّ عمر رضه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هُذَيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقّص فقال هل تعرف العربُ ذلك فى أشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كثير يصف ناقته

تخوّف الرحلُ منها تامكا قَرِدا كما تخوّف عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلّوا قالوا وما ديواننا قال شعرُ الجاهليّة فانّ فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (۵۰) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ استفهامُ انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكّروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ، وما موصولة مُبْهَمة بيانُها يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ اى اولم ينظروا الى المخلوقات الّتى لها ظلال متفيّئة عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ عن أيمانها وشمائلها اى عن جانبَى كلّ واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعلّ توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وهما حالان من الضمير فى ظلاله ، والمراد من السجودِ الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلةُ اذا مالت لكثرة الحَمْل وسجد البعيرُ اذا طأطأ رأسه ليُركَب او سُجّدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير اللّه تعالى من جانب الى جانب منقادةً لما قدّر لها من التفيّؤ او واقعةً على الارض ملتصقةً بها على هيئة الساجد والاجرامُ فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال اللّه تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لانّ من جملتها من يَعقل او لانّ الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمينُ الفَلَك وهو جانبه الشرقى لانّ الكواكب تظهر منه آخذةً فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربىّ المقابل له فانّ الظلال فى اوّل النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربىّ من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقىّ من

الارض (٥١) وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ اى ينقاد انقيادا يعمّ الانقياد لارادته وتأثيره طبعا جزء ١٤
والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصحّ اسناده الى عامّة اهل السموات والارض ، وقوله مِنْ دَابَّةٍ بيان لهما لانّ ركوع ١٢
الدبيب هو الحركة الجسمانيّة سواء كانت فى ارض او سماء وَٱلْمَلَائِكَةُ عطف على المبيّن به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجرّدات على الجسمانيّات ، وبه احتجّ من قال انّ الملائكة ارواح مجرّدة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم ، وما لمّا استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من اطلاق مَنْ تغليبا للعقلاء وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادته (٥٢) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ، والجملة حال من الضمير فى يستكبرون او بيان له وتقرير لانّ من خاف اللّٰه لم يستكبر عن عبادته وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
من الطاعة والتدبير ، وفيه دليل على انّ الملائكة مكلّفون مُدارون بين الخوف والرجاء (٥٣) وَقَالَ ٱللّٰهُ لَا ركوع ١٣
تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ذكر العدد مع انّ المعدود يدلّ عليه دلالة على انّ مساق النهى اليه او ايماء بانّ الاثنينيّة تنافى الالهيّة كما ذكر الواحد فى قوله إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ للدلالة على انّ المقصود اثبات الوحدانيّة دون الالهيّة او للتنبيه على انّ الوحدة من لوازم الالهيّة فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ نقل من الغيبة الى التكلّم مبالغة فى الترهيب وتصريحا بالمقصود كانّه قال فأنا ذلك الاله الواحد فايّاى فارهبون لا غيرى (٥٤) وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ خلقا وملكا وَلَهُ ٱلدِّينُ اى الطاعة وَاصِبًا لازما لما تقرّر من انّه الاله وحده والحقيق بان يُرهَب منه وقيل واصبا من الوَصَب اى وله الدين ذا كُلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أَفَغَيْرَ ٱللّٰهِ تَتَّقُونَ ولا ضارّ سواه كما لا نافع غيره كما قال (٥٥) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللّٰهِ اى وأىّ شيء اتّصل بكم من نعمة فهو من اللّٰه وما شرطيّة او موصولة متضمّنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فانّ استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانّها من اللّٰه لا لحصولها منه ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ فما تتضرّعون الّا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة (٥٦) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ وهم كفّاركم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عامّا فان كان خاصّا بالمشركين كان مِنْ للبيان كانّه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون مِنْ للتبعيض على ان يَعتبر بعضهم كقوله تعالى فلمّا نجّاهم الى البرّ فمنهم مقتصد (٥٧) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ من نعمة الكشف عنهم كانّهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من اللّٰه فَتَمَتَّعُوا امر تهديد فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ اغلظ وعيده وقرئ فيُمتَّعوا مبنيّا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (٥٨) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ اى لآلهتهم التى لا علم لها لانّها جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها

جزء ١٤ جهالات مثل أنّها تنفعهم وتشفع لهم على أنّ العائد الى ما محذوف او لجهلهم على أنّ ما مصدرية
ركوع ١٣ والمجهول منه محذوف للعلم به نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الزروع والانعام تَاللّٰهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ
من أنّها آلهة حقيقة بالتقرّب اليها وهو وعيد لهم عليه (٥٨) وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ كانت خزاعة وكنانة
يقولون الملائكة بنات اللّٰه سُبْحَانَهُ تنزيه له من قولهم او تعجّب منه وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ يعنى البنين
ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على انّ الجعل بمعنى الاختيار وهو
وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنّه لا يبعد تجويزه فى المعطوف
(٦٠) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ أُخبر بولادتها ظَلَّ وَجْهُهُ صار او دام النهارَ كلّه مُسْوَدًّا من الكآبة والحياء
من الناس واسودادُ الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وَهُوَ كَظِيمٌ مملوء غيظا على المرأة (٦١) يَتَوَارَىٰ
مِنَ الْقَوْمِ يستخفى منهم مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ من سوء المبشّر به عرفا أَيُمْسِكُهُ محدّثا نفسه متفكّرا
فى ان يتركه عَلَىٰ هُونٍ ذلّ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ اى يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ مَا وقرئ
بالتأنيث فيهما أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محلّه عندهم
(٦٢) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ صفة السوء وهى الحاجةُ الى الولد المنادية بالموت واستبقاء
الذكور استظهارا بهم وكراهةُ الاناث ووأدهنّ خشيةَ الاملاق وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وهو الوجوب الذاتىّ
والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ المتفرّد بكمال القدرة
ركوع ١٤ والحكمة (٦٣) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ بكفرهم ومعاصيهم مَا تَرَكَ عَلَيْهَا على الارض وانّما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابّة عليها مِنْ دَابَّةٍ قطّ بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجُعَل
يهلك فى جُحره بذنب ابن آدم او من دابّة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء
وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى سمّاه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ بل هلكوا او عُذّبوا حـ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون
كلّهم ظالمين حتّى الانبياء لجواز أن يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم (٦٤) وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا
يَكْرَهُونَ اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرئاسة والاستخفاف بالرُسُل وأراذل الاموال
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ مع ذلك وهو أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ اى عند اللّٰه كقوله ولئن رجعتُ الى ربّى انّ لى
عنده لَلحسنى وقرئ الْكُذُبَ جمع كَذوب صفة للألسنة لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ردٌّ لكلامهم واثباتٌ
لضدّه وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ مقدّمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدّمته وقرأ نافع بكسر الراء على
انّه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرّطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى

الظلمات (٦٣) تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فأصرّوا على قبائحها جزء ۱۴
وكفروا بالمرسلين فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ اى فى الدنيا وعبّر باليوم عن زمانها او فهو وليّهم حين كان يزيّن ركوع ۱۴
لهم او يومَ القيامة على انّه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش اى زيّن الشيطان للكفرة المتقدّمين اعمالهم وهو وليّ هؤلاء اليوم يغرّهم ويغويهم وأن يقدّر مضاف اى فهو وليّ امثالهم ؛ والوليّ القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى القيامة (٦٤) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ للناس الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ معطوفان على محلّ لتبيّن فانّهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (٦٥) وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا انبت فيها انواع النبات بعد يبسها إِنَّ فِي
ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماعَ تدبّر وانصاف (٦٦) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً دلالة يُعبَر بها من الجهل الى ركوع ۱۵
العلم نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ استيناف لبيان العبرة وانّما ذكّر الضمير ووحّده ههنا للّفظ وأنّثه فى سورة المؤمنين للمعنى فانّ الأنعام اسمُ جمع ولذلك عدّه سيبويه فى المفردات المبنيّة على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انّه جمعُ نَعَم جعل الضمير للبعض فانّ اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فانّ المراد به الجنس ؛ وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نَسقيكم بالفتح مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا فانّه يُخلَق من بعض اجزاء الدم المتولّد من الاجزاء اللطيفة الّتى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عبّاس رضه انّ البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعلّه إن صحّ فالمراد انّ اوسطه يكون مادّة اللبن واعلاه مادّة الدم الّذى يغذى البدن لانّهما لا يتكوّنان فى الكرش بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش وتُبقى ثُفله وهو الفرث ثمّ تمسكها ريثما تهضمها هضما ثانيا فتُحدث اخلاطا اربعة معها مائيّة فتميّز القوّة المميّزة تلك المائيّة بما زاد على قدر الحاجة من المرّتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثمّ توزّع الباقى على الاعضاء بحسبها فتُجرى الى كلّ حقّه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثمّ ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اوّلا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصبّ ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيضّ بمجاورة لحومها الغُدديّة البيض فيصير لبنا ومن تدبّر صُنع اللّه فى إحداث الاخلاط والالبان وإعداد مقارّها ومجاريها والاسباب المولّدة لها والقوى المتصرّفة فيها كلّ وقت على ما يليق به اضطُرّ الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ؛ ومن الاولى تبعيضيّة لانّ اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائيّة كقولك سُقيت من الحوض لانّ بين الفرث والدم المحلّ الّذى يبتدئ منه الإسقاء وهى متعلّقة بنسقيكم او حال من لبنا قُدّم عليه لتنكيره وللتنبيه على انّه موضع العبرة خَالِصًا صافيا لا يستصحب لون

جزء ١٤ الدم ولا رائحة الفرث او صافيا عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ

ركوع ١٥ سهل المرور فى حلقهم وقرئ سَيِّغًا بالتشديد والتخفيف (٦٧) وَمِنْ ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ متعلّق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وقوله تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا استيناف لبيان الاسقاء او تتّخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبرٌ لمحذوف صفته تتّخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتّخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاوّلين لانّه للمضاف المحذوف الّذى هو العصير او لانّ الثمرات بمعنى الثمر ، والسَّكَر مصدر سُمّى به الخمر وَرِزْقًا حَسَنًا كالتمر والزبيب والدبس والخلّ ـ والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالّة على كراهتها والّا فجامعة بين العتاب والمنّة وقيل السكر النبيذ وقيل الطُّعْم قال ٭ جَعَلْتَ أَعْرَاضَ الكرام سَكَرا ٭ اى تنقّلت بأعراضهم وقيل ما يسدّ الجوع من السَّكْر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمّل فى الآيات (٧٠) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ النَّحَل بفتحتين أَنِ ٱتَّخِذِي بأن اتّخذى ويجوز ان تكون مفسّرة لانّ فى الايحاء معنى القول ، وتأنيث الضمير على المعنى فانّ النحل مذكّر مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ذكر بحرف التبعيض لانّها لا تبنى فى كلّ جبل وكلّ شجر وكلّ ما يعرش من كرم او سقف ولا فى كلّ مكان منها وانّما سمّى ما تبنيه لتتعسّل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحّة القسمة الّتى لا يقوى عليها حذّاق المهندسين الّا بآلات وانظار دقيقة ولعلّ ذكره للتنبيه على ذلك ، وقرئ بِيُوتًا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وابو بكر يَعْرُشُونَ بضمّ الراء (٧١) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ من كلّ ثمرة تشتهينها مرّها وحلوها فَٱسْلُكِي ما اكلت سُبُلَ رَبِّكِ فى مسالكه الّتى يحيل فيها بقدرته النَّوْر المرّ عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق الّتى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربّك لا تتوعّر عليك ولا تلتبس ذُلُلًا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذلّلة ذلّلها الله وسهّلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذُلُل منقادة لما أُمرت به يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا كانّه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانّه محلّ الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شَرَابٌ يعنى العسل لانّه ممّا يُشرب ، واحتجّ به من زعم انّ النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثمّ تقىء ادّخارا للشتاء ومن زعم انّها تلتقط بافواهها اجزاء طلّيّة حلوة صغيرة متفرّقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادّخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شىء كثير منها كان العسل فسّر البطون بالافواه مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سنّ النحل والفصل فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ امّا بنفسه كما فى الامراض البلغميّة او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلّما يكون معجون الّا والعسل جزء منه مع انّ التنكير فيه مُشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن

قتادة انّ رجلا جاء الى رسول اللّه صلعم فقال انّ اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثمّ جزء ١٤
رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق اللّه وكذب بطن اخيك فسقاه ركوع ١٥
فشفاه اللّه فبرأ فكانّما أنشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بيّن اللّه من احوال النحل
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فانّ من تدبّر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حقّ التدبّر علم قطعا انّه لا بدّ له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه
(٧٢) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ بآجال مختلفة وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ يعاد إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ اخسّه يعنى الهرم
الّذى يشابه الطفوليّة فى نقصان القوّة والعقل وقيل هو خمس وتسعون وقيل خمس وسبعون
لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفوليّة فى النسيان وسوء الفهم إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
بمقادير اعماركم قَدِيرٌ يميت الشابّ النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على انّ تفاوت آجال الناس
ليس الّا بتقدير قادر حكيم ركّب ابنيتهم وعدّل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (٧٣) وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فمنكم غنىّ ومنكم فقير ومنكم ركوع ١٩
موال يتولّون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ
بمعطى رزقهم عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ على مماليكهم فانّ ما يردّون عليهم رزقهم الّذى جعله اللّه فى
ايديهم فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ فالموالى والمماليك سواء فى انّ اللّه رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفيّة او مقرّرة لها
ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانّه قيل فما الّذين فضّلوا برادّى رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فيستووا فى الرزق على انّه ردّ وانكار على المشركين فانّهم يشركون باللّه بعض مخلوقاته فى الالوهيّة
ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم اللّه عليهم فيساووهم فيه أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ حيث
يتّخذون له شركاء فانّه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم اللّه عليهم ويجحدوا انّه من عند
اللّه او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم اللّه عليهم بايضاحها ، والباء لتضمّن الجحود معنى
الكفر ، وقرأ ابو بكر تَجْحَدُونَ بالتاء لقوله خلقكم وفضّل بعضكم (٧٤) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوّاء من آدم وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً واولاد اولاد او وبنات فانّ الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى
البيوت اتمّ خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم
والعطف لتغاير الوصفين وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض فانّ المرزوق
فى الدنيا انموذج منها أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وهو انّ الاصنام تنفعهم او انّ من الطيّبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوائب وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرّموا ما احلّ اللّه
لهم ، وتقديم الصلة على الفعل امّا للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل

جزء ١٤ ركوع ١٦ (٧٥) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا من مطر ونبات ؛ ورزقًا ان جعلتَه مصدرا فشيـًٔا منصوب به والّا فبدل منه وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ان يتملّكوه او لا استطاعةَ لهم اصلًا ، وجمعُ الضمير فيه وتوحيدُه فى لا يملك لانّ مَا مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفّار اى ولا يستطيع هؤلاء مع انّهم احياء متصرّفون شيـًٔا من ذلك فكيف بالجماد (٧٦) فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ ٱلْأَمْثَالَ فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فانّ ضرب المثل تشبيه حال بحال إِنَّ ٱللّٰهَ يَعْلَمُ فسادَ ما تعوّلون عليه من القياس على انّ عبادةَ عَبيدِ الملك ادخلُ فى التعظيم من عبادته وعِظَمَ جُرْمكم فيما تفعلون وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك ولو علمتموه لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهى او انّه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصّه ويجوز ان يراد فلا تضربوا للّه الامثال فانّه يعلم كيف تُضرَب الامثال وانتم لا تعلمون ثمّ علّمهم كيف تُضرَب فضرب مثلا لنفسه ولمن عُبد دونه فقال (٧٧) ضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ مثّل ما يُشْرَك به بالمملوك العاجز عن التصرّف رأسا ومثّل نفسه بالحرّ المالك الّذى رزقه اللّه مالا كثيرا فهو يتصرّف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتجّ بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسيّة والمخلوقيّة على امتناع التسوية بين الاصنام الّتى هى اعجز المخلوقات وبين اللّه الغنىّ القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفّق وتقييدُ العبد بالمملوكيّة للتمييز عن الحرّ فانّه ايضا عبد للّه وبسلب القدرة للتمييز عن المُكاتَب والمأذون وجعلُه قسيما للمالك المتصرّف يدلّ على انّ المملوك لا يملك والاظهر انّ مَنْ موصوفة لتطابق عبدا وجمعُ الضمير فى يستوون لانّه للجنسين فانّ المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كلُّ الحمد له لا يستحقّه غيرُه فضلا عن العبادة لانّه مولى النعم كلّها بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فيضيفون نِعَمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (٧٨) وَضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ وُلد اخرس لا يَفْهَم ولا يُفْهِم لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ عيال وثِقْل على من يلى امره أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ حيثما يرسله مولاه فى امر وقرئ يُوَجَّهْ على البناء للمفعول ويَوَجِّهْ بمعنى يتوجّه كقوله اينما أُوجِّهْ أَلْقَ سَعْدًا وتَوَجَّهَ بلفظ الماضى لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ بنُجْح وكفاية مُهِمّ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ومن هو فهِمٌ منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثّهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو فى نفسه على طريق مستقيم لا يتوجّه الى مَطْلب الّا ويبلغه بأقرب سَعْى وانّما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانّهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثانٍ ضربه اللّه لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر

ركوع ١٧ (٧٩) وَلِلّٰهِ غَيْبُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يختصّ به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدلّ عليه محسوس وقيل يوم القيامة فانّ علمه غائب عن

امر السموات والارض وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ الا كرجع جزء ١٤
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها أَوْ هُوَ أَقْرَبُ او امرها اقرب منه بأن يكون فى زمان نصف تلك الحركة ركوع ١٧
بل فى الآن الذى تبتدئ فيه فانّه تعالى يحيى الخلائق دفعةً وما يوجد دفعةً كان فى آنٍ وأو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه انّ قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء الذى تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغةً فى استقرابه إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر ان يحيى الخلائق دفعةً كما قدر ان أحياهم متدرّجا ثمّ دلّ على قدرته فقال (٨٠) وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ وقرأ الكسائىّ بكسر الهمزة على انّه لغةٌ او إتباعٌ لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم، والهاء مزيدة مثلها فى اهراق لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا جهّالا مستصحبين جهل الجمادية وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ اداة تتعلّمون بها فتحسّون بمشاعركم جزئيّات الاشياء فتدركونها ثمّ تتنبّهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرّر الاحساس حتّى يتحصّل لكم العلوم البديهيّة وتتمكّنوا من تحصيل المعالم الكسبيّة بالنظر فيها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ كى تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه (٨١) أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انّه خطاب للعامّة مُسَخَّرَٰتٍ مذلّلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ فى الهواء المتباعد من الارض مَا يُمْسِكُهُنَّ فيه إِلَّا ٱللَّهُ فانّ ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ تسخيرَ الطير للطيران بأن خلقها خِلْقةً يمكن معها الطيران وخَلْق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانّهم هم المنتفعون بها (٨٢) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتّخذة من الحجر والمدر فَعَلٌ بمعنى مفعول وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا هى القباب المتّخذة من الأدم ويجوز ان يتناول المتّخذة من الوبر والصوف والشعر فانّها من حيث انّها نابتة على جلودها يصدق عليها انّها من جلودها تَسْتَخِفُّونَهَا تجدونها خفيفة يخفّ عليكم حملها ونقلها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وقتَ ترحالكم وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ووضعها وضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيّان والبصريّان يَوْمَ ظَعَنِكُمْ بالفتح وهو لغة وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانّها من جملتها أَثَٰثًا ما يُلْبَس ويُفرش وَمَتَٰعًا ما يتّجر به إِلَىٰ حِينٍ الى مدّة من الزمان فانّها لصلابتها تبقى مدّة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم (٨٣) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظِلَٰلًا تتّقون بها حرّ الشمس وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا مواضع تستكنّون بها من الكهوف والبيوت

جزء ١٤ المنحوتة فيها جمع كِنّ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تَقِيكُمُ الْحَرَّ
ركوع ١٧ خصّه بالذكر اكتفاء بأحد الضدّين او لانّ وقاية الحرّ كانت اهمّ عندهم وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ
يعنى الدروع والجواشن والسربال يعمّ كلّ ما يلبس كَذٰلِكَ كاتمام هذه النعم التى تقدّمت يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تَسْلَمُونَ من السلامة
اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع (٨٤) فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا ولم يقبلوا منك فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ فلا يضرّك فانّما عليك
البلاغ وقد بلّغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبّب (٨٥) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّٰهِ اى يعرف المشركون
نعمه التى عدّدها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانّها من الله ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا بعبادتهم غيرَ المنعم بها
وقولهم انّها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوّة محمّد
صلعم عرفوها بالمعجزات ثمّ انكروها عنادا ، ومعنى ثمّ استبعاد الانكار بعد المعرفة وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ
الجاحدون عنادا ، وذكر الاكثر امّا لانّ بعضهم لم يعرف الحقّ لنقصان العقل او التفريط فى النظر
او لم يقم عليه الحجّة لانّه لم يبلغ حدّ التكليف وامّا لانّه قائم مقام الكلّ كما فى قوله بل اكثرهم لا
ركوع ١٨ يعلمون (٨٦) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وهو نبيّها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا ، وثمّ لزيادة ما يحيق بهم
من شدّة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلّى على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ولا هم يسترضون من العتبى وهى الرضا ، وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او
خوّفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله (٨٧) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ عذاب جهنّم
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العذاب وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ يمهلون (٨٨) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ اوثانهم
التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قَالُوا رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا
الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانّهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس
لأن يشطّر عذابهم فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ اى اجابوهم بالتكذيب فى انّهم شركاء لله او
انّهم عبدوهم حقيقة وانّما عبدوا اهواءهم كقوله كلّا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنامَ
به حينئذ او فى انّهم حملوهم على الكفر والزموهم ايّاه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الّا ان
دعوتكم فاستجبتم لى (٨٩) وَأَلْقَوْا والقى الذين ظلموا إِلَى اللّٰهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ الاستسلام لحكمه بعد
الاستكبار فى الدنيا وَضَلَّ عَنْهُمْ وضاع عنهم وبطل مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من انّ آلهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذّبوهم وتبرّءوا منهم (٩٠) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ بالمنع عن الاسلام والحمل على

الكفر زِدْنَاهُمْ عَذَابًا لصدّهم فَوْقَ ٱلْعَذَابِ المستحقّ بكفرهم بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ بكونهم مفسدين جزء ۱۴
بصدّهم (۹۱) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يعنى نبيّهم فانّ نبىّ كلّ امّة بعث منهم ركوع ۱۸
وَجِئْنَا بِكَ يا محمّد شَهِيدًا عَلَى هٰؤُلَآءِ على امّتك وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ استيناف او حال باضمار قد تِبْيَانًا
بيانا بليغا لِكُلِّ شَيْءٍ من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنّة او القياس وَهُدًى وَرَحْمَةً
للجميع وانّما حرمان المحروم من تفريطه وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ خاصّة (۹۲) إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ بالتوسّط ركوع ۱۹
فى الامور اعتقادًا كالتوحيد المتوسّط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسّط بين محض
الجبر والقدر وعملًا كالتعبّد باداء الواجبات المتوسّط بين البطالة والترهّب وخُلُقًا كالجود المتوسّط
بين البخل والتبذير وَٱلْإِحْسَانِ احسان الطاعات وهو امّا بحسب الكمّيّة كالتطوّع بالنوافل او بحسب
الكيفيّة كما قال عم الاحسان ان تعبد اللّه كانّك تراه فان لم تكن تراه فانّه يراك وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَى
واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ عن الافراط
فى متابعة القوّة الشهويّة كالزنا فانّه اقبح احوال الانسان واشنعها وَٱلْمُنْكَرِ ما ينكر على متعاطيه فى اثارة
القوّة الغضبيّة وَٱلْبَغْيِ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبّر عليهم فانّها الشيطنة ٱلّتى هى مقتضى
القوّة الوهميّة ، ولا يوجد من الانسان شرّ الّا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسّط احدى هذه
القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضه هى اجمع آية فى القران للخير والشرّ وصارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون ولو لم يكن فى القران غيرُ هذه الآية لصدق عليه انّه تبيان لكلّ شىء وهدى ورحمة
للعالمين ولعلّ ايرادها عقيبَ قوله ونزّلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يَعِظُكُمْ بالامر والنهى والميز بين
الخير والشرّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتّعظون (۹۳) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللّٰهِ يعنى البيعة لرسول اللّه صلعم على الاسلام
لقوله تعالى انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون اللّه وقيل كلّ امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله
إِذَا عَاهَدْتُمْ وقيل النذور وقيل الأيمان باللّه وَلَا تَنْقُضُوا ٱلْأَيْمَانَ أيمان البيعة او مطلق الأيمان
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا توثيقها بذكر اللّه ومنه أكّد بقلب الواو همزة وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا
شاهدًا بتلك البيعة فانّ الكفيل مراعٍ لحال المكفول به رقيب عليه إِنَّ ٱللّٰهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ من نقض
الايمان والعهود (۹۴) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ما غزلته مصدر بمعنى المفعول مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ متعلّق
بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام أَنْكَاثًا طاقات نكثت فتلها جمع نِكْث وانتصابه على
الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانّه بمعنى صيّرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنها
وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشيّة فانّها كانت خرقاء تفعل ذلك تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ
حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجارّ الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا متشبّهين بامرأة هذا شأنها

جزء ١٤ متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم ، وأصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ
ركوع ١٩ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ بأن تكون جماعة أزيد عددا واوفر مالا من جماعة ، والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم
وقلّتهم او لكثرة منابذيهم وقوّتهم كقريش فانّهم كانوا اذا رأوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا اعداءهم إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِ الضمير لأن تكون امّة لانّه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم
اربى لينظر اتتمسّكون بحبل الوفاء بعهد اللّه وبيعة رسول اللّه ام تغترّون بكثرة قريش وشوكتهم
وقلّة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربا وقيل للامر بالوفاء وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (٩٥) وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً متفقة على
الاسلام وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بالخذلان وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالتوفيق وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سؤال
تبكيت ومجازاة (٩٦) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا
ومبالغة فى قبح المنهى فَتَزِلَّ قَدَمٌ اى عن محجّة الاسلام بَعْدَ ثُبُوتِهَا عليها والمراد اقدامهم وانّما وحّد
ونكّر للدلالة على انّ زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة وَتَذُوقُوا ٱلسُّوءَ العذاب فى الدنيا
بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بصدودكم عن الوفاء او صدّكم غيركم عنه فانّ من نقض البيعة وارتدّ
جعل ذلك سنّة لغيره وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فى الآخرة (٩٧) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ ولا تستبدلوا عهد اللّه
وبيعة رسوله صلعم ثَمَنًا قَلِيلًا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم
على الارتداد إِنَّمَا عِنْدَ ٱللَّهِ من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ممّا يعدونكم
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان كنتم من اهل العلم والتمييز (٩٨) مَا عِنْدَكُمْ من اعراض الدنيا يَنْفَدُ ينقضى
ويفنى وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ من خزائن رحمته بَاقٍ لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على انّ نعيم اهل
الجنّة باق وَلَيَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ على الفاقة واذى الكفّار او على مشاقّ التكاليف وقرأ ابن
كثير وعاصم بالنون بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بجزاء احسن من اعمالهم (٩٩) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص
وَهُوَ مُؤْمِنٌ اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانّما المتوقّع عليها تخفيف العقاب
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فى الدنيا يعيش عيشا طيّبا فانّه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب
عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقّع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانّه ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنّأ بعيشه وقيل فى الآخرة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الطاعة (١٠٠) فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى

الصلوة فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلّا يوسوسك فى القراءة جزء ١٤
والجمهور على انّه للاستحباب وفيه دليل على انّ المصلّى يستعيذ فى كلّ ركعة لانّ الحكم المرتّب على ركوع ١٩
شرط يتكرّر بتكرّره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذانٌ بانّ الاستعاذة عند القراءة
من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح
المحفوظ (١٠١) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ تسلّط وولاية عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ على اوليائه
المؤمنين به والمتوكّلين عليه فانّهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الّا فيما يحتقرون على
ندور وغفلة ولذلك أُمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلّا يُتوهّم منه انّ له سلطانا
(١٠٢) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ يحبّونه ويطيعونه وَٱلَّذِينَ هُمْ بِهِ بالله او بسبب الشيطان
مُشْرِكُونَ (١٠٣) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما ركوع ٢٠
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ من المصالح فلعلّ ما يكون مَصْلَحة فى وقت يصير مَفْسَدة بعده فينسخه وما لا
يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه، وقرأ ابن كثير وابو عمرو يُنْزِلُ بالتخفيف
قَالُوا اى الكفرة إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ متقوّل على الله تأمر بشىء ثمّ يبدو لك فتنهى عنه وهو جوابُ اذا
والله اعلم بما ينزّل اعتراض لتوبيخ الكفّار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حكمةَ الأحكام ولا يميّزون الخطاء من الصواب (١٠٤) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ يعنى
جبريل واضافةُ الروح الى القدس وهو الطُهْر كقولهم حاتم الجُودِ وقرأ ابن كثير رُوحُ ٱلْقُدْسِ بالتخفيف،
وفى ينزّل ونزّله تنبيه على انّ انزاله مدرّجا على حسب المصالح ممّا يقتضى التبديل مِنْ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ
ملتبسا بالحكمة لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا على الايمان بانّه كلامه فانّهم اذا سمعوا الناسخ وتدبّروا ما فيه من
رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنّت قلوبهم وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ المنقادين لحكمه
وهما معطوفان على محلّ ليثبّت اى تثبيتا وهدايةً وبشارةً وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم،
وقرئ لِيُثْبِتَ بالتخفيف (١٠٥) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ يعنون جبرا الرومىّ غلام عامر
ابن الحضرمىّ وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكّة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول
يمرّ عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حُوَيْطب بن عبد العُزّى قد اسلم وكان صاحب كُتُب
وقيل سلمان الفارسىّ لِسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ لغة الرجل الّذى يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائىّ يَلْحَدُونَ بفتح الياء والحاء لسانُ اعجمىٌّ غير بيّن
وَهٰذَا القرآن لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل
وجهين احدهما انّ ما سمعه منه كلام اعجمىّ لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربىّ تفهمونه بأدنى تأمّل

جزء ١٤ فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلّم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه
ركوع ٢٠ اللفظ لانّ ذلك اعجمىّ وهذا عربىّ والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع انّ العلوم الكثيرة الّتى فى القرآن لا يمكن تعلّمها الّا بملازمة معلّم فائق فى تلك العلوم مدّةً متطاولةً فكيف تعلّم جميع ذلك من غلام سوقىّ سمع منه بعض اوقات مروره عليه كُلَيْمات اعجميّة لعلّهما لم يعرفا معناها وطعنُهم فى القران بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليلٌ على غاية عجزهم (١٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ لا يصدّقون انّها من عند اللّه لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ الى الحقّ او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنّة وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة هدّدهم على كفرهم بالقران بعد ما اماط شبهتهم وردّ طعنهم فيه ثمّ قلب الامر عليهم فقال (١٠٧) إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ لانّهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وَأُولَٰئِكَ اشارة الى الّذين كفروا او الى قريش هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لانّ تكذيب آيات اللّه والطعن فيها بهذه الخرافات اعظمُ الكذب او الّذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انّما انت مفترٍ انّما يعلّمه بشر (١٠٨) مَنْ كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ بدلٌ من الّذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبرُه محذوف دلّ عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن ينتصب بالذمّ وأن يكون مَنْ شرطيّةً محذوفةَ الجواب إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متّصل لانّ الكفر لغةً يعمّ القول والعقد كالايمان وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ لم يتغيّر عقيدته وفيه دليل على انّ الايمان هو التصديق بالقلب وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا اعتقده وطاب به نفسا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ اذ لا اعظم من جُرْمه روى انّ قريشا اكرهوا عمّارا وابويه ياسرا وسُمَيّة على الارتداد فربطوا سميّة بين بعيريْن ووجئ بحربة فى قُبُلها وقالوا انّك اسلمتِ من اجل الرجال فقُتلتْ وقتلوا ياسرا وهما اوّل قتيلَيْن فى الاسلام واعطاهم عمّار بلسانه ما ارادوا مُكْرَهًا فقيل يا رسول اللّه انّ عمّارا كفر فقال كلّا انّ عمّارا مُلِئَ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمّار رسولَ اللّه وهو يبكى فجعل رسول اللّه يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعُدْ لهم بما قلتَ وهو دليل على جواز التكلّم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يُتجنّب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى انّ مُسَيْلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمّد قال رسول اللّه قال فما تقول فىّ قال انت ايضا فخلّاه وقال للآخر ما تقول فى محمّد قال رسول اللّه قال فما تقول فىّ قال انا اصمّ فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسولَ اللّه صلعم فقال امّا الاوّل فقد اخذ برُخْصة اللّه وامّا الثانى فقد صدع بالحقّ فهنيئا له (١٠٩) ذَٰلِكَ اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ بسبب انّهم آثروها عليها وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ اى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا

يعصمهم عن الزيغ (١١٠) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ فأبَتْ عن ادراك الحقّ جزء ١٤
والتأمّل فيه وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبّر العواقب ركوع ٢٠
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ اذ ضيّعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلّد
(١١١) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا اى عُذّبوا كعمّار بالولاية والنصر وثمّ لتباعد حال
هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فَتَنُوا بالفتح اى من بعد ما عذّبوا المؤمنين كالحضرميّ أكره
مولاه جبرا حتّى ارتدّ ثمّ اسلما وهاجرا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوا على الجهاد وما اصابهم من المشاقّ إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا من بعد الهجرة والجهاد والصبر لَغَفُورٌ لما فعلوا قبلُ رَحِيمٌ ينعم عليهم مجازاةً على ما صنعوا
بعدُ (١١٢) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ منصوب برحيم او باذكر تُجَٰدِلُ عَنْ نَفْسِهَا تجادل عن ذاتها وتسعى في ركوع ٢١
خلاصها لا يهمّها شأنُ غيرها فتقول نفسي نفسي وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ جزاء ما عملت وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
لا يُنقصون اجورَهم (١١٣) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً اى جعلها مثلا لكلّ قوم انعم الله عليهم فابطرتْهم النعمة
فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكّة كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لا يزعج اهلها خوفٌ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا اقواتها رَغَدًا
واسعا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ من نواحيها فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ بنعمه جمعُ نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وأدرع او جمعُ نُعم كبُؤس وأبؤس فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ استعار الذوق لادراك اثر الضرر
واللباسَ لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثيّر

غَمْرُ الرداء اذا تبسّم ضاحكا غَلِقتْ لضَحْكته رِقابُ المال

فانّه استعار الرداء للمعروف لانّه يصون عِرْضَ صاحبه صونَ الرداء لما يُلقَى عليه واضاف اليه الغمر الّذى
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد يُنظَر الى المستعار كقوله

ينازعنى ردائى عبدُ عمرو رُوَيْدَك يا اخا عمرو بن بكر
لِىَ الشَّطْرُ الّذى ملكتْ يمينى ودُونك فاعتجرْ منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثمّ قال فاعتجر نظرا الى المستعار بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بصنيعهم (١١٤) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِنْهُمْ يعنى محمّدا صلعم والضمير لاهل مكّة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مَثَلهم فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ
ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ اى حالَ التباسهم بالظلم والعذابُ ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر
(١١٥) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ امرهم بأكل ما احلّ الله لهم وشكرِ ما انعم
عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهدّدهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الّذى حلّ بهم صدّا

جزء ۱۴ لهم من شنائع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ تطيعون او ان صحّ زعمكم انكم
رکوع ۲۲ تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (۱۱۶) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لمّا امرهم بتناول ما احلّ لهم عدّد عليهم محرّماته ليُعلَم انّ ما عداها حلّ لهم ثمّ اكّد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (۱۱۷) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانّما حصْرُ المحرّمات في الاجناس الاربعة الّا ما ضمّ اليها دليلٌ كالسباع والحمر الاهليّة ، وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلّق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعولُ لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدريّة اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرّموا ولا تحلّلوا بمجرّد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصفُ السنتهم الكذب مبالغةٌ في وصف كلامهم بالكذب كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرّفها بكلامهم هذا ولذلك عُدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر ، وقرئ الْكَذِبِ بالجرّ بدلا من مَا وَالْكُذُبُ جمع كَذُوب او كِذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذمّ او بمعنى الكلم الكواذب لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ تعليل لا يتضمّن الغرض إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ لمّا كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبيّنه بقوله (۱۱۸) مَتَاعٌ قَلِيلٌ اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعةٌ قليلةٌ تنقطع عن قريب وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة (۱۱۹) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ اى في سورة الانعام في قوله وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر مِن قَبْلُ متعلّق بقصصنا او بحرّمنا وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ بالتحريم وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانّه كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة (۱۲۰) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ بسببها او ملتبسين بها ليعمّ الجهلَ باللّه وبعقابه وعدمَ التدبّر في العواقب لغلبة الشهوة ، والسوء يعمّ الافتراء على اللّه وغيره ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا من بعد التوبة لَغَفُورٌ لذلك السوء رَحِيمٌ
رکوع ۲۳ يثيب على الانابة (۱۲۱) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الّا مفرّقة في اشخاص كثيرة كقوله

ليس من اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو رئيس الموحّدين وقدوة المحقّقين الّذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقّب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوّة وتحريم ما احلّه

جزء ١٤ او لأنّه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفّارا وقيل هى فُعْلة بمعنى مفعول كالرُحْلة والنُخْبة من
ركوع ٢٢ أمّه اذا قصده او اقتدى به فانّ الناس كانوا يؤمّونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انّى جاعلك
للناس اماما قَانِتًا لِلّٰهِ مُطيعا له قائما بأوامره حَنِيفًا مائلا عن الباطل وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ كما
زعموا فانّ قريشا كانوا يزعمون انّهم على ملّة ابرٰهيم (١٢١) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ذكر بلفظ القلّة للتنبيه على
انّه كان لا يُخلّ بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ٱجْتَبَاهُ للنبوّة وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ فى الدعوة
الى اللّه (١٢٢) وَآتَيْنَاهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً بأن حبّبه الى الناس حتّى انّ ارباب الملل يتولّونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيّبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وَإِنَّهُ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ لمن اهل الجنّة كما سأله
بقوله وألحقنى بالصالحين (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يا محمّد ، وثمّ امّا لتعظيمه والتنبيه على انّ اجلّ ما
اوتى ابرٰهيم اتّباعُ الرسول عم ملّته او لتراخى ايّامه أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا فى التوحيد والدعوة اليه
بالرفق وايراد الدلائل مرّة بعد اخرى والمجادلة مع كلّ احد على حسب فهمه وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ بل
كان قدوة الموحّدين (١٢٤) إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ تعظيم السبت والتخلّى فيه للعبادة عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ
اى على نبيّهم وهم اليهود امرهم موسى عم ان يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت
لأنّه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فألزمهم اللّه السبت وشدّد الامر عليهم وقيل معناه انّما جُعل
وبال السبت وهو المسخ على الّذين اختلفوا فيه فأحلّوا الصيد فيه تارةً وحرّموه اخرى واحتالوا له
الحِيَل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية الّتى كفرت بانعم اللّه وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كلّ فريق بما يستحقّه (١٢٥) ٱدْعُ
من بُعثت اليهم إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ الى الاسلام بِٱلْحِكْمَةِ بالمقالة المُحْكَمة وهو الدليل الموضح للحقّ المزيح
للشبهة وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ والخطابات المُقنعة والعِبَر النافعة فالاولى لدعوة خواصّ الامّة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامّهم وَجَادِلْهُم وجادل معانديهم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ بالطريقة الّتى هى احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدّمات الّتى هى اشهر فانّ ذلك انفع فى تسكين لهبهم
وتليين شغبهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ اى انّما عليك البلاغ والدعوة
وامّا حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل اللّه اعلم بالضالّين والمهتدين وهو المجازى لهم
(١٢٦) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ لمّا امره بالدعوة وبيّن طُرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك
المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فانّ الدعوة لا تنفكّ عنه من حيث انّها تتضمّن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح فى دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انّه عم رأى حمزة رضه وقد
مُثّل به فقال واللّه لئن اظفرنى اللّه بهم لأمثّلنّ بسبعين مكانك فنزلت فكفّر عن يمينه ، وفيه دليلٌ على
انّ للمقتصّ ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز وحثٌّ على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على

*

جزء ١٤ الوجه الاول بقوله وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ اى الصبر خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ من الانتقام للمنتقمين ثم صرّح بالامر به
ركوع ١٣ لرسوله لانّه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (١٢٨) وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ الا بتوفيقه
وتثبيته وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فِى ضِيقٍ هنا وفى النمل وهما لغتان كالقَول والقِيل ويجوز ان
يكون الضَّيْق تخفيف ضَيِّق إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا المعاصى وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فى اعمالهم
بالولاية والفضل او مع الّذين اتّقوا الله بتعظيم امره والّذين هم محسنون بالشفقة على خلقه ، عن النبىّ
صلعم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة
كان له من الاجر كالّذى مات واحسن الوصيّة ●

سُورَةُ بَنِى إِسْرَائِيلَ

مكّيّة وقيل الّا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وآيها مائة واحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٥ (١) سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا سبحان اسمٌ بمعنى التسبيح الّذى هو التنزيه وقد يُستعمل عَلَمًا له
ركوع ١ فيُقطَع عن الاضافة ويُمنَع الصرف قال

قد قلتُ لمّا جاءنى فخرُه سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ

وانتصابه بفعل متروك اظهارُه وتصديرُ الكلام به للتنزيه عن العجز عمّا ذُكر بعدُ ، وأَسْرى وسَرى بمعنى ،
وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدّة الاسراء ولذلك قرئ مِنَ ٱللَّيل اى
بعضه كقوله ومن الليل فتهجّدْ به مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ بعينه لما رُوى انّه عم قال بينا انا فى المسجد
الحرام فى الحِجْر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبُراق او من الحَرَم وسمّاه المسجد
الحرام لانّ كلّه مسجد او لانّه محيط به او ليطابق المبدأُ المنتهى لما رُوى انّه كان نائما فى بيت امّ
هانئ بعد صلوة العشاء فأُسرِى به ورجع من ليلته وقصّ القصّة عليها وقال مُثّل لى النبيّون فصلّيت بهم
ثمّ خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجّبوا منه استحالةً وارتدّ ناس ممّن آمن به وسعى رجال الى ابى
بكر رضه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدّقه على ذلك قال انّى لاصدّقه على ابعد من ذلك فسُمّى
الصدّيق واستنعته طائفةٌ سافروا الى بيت المقدس فجُلّى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا امّا
النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تَقْدَمُ يومَ كذا مع
طلوع الشمس يَقْدُمها جمل اورق فخرجوا يشتدّون الى الثنيّة فصادفوا العير كما اخبر ثمّ لم يؤمنوا

وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انّه كان في المنام او في اليقظة جزء ١٥
بروحه او بجسده والاكثر على انّه أُسري بجسده الى بيت المقدس ثمّ عُرج به الى السموات حتّى انتهى ركوع ١
الى سدرة المنتهى ولذلك تعجّب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة انّ ما بين
طرفي قُرص الشمس ضعفُ ما بين طرفي كُرة الارض مائةً ونيّفا وستّين مرّة ثمّ انّ طرفها الاسفل يصل
موضعَ طرفها الاعلى في اقلّ من ثانية وقد بُرهن في الكلام انّ الاجسام متساوية في قبول الأعراض وانّ
اللّه قادر على كلّ الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبيّ صلعم او فيما
يحمله والتعجّبُ من لوازم المعجزات إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى بيت المقدس لانّه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ببركات الدين والدنيا لانّه مَهْبط الوحي ومتعبَّد الانبياء من لدن
موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا كذهابه في برهة من الليل مسيرةَ شهر ومشاهدته بيت
المقدس وتمثُّل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم ، وصرف الكلام من الغيبة الى التكلّم لتعظيم تلك
البركات والآيات وقرئ لِيُرِيَهُ بالياء إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لاقوال محمّد صلعم ٱلْبَصِيرُ بافعاله فيكرمه ويقرّبه
على حسب ذلك (٢) وَآتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا على اى لا تتّخذوا
كقولك كتبت اليه أَنِ افعلْ كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لأن لا يتّخذوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ربّا تكلون
اليه اموركم غيرى (٣) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ألّا تتّخذوا
بالتاء او على انّه احدُ مفعولَيْ لا تتّخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان
تتّخذوا الملائكة والنبيّين اربابا وقرئ بالرفع على انّه خبرُ محذوف او بدلٌ من واو تتّخذوا وذِرّيّة
بكسر الذال وفيه تذكير انعام اللّه عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة
إِنَّهُ انّ نوحا عم كَانَ عَبْدًا شَكُورًا يحمد اللّه على مجامع حالاته وفيه ايماء بانّ انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحثٌّ للذرّيّة على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عم (٤) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
واوحينا اليهم وحيا مقضيّا مبتوتا فِي ٱلْكِتَابِ في التورية لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ جوابُ قسم محذوف او
قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مَرَّتَيْنِ افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا
وقيل ارميا وثانيهما قتل زكريّا ويحيى وقصدُ قتل عيسى عم وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ولتستكبرنّ عن
طاعة اللّه او لتظلمنّ الناس (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا وعد عقاب اولاهما بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا بُخْتَ
نَصَّرَ عاملَ لُهْراسف على بابل وجنودَه وقيل جالوت الجَزَرىّ وقيل سنحاريب من اهل نينوى أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ ذوى قوّة وبطش في الحرب شديد فَجَاسُوا فتردّدوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خِلَالَ ٱلدِّيَارِ
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرّقوا التورية وخرّبوا المسجد والمعتزلة لمّا منعوا
تسليط اللّه الكافرَ على ذلك أوّلوا البعث بالتخلية وعدم المنع وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا وكان وعد

جزء ١٥ عقابهم لا بدّ ان يفعل (٦) ثمّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ اى الدولة والغلبة عَلَيْهِمْ على الذين بعثوا عليكم وذلك
ركوع ١ بأن القى اللّه فى قلب بَهْمَن بن اسفنديار لمّا ورث الملك من جدّه كُشْتاسف بن لُهْراسف شفقة عليهم
فردّ أُسَراءهم الى الشأم وملّك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بُخْتُ نَصّر او بأن
سلّط اللّه داود على جالوت فقتله وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ممّا كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نَفَر وهم المجتمعون للذهاب الى العدوّ (٧) إِنْ أَحْسَنْتُمْ
أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ لانّ ثوابه لها وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فانّ وباله عليها وانّما ذُكر باللام ازدواجا
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ وعد عقوبة المرّة الآخرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم اى
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اوّلا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر لِيَسُوءَ
على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او للّه ويعضده قراءة الكسائىّ بالنون وقرئ لَنَسُوءَنَّ
بالنون والياء والنون المخفّفة والمثقّلة ولَنَسُوءَنْ بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انّه جواب اذا واللام
فى قوله وَلِيَدْخُلُوا ٱلْمَسْجِدَ متعلّق بمحذوف هو بعثناهم كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا وليهلكوا مَا عَلَوْا
ما غلبوه واستولوا عليه او مُدّة علوّهم تَتْبِيرًا وذلك بأن سلّط اللّه عليهم الفُرس مرّة اخرى فغزاهم
ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جُوْدَرز وقيل خَرْدُوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يُقْبَل منّا فقال ما صدقونى فقتل عليه أُلوفا منهم
فلم يهدأ الدم ثمّ قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انّه دم يحيى فقال لمثل هذا
ينتقم ربّكم منكم ثمّ قال يا يحيى قد علم ربّى وربّك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن اللّه قبل
ان لا أُبقى منهم احدا فهدأ (٨) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ بعد المرّة الاخرى وَإِنْ عُدْتُمْ نوبة اخرى عُدْنَا
مرّة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمّد صلعم وقصد قتله فعاد اللّه بتسليطه عليهم فقتل قُرَيْظة
واجلى بنى النَضير وضرب الجِزْية على الباقين هذا لهم فى الدنيا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا محبسا
لا يقدرون على الخروج منها ابدَ الآباد وقيل بساطا كما يُبْسَط الحصير (٩) إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وقرأ حمزة والكسائىّ وَيَبْشُرُ بالتخفيف (١١) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا عطف على انّ لهم اجرا كبيرا والمعنى انّه يبشّر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم
ركوع ٢ او على يبشّر باضمار يخبر (١٢) وَيَدْعُ ٱلْإِنْسَانُ بِٱلشَّرِّ يدعو اللّه عند غضبه بالشرّ على نفسه واهله وماله
او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شرّ دُعَاءَهُ بِٱلْخَيْرِ مثل دعائه بالخير وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولًا يسارع الى
كلّ ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانّه لمّا انتهى الروح الى سُرّته ذهب لينهض فسقط
رُوى انّه عم دفع اسيرا الى سَوْدة بنت زَمْعة فرحمته لأنينه فأرخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد

ثمّ ندم فقال اللّهمّ انّما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمةً له فنزلت ويجوز ان يريد جزء ١٥
بالانسان الكافرَ وبالدعاء استعجالَه بالعذاب استهزاءً كقول النضر بن الحارث اللّهمّ انصر خير الحزبين ركوع ٢
اللّهمّ ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيبَ له فضُرب عنقه يوم بدر صَبْرًا (١٣) وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ يدلّان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نَسَق واحد بإمكان غيره فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ اى
الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً
اى مُضيئة او مُبصِرة للناس من أَبْصَرَهُ فَبَصُرَ او مُبصِرا أهلُه كقولهم اجبنَ الرجلُ اذا كان اهله جُبناء
وقيل الآيتان القمر والشمس وتقديرُ الكلام وجعلنا نيّرَيِ الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار
ذوى آيتين ومحوُ آية الليل التى هى القمر جعلُها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقصُ نورها شيئًا
فشيئًا الى المحاق وجعلُ آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلُها ذات شعاع يُبْصَر الاشياء بضوءها
لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصّلوا به الى استبانة اعمالكم وَلِتَعْلَمُوا
باختلافهما او بحركاتهما عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وجنس الحساب وَكُلَّ شَيْءٍ تفتقرون اليه فى امور
الدين والدنيا فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا بيّنّاه بيانا غير ملتبس (١٤) وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ عمله وما قُدّر له
كأنّه طُيّر اليه من عُشّ الغيب ووكر القدر لمّا كانوا يتيمّنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير
لما هو سبب الخير والشرّ من قدر اللّه وعمل العبد فِى عُنُقِهِ لزومَ الطوق فى عنقه وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَابًا
هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فانّ الافعال الاختيارية تُحدِث فى النفس احوالا ولذلك
يُفيد تكريرُها لها ملكات ونصبه بانّه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده
قراءة يعقوب وَيَخْرُجُ من خرج ويُخْرَجُ وقرئ وَيُخْرِجُ اى اللّه تعالى يَلْقَاهُ مَنْشُورًا لكشف الغطاء وهما
صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يُلَقَّاهُ على البناء للمفعول من لقّيته
كذا (١٥) اقْرَأْ كِتَابَكَ على ارادة القول كَفَى بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا اى كفى نفسُك والباء مزيدة
وحَسيبًا تمييز وعلى صلته لانّه امّا بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها
من حَسَبَ عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانّه يكفى المدّعيَ ما اهمّه وتذكيره
على انّ الحساب والشهادة ممّا يتولّاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص (١٦) مَنِ ٱهْتَدَى فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لا يُنجى اهتداؤه غيرَه ولا يُردى ضلاله سواه وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَى ولا تحمل نفس حاملةٌ وزرا وزرَ نفس اخرى بل انّما تحمل وزرها وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا
يبيّن الحجج ويمهّد الشرائع فيُلزمهم الحجّة وفيه دليل على انْ لا وجوب قبل الشرع (١٧) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ
نُهْلِكَ قَرْيَةً واذا تعلّقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدّر كقولهم اذا اراد
المريض ان يموت ازداد مرضه شدّة أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا متنعّميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدلّ

جزء ١٥ ركوع ٢ على ذلك ما قبله وما بعده فانّ الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرّد فى العصيان فيدلّ على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله فَفَسَقُوا فِيهَا كقولك امرته فقرأ فانّه لا يُفْهَم منه الّا الامر بالقراءة على انّ الامر مجاز من الحمل عليه او التسبّب له بأن صبّ عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوىّ كقولك امرته فعصانى وقيل معناه كثّرنا يقال أَمِرْتُ الشىء وآمَرْتُه فأَمِرَ اذا كثّرته وفى الحديث خير المال سكّة مأبورة ومُهْرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيّده قراءة يعقوب آمَرْنَا ورواية أَمَّرْنَا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أَمُرَ بالضمّ امارة اى جعلناهم أُمَراء ، وتخصيص المترفين لانّ غيرهم يتبعهم ولانّهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ يعنى كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم (١٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا وكثيرا اهلكنا مِنَ ٱلْقُرُونِ بيان لكَمْ وتمييز له مِنْ بَعْدِ نُوحٍ كعاد وثمود وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبر لتقدّم متعلّقه (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ مقصورا عليها همّه عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَنْ نُرِيدُ قيّد المعجّل والمعجّل له بالمشيئة والارادة لانّه لا يجد كلّ متمنّ ما يتمنّاه ولا كلّ واحد جميع ما يهواه وليُعْلَم انّ الامر بالمشيئة والهَمّ فضلٌ ، ولمن نريد بدل من له بدل البعض ، وقرئ يَشَآءُ والضمير فيه للّه حتّى يطابق المشهورة وقيل لِمَنْ فيكون مخصوصا بمن اراد اللّه به ذلك ، وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراؤون المسلمين يغزون معهم ولم يكن غرضهم الّا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا مطرودا من رحمة اللّه (٢٠) وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا حقّها من السعى وهو الاتيان بما أُمر والانتهاء عمّا نهى لا التقرّب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النيّة والاخلاص وَهُوَ مُؤْمِنٌ ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانّه العمدة فَأُولَٰئِكَ الجامعون للشرائط الثلاث كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا من اللّه اى مقبولا عنده مُثابا عليه فانّ شكر اللّه الثواب على الطاعة (٢١) كُلًّا اى كلّ واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نُمِدُّ بالعطاء مرّة بعد اخرى وجعل آنفه مددا لسالفه هَٰؤُلَآءِ وَهَٰؤُلَآءِ بدل من كلّا مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ من مُعْطاه متعلّق بنمدّ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضّلا (٢٢) ٱنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فى الرزق ، وانتصابُ كيف بفضّلنا على الحال وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا اى التفاوت فى الآخرة اكبر لانّ التفاوت فيها بالجنّة ودرجاتها والنار ودركاتها (٢٣) لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ الخطاب للرسول عم والمراد به امّته او لكلّ احد فَتَقْعُدَ فتصير من قولهم شحذ الشَفْرة حتّى قعدتْ كانّها حَرْبة او فتعجز من قولهم قعد عن الشىء اذا عجز

عنه مَذْمُومًا مَخْذُولًا جامعا على نفسك الذمّ من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه انّ جزء ١٥ الموحّد يكون ممدوحا منصورا (٢٤) وَقَضَى رَبُّكَ وامر امرا مقطوعا به أَلَّا تَعْبُدُوا بأن لا تعبدوا إِلَّا إِيَّاهُ ركوع ٣ لانّ غاية التعظيم لا تحقّ الّا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون أنْ مفسّرة ولا ناهية وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبأن تحسنوا او وأحسنوا بالوالدين احسانا لانّهما السبب الظاهر للوجود والتعيّش ولا يجوز ان يتعلّق الباء بالاحسان لانّ صلته لا تتقدّم عليه إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا امّا هى ان الشرطيّة زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صحّ لحوقها النون المؤكّدة للفعل ، وأحدهما فاعل يبلغنّ ويدلّ على قراءة حمزة والكسائىّ من الف يَبْلُغَانِّ الراجع الى الوالدين ، وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ، ومعنى عندك ان يكونا فى كنفك وكفالتك فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ فلا تتضجّر ممّا تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدلّ على تضجّر وقيل اسم الفعل الّذى هو اتضجّر وهو مبنىّ على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منوّنا وبالضمّ للاتباع كمُنْذُ منوّنا وغير منوّن ، والنهى عن ذلك يدلّ على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الأَوْلَى وقيل عُرْفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلعم حُذَيْفة من قتل ابيه وهو فى صفّ المشركين نهى عمّا يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما وَلَا تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما عمّا لا يعجبك باغلاظ قيل النهى والنهر والنهم اخوات وَقُلْ لَهُمَا بدل التأفيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلا لا شراسة فيه (٢٥) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ تذلّل لهما وتواضع فيهما جعل للذلّ جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرّة اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرّة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذلّ للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذِّلّ بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول مِنَ الرَّحْمَةِ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لانّ من الرحمة ان يهديهما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رحمة مثل رحمتهما علىّ وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى انّ رجلا قال لرسول الله صلعم انّ ابوىّ بلغا من الكبر انّى ألى منهما ما وليا منّى فى الصغر فهل قضيتهما حقّهما قال لا فانّهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبّان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما (٢٦) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ من قصد البرّ اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانّه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ قاصدين الصلاح (٢٧) فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ للتوّابين غَفُورًا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذيّة وتقصير وفيه تشديد عظيم

جزء ۱۵ ويجوز ان يكون علما لكلّ تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره
رکوع ۳ (۲۸) وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبرّ عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا
محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول عم وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصلُ التبذير التفريق وعن النبىّ صلعم
انّه قال لسعد وهو يتوضّأ ما هذا السَّرَف فقال أَوَفى الوضوء سرفٌ قال نعم وان كنت على نهر جارٍ
(۲۹) إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ امثالهم فى الشرارة فانّ التضييع والاتلاف شرّ او اصدقاءهم
واتباعهم لانّهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انّهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذّرون اموالهم فى السُّمْعة فنهاهم اللّه عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القُربات وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كَفُورًا مبالغا فى الكفر به فما ينبغى ان يطاع (۳۰) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ وان اعرضت عن ذى القربى
والمسكين وابن السبيل حياء من الردّ ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية
ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا لانتظار رزق من اللّه ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من اللّه ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانّه مسبّب عنه ويجوز ان يتعلّق
بالجواب الّذى هو قوله فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا اى فقل لهم قولا ليّنا ابتغاء رحمة اللّه برحمتك عليهم باجمال
القول لهم والميسور من يُسِرَ الْأَمْرُ مثل سُعِدَ الرجل ونُحِسَ وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور
وهو اليُسْر مثل اغناكم اللّه ورزقنا اللّه واياكم (۳۱) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذّر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الّذى هو الكرم
فَتَقْعُدَ مَلُومًا فتصير ملوما عند اللّه وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير مَّحْسُورًا نادما او منقطعا بك
لا شىء عندك من حَسَرَه السفرُ اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسولُ اللّه صلعم اتاه صبىٌّ فقال انّ امّى
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعُدْ الينا فذهب الى امّه فقالت قل له انّ امّى تستكسيك
الدرع الّذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا وأذّن بلالٌ وانتظروه للصلوة فلم يخرج
فانزل اللّه ذلك ثمّ سلّاه بقوله (۳۲) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ يوسّعه ويضيّقه بمشيئته
التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الّا لمصلحتك إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم سرّهم
وعَلَنَهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أنّ البسط والقبض من امر اللّه العالم
بالسرائر والظواهر فأمّا العباد فعليهم ان يقتصدوا او أنّه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنّوا بسنّته
رکوع ۴ لا تقبضوا كلّ القبض ولا تبسطوا كلّ البسط وأن يكون تمهيدا لقوله (۳۳) وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ
مخافةَ الفاقة وقتلهم اولادَهم هو وأْدُهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضَمِنَ لهم ارزاقهم فقال
نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع

والخطأ الاثم يقال خطئ خطأً كأثم اثماً وقرأ ابن عامر خَطَأً وهو اسم من اخطأ يضادّ الصواب وقيل لغة جزء ١٥
فيه كمِثْل ومَثَل وحِذْر وحَذَر وقرأ ابن كثير خِطَآءً بالمدّ والكسر وهو امّا لغة او مصدرُ خاطأ وهو ركوع ۴
وان لم يُسْمَع لكنّه جاء تخاطأ فى قوله

تخاطأه القنّاصُ حتّى وجدتُه وخُرْطومُه فى مَنْقَع الماء راسِبُ

وهو مبنىّ عليه وقرئ خَطَآءً بالفتح والمدّ وخِطًا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَا بالعزم والاتيان بالمقدّمات فضلا ان تباشروه إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً فعلة ظاهرة القبح زائدته وَسَآءَ سَبِيلًا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الأبضاع المؤدّى الى قطع الانساب وهيج الفتن (٣٥) وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللّٰهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ الّا باحدى ثلاث كُفْر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا غير مستوجب للقتل فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ للّذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث سُلْطَانًا تسلّطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فانّ قوله مظلوما يدلّ على انّ القتل عَمْدُ عُدْوان فانّ الخطأ لا يسمّى ظلما فَلَا يُسْرِفْ اى القاتل فِى ٱلْقَتْلِ بأن يقتل من لا يحقّ قتله فانّ العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولىّ بالمُثْلة او قتل غير القاتل ويؤيّد الاوّل قراءة أُبَىّ فَلَا تُسْرِفُوا وقرأ حمزة والكسائىّ فَلَا تُسْرِفْ على خطاب احدهما إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا علّة النهى على الاستيناف، والضميرُ امّا للمقتول فانّه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب وامّا لوليّه فانّ اللّه نصره حيث اوجب القصاص له وامر الوُلاة بمعونته وامّا للّذى يقتله الولىّ اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوِزْر على المسرف (٣٦) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ فضلا ان تتصرّفوا فيه إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ الّا بالطريقة الّتى هى احسن حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ غايةٌ لجواز التصرّف الّذى دلّ عليه الاستثناء وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ بما عاهدكم اللّه تعالى من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا مطلوبا يُطْلَب من العاهد ان لا يضيّعه ويفى به او مسئولا عنه يُسْأَل الناكثُ ويعاتَب عليه او يُسْأَل العهدُ لِمَ نُكِثتَ تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة بأىّ ذنب قُتِلتِ فيكون تخييلا ويجوز ان يراد انّ صاحب العهد كان مسئولا (٣٧) وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ولا تبخسوا فيه وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ بالميزان السوىّ وهو رومىّ عُرّب ولا يقدح ذلك فى عربيّة القران لانّ العجمىّ اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيّا وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا واحسن عاقبة تفعيلٌ من آل اذا رجع (٣٨) وَلَا تَقْفُ ولا تتبع وقرئ وَلَا تَقُفْ من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لم يتعلّق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتجّ به من منع اتّباع الظنّ وجوابه انّ المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سَنَد سواء كان قطعا او ظنّا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انّه مخصوص بالعقائد وقيل

جزء ١٥ بالرمى وشهادة الزور ويؤيّده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه اللّه فى ردغة الخبال حتّى يأتى
ركوع ٤ بالمخرج وقول الكميت

ولا أرمى البرىء بغير ذنب ... ولا أقفو الحواصن إن قفينا

إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ اى كلّ هذه الاعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وانّ اولاء وإنْ غلب فى العقلاء لكنّه من حيث انّه اسم جمع لذا وهو يعمّ القبيلين جاء لغيرهم كقوله • والعيش بعد اولئك الايّام • كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا فى ثلاثتها ضمير كلّ اى كان كلّ واحد منها مسئولا عن نفسه يعنى عمّا فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يُسْـَٔل صاحبه عنه وهو خطأ لانّ الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدّم ، وفيه دليل على انّ العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية ، وقرئ وَٱلْفُوَادَ بقلب الهمزة واوا بعد الضمّة ثمّ ابدالها بالفتح (٣٩) وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مَرِحًا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ لن تجعل فيها خرقا بشدّة وطأتك وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا بتطاولك وهو تهكّم بالمختال وتعليل للنهى بانّ الاختيال حماقة مجرّدة لا تعود بجدوى ليس فى التذلّل (٤٠) كُلُّ ذَٰلِكَ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع اللّه الها آخر وعن ابن عبّاس انّها المكتوبة فى الواح موسى كَانَ سَيِّئُهُ يعنى المنهىّ عنه فانّ المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيّان والبصريّان سَيِّئَةً على انّها خبر كان والاسم ضمير كلّ وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصّة وعلى هذا قوله عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا بدل من سيّئة او صفة لها محمولة على المعنى فانّه بمعنى سيّئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكنّ فى كان او فى الظرف على انّه صفة سيّئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضىّ لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على انّ الحوادث كلّها واقعة بارادته تعالى (٤١) ذَٰلِكَ اشارة الى الاحكام المتقدّمة مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ التى هى معرفة الحقّ لذاته والخير للعمل به وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ كرّره للتنبيه على أنّ التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فانّ من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وأنّه رأس الحكمة وملاكها ورتّب عليه اوّلا ما هو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا تلوم نفسك مَّدْحُورًا مُبْعدا من رحمة اللّه (٤٢) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات اللّه والهمزة للانكار والمعنى اخصّكم ربّكم بافضل الاولاد وهم البنون وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه معقولكم وعادتكم إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا باضافة الاولاد اليه وهى خاصّة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثمّ بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثمّ بجعل الملائكة

جزء ١٥ الّذين هم من اشرف خلق الله أذونهم (٤٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا كرّرنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرّفنا القول فى هذا ركوع ٥ المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صَرَفْنَا بالتخفيف لِيَذَّكَّرُوا ليتذكّروا وقرأ حمزة والكسائى لِيَذْكُرُوا من الذكر الّذى هو بمعنى التذكّر وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا عن الحقّ وقلّة طمأنينة اليه (٤٤) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على انّ الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على انّ الاولى ممّا أُمر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية ممّا نزّه به نفسه عن مقالتهم إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا جواب عن قولهم وجزاء للَوْ والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازّة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرّب والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الّذين يدعون يبتغون الى ربّهم الوسيلة (٤٥) سُبْحَانَهُ تنزّه تنزيها وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا تعاليا كَبِيرًا متباعدا غاية البعد عمّا تقولون فانّه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتّخاذ الولد من ادنى مراتبه فانّه من خواصّ ما يمتنع بقاؤه (٤٦) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ تنزّهه عمّا هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدلّ بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الّذى به يُفْهَم تسبيحهم ويجوز ان يُحْمَل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصوّر منه اللفظ والى ما لا يتصوّر منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ على معنييه ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يُسَبِّحُ بالياء إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غَفُورًا لمن تاب منكم (٤٧) وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وَعْدُهُ مَأْتِيًّا وقولهم سيل مُفْعَم او مستورا عن الحسّ او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انّهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقّه للدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرّح به بقوله (٤٨) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً تكنّها وتحول دونها عن ادراك الحقّ وقبوله أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دلّ عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنّة اى منعناهم ان يفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنعهم عن استماعه ولمّا كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ (٤٩) وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يَحِدُ وَحْدَهُ بمعنى واحدا وَحْده وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز

جزء ١٥ ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (٥٠) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن
ركوع ٥ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ظرف لاعلم وكذا وَإِذْ هُمْ نَجْوَى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم
مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون
جمع نجيّ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا مقدّر باذكر او بدلٌ من اذ هم نجوى
على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انّ تناجيهم بقولهم هذا ظلم ، والمسحور الذى سُحر
فزال عقله وقيل الّذى له سَحْرٌ وهو الرئة اى الّا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (٥١) ٱنظُرْ كَيْفَ
ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ مثّلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فَضَلُّوا عن الحق فى جميع ذلك فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا الى طعن بوَجْه فيتهافتون ويخبطون كالمتحيّر فى امره لا يدرى ما يصنع او الى الرشاد
(٥٢) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا حطاما أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا على الانكار والاستبعاد لما بين
غضاضة الحىّ ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة ، والعامل فى اذا ما دلّ عليه مبعوثون لا نفسُه لانّ ما
بعد إنّ لا يعمل فيما قبلها ، وخلقا مصدر او حال (٥٣) قُلْ جوابا لهم كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا
مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ اى ممّا يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شىء منها فانّ قدرته تعالى
لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الأعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضّة
موصوفة بالحيوة قبلُ والشىء أَقْبَلُ لما عُهد فيه ممّا لم يُعْهَد فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ فسيحرّكونها نحوك تعجّبا
واستهزاء وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا فانّ كلّ ما هو آت قريب ، وانتصابُه على الخبر او
الظرف اى يكون فى زمان قريب وأن يكون اسمُ عسى او خبرُه والاسمُ مضمر (٥٤) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ
فَتَسْتَجِيبُونَ اى يومَ يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسّرِ امرهما
وأنّ المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بِحَمْدِهِ حال منهم اى حامدين لله على كمال قدرته كما
قيل انّهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللّهمّ وبحمدك او منقادين لبعثه انقيادَ
الحامدين عليه وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا وتستقصرون مدّةَ لبثكم فى القبور كالّذى مرّ على قرية او
ركوع ٦ مدّةَ حياتكم لما ترون من الهول (٥٥) وَقُل لِّعِبَادِى يعنى المؤمنين يَقُولُوا ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ الكلمة الّتى هى
احسن ولا يخاشنوا المشركين إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ يهيج بينهم المراء والشرّ فلعلّ المخاشنة
تفضى بهم الى العناد وازدياد الفساد إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ظاهر العداوة (٥٦) رَّبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ تفسير للّتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى يقولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا يصرّحوا بانّهم من اهل النار فانّه يهيّجهم على الشرّ مع انّ ختام امرهم غيبٌ لا

جزء ١٥ ركوع ٦

يعلمه الّا اللّه وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانّما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومُرْ اصحابك بالاحتمال منهم .وروى انّ المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول اللّه صلعم فنزلت وقيل شتم عُمَرَ رجلٌ فهمّ به فامره اللّه بالعفو (٥٧) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وباحوالهم فيختار منهم لنبوّته وولايته من يشاء وهو ردٌّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيّا وان يكون العُرَاةُ الجُوعُ اصحابَه وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ بالفضائل النفسانيّة والتبرّى عن العلائق الجسمانيّة لا بكثرة الاموال والاتباع حتّى داود فانّ شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتى من المُلك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول اللّه صلعم وقوله وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا تنبيهٌ على وجه تفضيله وهو انّه خاتم الانبياء وامّته خير الامم المدلول عليه بما كُتب فى الزبور من انّ الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيرُه ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانّه فى الاصل فَعول للمفعول كالحَلُوب او المصدر كالقَبُول ويؤيّده قراءة حمزة بالضمّ فهو كالعبّاس او الفضل او لانّ المراد وآتينا داود بعض الزبُر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول (٥٨) قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ انّها آلهة مِنْ دُونِهِ كالملائكة والمسيح وعزير فَلَا يَمْلِكُونَ فلا يستطيعون كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنْكُمْ كالمرض والفقر والقحط وَلَا تَحْوِيلًا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (٥٩) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ هؤلاء الآلهة يبتغون الى اللّه القُربة بالطاعة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى اللّه الوسيلة فكيف بغير الاقرب وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ كسائر العباد فكيف يزعمون انّهم آلهة إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا حقيقا بأن يحذره كلّ احد حتّى الرسل والملائكة (٦٠) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ بالموت والاستيصال أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا بالقتل وانواع البليّة كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ فى اللوح المحفوظ مَسْطُورًا مكتوبا (٦١) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِٱلْآيَاتِ وما صرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحتها قريش إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ الّا تكذيبُ الاوّلين الّذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانّها لو أُرسلت لكذّبوها تكذيبَ اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سُنّتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لانّ فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثمّ ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ بسؤالهم مُبْصِرَةً بيّنة ذات أبصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فَظَلَمُوا بِهَا فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَاتِ اى بالآيات المقترحة إِلَّا تَخْوِيفًا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الّا تخويفا بعذاب الآخرة فانّ امرَ مَن بُعثتَ اليهم مؤخّر الى يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف (٦٢) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ واذكر اذ اوحينا اليك إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ فهم فى قبضته

جزء ١٥ قدرته، او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدوّ فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى
ركوع ٦ لتحقّق وقوعه وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ليلة المعراج وتعلّق به من قال انّه كان فى المنام ومن قال
انّه كان فى اليقظة فسّر الرؤيا بالرؤية او عام الحُدَيْبِيَة حين رأى انّه دخل مكّة وفيه انّ الآية مكّيّة الّا
أن يقال رآها بمكّة وحكاها حينئذ ولعلّه رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم اللّه فى منامك
قليلا ولما روى انّه لمّا ورد ماءه قال لكأنّى انظر الى مصارع القوم هذا مصرعُ فلان هذا مصرعُ فلان
فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى اميّة يَرقَوْن منبره ويَنْزُون عليه نَزْوَ القردة
فقال هو حظّهم من الدنيا يُعطَوْنه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ما حدث فى
ايّامهم وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقّوم لمّا سمع المشركون ذكرها
قالوا يزعم محمّد انّ الجحيم تحرق الحجارة ثمّ يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا انّ من قدر ان
يحمى وبَر السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقِطَع الحديد المُحْماة الحُمْر
الّتى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنُها فى القران لعنُ طاعميها وُصفت به على
المجاز للمبالغة او وصفُها بانّها فى اصل الجحيم فانّه ابعدُ مكان من الرحمة او بانّها مكروهة مؤذية من
قولهم طعام ملعون لما كان ضارّا وقد أُوّلتْ بالشيطان وبأبى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت
بالرفع على الابتداء والخبرُ محذوف اى والشجرة الملعونة فى القران كذلك وَنُخَوِّفُهُمْ بانواع التخويف
ركوع ٧ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا الّا عتوّا مجاوز الحدّ (٦٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ
إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا لمن خلقته من طين فنُصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طينٌ او منه اى أأسجد له واصله طينٌ وفيه على الوجوه
ايماء بعلّة الانكار (٦٤) قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ الكاف لتأكيد الخطاب لا محلّ له من
الاعراب وهذا مفعول اوّل والّذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا
الّذى كرّمته علىّ بامرى بالسجود له لِمَ كرّمته علىّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كلام مبتدأ واللام موطّئة
للقسم وجوابه لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا لاستأصلنّهم بالاغواء الّا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم
من احتنك الجرادُ الارضَ اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحَنَك وانّما علم انّ ذلك يتسهّل له امّا
استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يُفسد فيها مع التقرير او تفرّسا من خلقه ذا وَهْم وشهوة
وغضب (٦٥) قَالَ ٱذْهَبْ امضِ لما قصدته وهو طردٌ وتخلية بينه وبين ما سوّلتْ له نفسه فَمَن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جزاؤك وجزاؤهم فغلّب المخاطَب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب
للتابعين على الالتفات جَزَآءً مَّوْفُورًا مكمّلا من قولهم فِرْ لصاحبك عِرْضَه ، وانتصابُ جزاء على المصدر
باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطّئة لقوله موفورا (٦٦) وَٱسْتَفْزِزْ واستخفف

جزء ١٥ ركوع ٧

مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ أن تستفزّه والفزّ الخفيف بِصَوْتِكَ بدعائك الى الفساد وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ وصِحْ عليهم من الجلبة وهى الصياح بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيّالة ومنه قوله عم يا خيل اللّه اركبى والرَجِل اسمُ جمع للراجل كالصَحْب والرَكْب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلّطه على من يُغويه بمِغوار صوّتَ على قوم فاستفزّهم من اماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم ، وقرأ حفص وَرَجِلِكَ بالكسر وغيرُه بالضمّ وهما لغتان كنَدِس ونَدْس ومعناه وجَمْعِك الرَجْل وقرئ وَرِجَالِكَ ورُجّالِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرّف فيها على ما لا ينبغى وَٱلْأَوْلَادِ بالحثّ على التوصّل الى الولد بالسبب المحرّم والاشراك فيه بتسميته عبد العُزّى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحِرَف الذميمة والافعال القبيحة وَعِدْهُمْ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتّكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا اعتراض لبيان مواعيده الباطلة ، والغرور تزيين الخطإ بما يوهم انّه صواب (٦٧) إِنَّ عِبَادِي يعنى المخلصين وتعظيمُ الاضافة والتقييد فى قوله الّا عبادك منهم المخلصين يخصّصهم لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ اى على اغوائهم قدرة وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا يتوكّلون به فى الاستعانة منك على الحقيقة (٦٨) رَبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي هو الّذى يُجرى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ الربح وانواع الامتعة الّتى لا تكون عندكم إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا حيث هيّأ لكم ما تحتاجون اليه وسهّل عليكم ما يعسر من اسبابه (٦٩) وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ خوف الغرق ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ ذهب عن خواطركم كلّ من تدعونه فى حوادثكم إِلَّا إِيَّاهُ وحده فانّكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الّا ايّاه او ضلّ كلّ من تعبدونه عن اغاثتكم الّا اللّه سبحانه وتعالى فَلَمَّا نَجَّاكُمْ من الغرق إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن التوحيد وقيل اتّسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمّة

عطاء فتى تمكّن فى المعالى فأعرض فى المكارم واستطالا

وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ كَفُورًا كالتعليل للاعراض (٧٠) أَفَأَمِنْتُمْ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فانّ من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قدر ان يهلككم فى البرّ بالخسف وغيره أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ان يقلبه اللّه وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة الّتى بعده ، وفى ذكر الجانب تنبيه على انّهم لمّا وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وأنّ الجوانب والجهات فى قدرته سواء لا معقل يؤمَن فيه من اسباب الهلاك أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا يحفظكم من ذلك فانّه لا رادّ لفعله (٧١) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ فى البحر تَارَةً أُخْرَى بخلق دواع

جزء ١٥ تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِّيحِ لا تمرّ بشىء الّا قصفته اى كسرته فَيُغْرِقَكُمْ
ركوع ٧ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء
ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف (٧٢) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ بحسن
الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخطّ والتهدّى الى
اسباب المعاش والمعاد والتسلّط على ما فى الارض والتمكّن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسبّبات
العلويّة والسفليّة الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك ممّا يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما
ذكره ابن عبّاس وهو انّ كلّ حيوان يتناول طعامه بفيه الّا الانسان فانّه يرفعه اليه بيده وَحَمَلْنَاهُمْ فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ على الدوابّ والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتّى لم
تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ المستلذّات ممّا يحصل بفعلهم وبغير فعلهم
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس
الملائكة او الخواصّ منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر
ركوع ٨ وقد أُوّل الكثير بالكلّ وفيه تعسّف (٧٣) يَوْمَ نَدْعُو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دلّ عليه ولا
يظلمون وقرئ يَدْعُو ويُدْعَى ويُدْعَوْ على قلب الالف واوا فى لغة من يقول أَفْعَوْ او على انّ الواو علامة
الجمع كما فى واسرّوا النجوى الّذين ظلموا او ضميره وكلّ بدل منه والنون محذوفة لقلّة المبالاة بها
فانّها ليست الّا علامة الرفع وهو قد يقدّر كما فى يُدْعَى كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ بمن ائتمّوا به من نبىّ او
مقدّم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم الّتى قدّموها فيقال يا صاحبَ كتاب كذا اى
تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل
بأمّهاتهم جمع أمّ كخُفّ وخِفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وأن لا
يفتضح اولاد الزنا فَمَنْ أُوتِيَ من المدعوّين كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ اى كتاب عمله فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ابتهاجا
وتبجّحا بما يرون فيه وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شىء ٭ وجمع اسم الاشارة
والضمير لانّ من اوتى فى معنى الجمع ٭ وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدلّ على انّ من اوتى كتابه
بشماله اذا اطّلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة او يكون قراءتهم
لذلك كلا قراءة ولذلك لم يذكرهم مع انّ قوله (٧٤) وَمَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ أَعْمَى
ايضا مشعر بذلك فانّ الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر
رشده كان فى الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة وَأَضَلُّ سَبِيلًا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان
الآلة والمهلة وقيل لانّ الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسّة وقيل الثانى للتفضيل
من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فانّ افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه فى حكم المتوسّطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فانّ الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت

معرّضة بالامالة من حيث انّها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائىّ وابو بكر وقرأ ورش بين جزء ١٥
بين فيهما (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتّى تعطينا خصالا نفتخر ركوع ٨
بها على العرب لا نُعْشَر ولا نُحْشَر ولا نُجَبِّى فى صلاتنا وكلّ ربوا لنا فهو لنا وكلّ ربوا علينا فهو موضوع عنّا وأن تُمتّعنا باللات سنةً وأن تحرّم وادينا كما حرّمت مكّة فان قالت العرب لِمَ فعلتَ ذلك فقل انّ اللّه امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكّنك من استلام الحجر حتّى تُلمّ بآلهتنا وتمسّها بيدك ، وإنْ هى المخفّفة واللامُ هى الفارقة والمعنى إنّ الشأن قاربوا بمبالغتهم لن يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال عَنِ ٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ من الاحكام لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ غير ما اوحينا اليك وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ولو اتّبعت مرادهم لاتّخذوك بافتتانك وليًّا لهم بريئًا من ولايتى (٧٦) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ ولولا تثبيتنا ايّاك لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا لقاربت ان تميل الى اتّباع مرادهم والمعنى انّك كنت على صدد الركون اليهم لقوّة خدعهم وشدّة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمُنعتَ ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه وهو صريح فى انّه عم ما همّ باجابتهم مع قوّة الدواعى اليها ودليل على انّ العصمة بتوفيق اللّه وحفظه (٧٧) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ اى لو قاربت لاذقناك ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعفَ ما نعذّب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لانّ خطأ الخطير اخطرُ وكان اصل الكلام عذابا ضِعْفًا فى الحيوة وعذابا ضِعْفًا فى الممات بمعنى مضاعفا ثمّ حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثمّ اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا يدفع العذاب عنك (٧٨) وَإِن كَادُوا وان كاد اهل مكّة لَيَسْتَفِزُّونَكَ ليزعجونك بمعاداتهم مِنَ ٱلْأَرْضِ ارض مكّة لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إِلَّا قَلِيلًا الّا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانّهم أُهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبىّ صلعم بالمدينة فقالوا الشأم مقام الانبياء فان كنت نبيّا فالحق بها حتّى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثمّ قُتل منهم بنو قُرَيْظة وأُجلى بنو النضير بقليل ، وقرئ لَا يَلْبَثُوا منصوبا بإذًا على انّه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزّونك لا على خبرِ كاد فانّ إذًا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص خِلَافَكَ وهو لغة فيه قال

عَفَتِ الديارُ خِلافَهم فكانّما بَسَطَ الشواطبُ بَيْنَهنّ حَصِيرا

(٧٩) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا نصب على المصدر اى سنّ اللّه ذلك سنّةً وهو ان يهلك كلّ امّة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنّة للّه واضافتها الى الرسل لانّها من اجلهم ويدلّ عليه

جزء ١٥ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا اى تغييرا (٨٠) أَقِمِ ٱلصَّلوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ لزوالها ويدلّ عليه قوله عم اتانى
ركوع ٩ جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلّى بى الظُهْرَ وقيل لغروبها وأَصل التركيب للانتقال ومنه الدلك
فانّ الدالك لا تستقرّ يده وكذا ما تركّب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لانّ الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها ، واللامُ للتأقيت مثلها فى لِثَلٰثٍ خَلَوْنَ
إِلَىٰ غَسَقِ ٱللَّيْلِ الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ وصلوة الصبح سمّيت قرآنا لانّه
رُكْنُها كما سمّيت ركوعا وسجودا واستُدلّ به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون
التجوّز لكونها مندوبة فيها نعمْ لو فُسّر بالقراءة فى صلوة الفجر دلّ الامر باقامتها على الوجوب فيها
نصّا وفى غيرها قياسا إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا يشهده ملائكةُ الليل وملائكة النهار او شواهدُ
القدرة مِنْ تبدّل الظلمة بالضياء والنومِ الّذى هو اخو الموت بالانتباه او كثيرٌ من المصلّين او مَنْ حقّه
ان يشهده الجمّ الغفير ، والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسّر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وَحْدَها
ان فُسّر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ
الوقت ومنتهاه واستُدلّ به على انّ الوقت يمتدّ الى غروب الشفق (٨١) وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ وبعضَ
الليل فاترك الهجود للصلوة ، والضمير للقران نَافِلَةً لَكَ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او
فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا مقاما يحمده القائم فيه وكلّ
من عرفه وهو مطلق فى كلّ مقام يتضمّن كرامة والمشهورُ انّه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انّه عم قال
هو المقام الّذى اشفع فيه لامّتى ولاشعاره بانّ الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الّا مقام الشفاعة ،
وانتصابُه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحالِ بمعنى ان يبعثك
ذا مقام (٨٢) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي اى فى القبر مُدْخَلَ صِدْقٍ ادخالا مرضيّا وَأَخْرِجْنِي اى منه عند البعث
مُخْرَجَ صِدْقٍ اخراجا ملقّى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكّة وقيل ادخاله مكّة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله
فيما حُمّله من أعباء الرسالة واخراجه منه مؤدّيا حقّه وقيل ادخاله فى كلّ ما يلابسه من مكان او امر
واخراجه منه ، وقرئ مَدْخَلَ ومَخْرَجَ بالفتح على معنى ادخلنى فأَدْخُل دخولا واخرجنى فأَخْرُج خروجا
وَٱجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا حُجّة تنصرنى على من خالفنى او مُلْكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب
له بقوله فانّ حِزْبَ اللّهِ هم الغالبون لِيُظْهِره على الدين كلّه ليستخلفنّهم فى الارض (٨٣) وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ
الاسلام وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا مضمحلّا
غير ثابت عن ابن مسعود انّه عم دخل مكّة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستّون صنما فجعل ينكت
بمخصرته فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحقّ وزهق الباطل فينكبّ لوجهه حتّى القى
جميعها وبقى صنمُ خُزاعة فوق الكعبة وكان من صُفْر فقال يا علىّ ارْمِ به فصعد فرمى به فكسره

(٨٤) وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء جزء ١٥
الشافى للمرضى ، ومِنْ للبيان فانّ كلّه كذلك وقيل انّه للتبعيض والمعنى انّ منه ما يشفى من المرض ركوع ٩
كالفاتحة وآيات الشفاء ، وقرأ البصريّان نُنْزِلُ بالتخفيف وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا لتكذيبهم
وكفرهم به (٨٥) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ بالصحّة والسعة أَعْرَضَ عن ذكر اللّه وَنَأَى بِجَانِبِهِ لوى
عطفه وبَعُدَ بنفسه عنه كانّه مستغنٍ مستبدّ بأمره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانّه من
عادة المستكبرين ، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت ونَآءَ على القلب او على انّه بمعنى نهض
وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ من مرض او فقر كَانَ يَئُوسًا شديد اليأس من رَوْح اللّه (٨٦) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ
قل كلّ احد يعمل على طريقته التى تشاكل حالَه فى الهدى والضلالة او جوهرَ روحه واحوالَه التابعة
لمزاج بدنه فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا اسدُّ طريقا وابينُ منهجا وقد فُسّرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين (٨٧) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ الّذى يُحْيِى بدنَ الانسان ويدبّره قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ركوع ١٠
من الابداعيّات الكائنة بكُنْ من غير مادّة وتولّدٍ من اصل كاعضاء جسده او وُجد بأمره وحدث
بتكوينه على انّ السؤال عن قِدَمه وحدوثه وقيل ممّا استأثر اللّه بعلمه لما روى انّ اليهود قالوا لقريش
سَلُوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبىّ وان اجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبىّ فبيّنَ لهم القصّتين وأَبْهَمَ امر الروح وهو مُبْهَم فى التورية وقيل
الروح جبريل وقيل خلق اعظم من المَلَك وقيل القران ومن امر ربّى معناه من وحيه وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ
ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا تستفيدونه بتوسّط حواسّكم فانّ اكتساب العقل للمعارف النظريّة انّما هو من
الضروريّات المستفادة من احساس الجزئيّات ولذلك قيل من فقد حسّا فقد علما ولعلّ اكثر الاشياء لا
يدركه الحسّ ولا شيئًا من احواله المعرِّفة لذاته وهو اشارة الى انّ الروح ممّا لا يمكن معرفة ذاته الّا
بعوارض تميّزه عمّا يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب وما ربّ العالمين
بذكر بعض صفاته روى انّه عم لمّا قال لهم ذلك قالوا انحن مختصّون بهذا الخطاب فقال بل نحن
وانتم فقالوا ما اعجبَ شأنَك ساعةً تقول ومن يُؤْتَ الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعةً تقول هذا فنزلت
ولو انّ ما فى الارض من شجرة اقلامٌ وما قالوه لسوء فهمهم لانّ الحكمة الانسانيّة أن يعلم من الحقّ والخير
ما تَسَعه القوّة البشريّة بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات اللّه سبحانه وتعالى الّتى
لا نهاية لها قليلٌ ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (٨٨) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِى أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ اللام الاولى موطّئة للقسم ولنذهبنّ جوابه النائب منابَ جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا من يتوكّل علينا استرداده
مسطورا محفوظا (٨٩) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فانّها ان نالتك فلعلّها تستردّه عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربّك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنّة فى تنزيله

جزء ١٥ ركوع ١٠

إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه فى حفظك (٩٠) قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دلّ عليه اللام الموطّئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وإنْ اتاه خليلٌ يومَ مَسْألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعلّه لم يذكر الملائكة لانّ اتيانهم بمثله لا يُخرجه عن كونه معجزا ولانّهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثمّ لا تجد لك به علينا وكيلا (٩١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا كرّرنا بوجوه مختلفة زيادةً فى التقرير والبيان لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ من كلّ معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الّا جحودا وانّما جاز ذلك ولم يجز ضربت الّا زيدا لانّه متأوّل بالنفى (٩٢) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا تعنّتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجّة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه ، وقرأ الكوفيّون ويعقوب تَفْجُرَ بالتخفيف ، والارض ارض مكّة ، والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عبّ الماء اذا زخر (٩٣) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك (٩٤) أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا يعنون قوله تعالى او نُسْقط عليهم كِسَفا من السماء وهو كقطَع لفظا ومعنى وقد سكّنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائىّ ويعقوب فى جميع القران الّا فى الروم وابنُ عامر الّا فى هذه السورة ونافع وابو بكر فى غيرها وحفص فيما عدا الطور وهو امّا مخفّف من المفتوح كسِدْرة وسِدْر او فِعْل بمعنى مفعول كالطِحْن أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَآئِكَةِ قَبِيلًا كفيلا بما تدّعيه اى شاهدا على صحّته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المُعاشِر وهو حال من اللّه وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله • فانّى وقيّارٌ بها لَغريبُ • او جماعةً فيكون حالا من الملائكة (٩٥) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ فى معارجها وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ وحده حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ وكان فيه تصديقك قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى تعجّبا من اقتراحاتهم او تنزيها للّه من ان يأتى او يتحكّم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قَالَ سُبْحَانَ رَبِّى اى قال الرسول هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا كسائر الناس رَسُولًا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الّا بما يُظهره اللّه عليهم على ما يلائم حالَ قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكّموا على اللّه حتّى تتخيّروها علىّ هذا هو الجواب المجمل وامّا التفصيل فقد ذُكر فى آيات أُخَر كقوله ولو نزّلنا عليك

كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (٩٦) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ اى وما منعهم جزء ١٥
الايمانَ بعد نزول الوحى وظهور الحقّ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا الّا قولهم هذا والمعنى انّه لم ركوع ١١
يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمّد والقران الّا انكارهم ان يرسل اللّه بشرا (٩٧) قُلْ جوابا
لشبهتهم لَوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ كما يمشى بنو آدم مُطْمَئِنِّينَ ساكنين فيها لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا لتمكّنهم من الاجتماع به والتلقّى منه وأمّا الانس فعامّتهم عُماة عن ادراك الملك
والتلقّف منه فانّ ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس ، وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا
وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاوّل اوفق (٩٨) قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ على انّى
رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى او على انّى بلّغت ما أُرسلت به اليكم وانّكم عاندتم ،
وشهيدا نصبٌ على الحال او التمييز إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة
فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفّار (٩٩) وَمَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِهِ يهدونه وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ يُسْحَبون عليها او يمشون بها
روى انّه قيل لرسول اللّه صلعم كيف يمشون على وجوههم قال انّ ٱلّذى امشاهم على اقدامهم قادرٌ على
ان يمشيهم على وجوههم عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا لا يبصرون ما يُقرّ اعينهم ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم
ولا ينطقون بما يُقْبَل منهم لانّهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعِبَر وتصامّوا عن استماع الحقّ
وأبوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مَئُوفى القُوَى والحواسّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ سكن لهبها بأن اكلت جلودهم ولحومهم زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا توقّدا بأن تبدّل
جلودهم ولحومهم فتعود متلهّبة مستعرةً كانّهم لمّا كذّبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم اللّه بأن لا يزالوا
على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله (١٠٠) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوٓا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا لانّ الاشارة الى ما تقدّم من عذابهم (١٠١) أَوَلَمْ يَرَوْا اولم يعلموا أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ فانّهم ليسوا اشدّ خلقا منهنّ ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ هو الموت او القيامة فَأَبَى ٱلظَّالِمُونَ مع وضوح
الحقّ إِلَّا كُفُورًا الّا جحودا (١٠٢) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى خزائن رزقه وسائر نعمه ، وانتم
مرفوع بفعل يفسّره ما بعده كقول حاتم • لو ذاتُ سوارٍ لطمتنى • وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة
مع الايجاز والدلالة على الاختصاص إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنْفَاقِ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا
احد الّا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيرَه بشىء فانّما يؤثره لعِوَض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود

جزء ۱۵ اللّه وكرمه هذا وانّ البخلاء اغلب فيهم وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ قَتُورًا بخيلا لانّ بناء امره على الحاجة والضنّة

ركوع ۱۲ بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل (۱۰۳) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ هى العصا واليد والجراد والقمّل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكانَ الثلاث الاخيرة وعن صفوان انّ يهوديّا سأل النبىّ صلعم عنها فقال ان لا تشركوا باللّه شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس الّتى حرّم اللّه الّا بالحقّ ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفرّوا من الزحف وعليكم خاصّة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبّل اليهودىّ يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامّة للملل الثابتة فى كلّ الشرائع سُمّيت بذلك لانّها تدلّ على حال من يتعاطى متعلّقها فى الآخرة من السعادة او الشقاوة وقوله وعليكم خاصّة اليهود ان لا تعدوا حكمٌ مستأنف زائد على الجواب ولذلك غيّر فيه سياق الكلام فَسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيّده قراءة رسول اللّه صلعم فَسَأَلَ على لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلّقة بقلنا او سال على هذه القراءة او فَسْأَلْ يا محمّد بنى اسرائيل عمّا جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلّى نفسك او لتعلم انّ اللّه تعالى لو اتى بما اقترحوا لأصرّوا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لانّ تظاهر الأدلّة يوجب قوّة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انّه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا سُحِرتَ فتخبّط عقلك (۱۰۴) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ يا فرعون وقرأ الكسائىّ بالضمّ على اخباره عن نفسه مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ يعنى الآيات إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ بيّنات تبصرك صدقى ولكنّك تعاند وانتصابه على الحال وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشرّ من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنّه بظنّه وشتّانَ ما بين الظنّين فانّ ظنّ فرعون كذبٌ بَحْتٌ وظنّ موسى عم يحوم حول اليقين من ظاهر أماراته ، وقرئ وَإِنْ إِخَالُكَ يَا فِرْعَوْنُ لَمَثْبُورًا على ان المخفّفة واللام الفارقة (۱۰۵) فَأَرَادَ فرعون أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ ان يستخفّ موسى وقومه وينفيهم مِنَ الْأَرْضِ ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (۱۰۶) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ من بعد فرعون او اغراقه لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ الّتى اراد ان يستفزّكم منها فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ الكرّة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا مختلطين ايّاكم وايّاهم ثمّ نحكم بينكم ونميّز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتّى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ اى وما انزلنا القرآن الّا ملتبسا بالحقّ المقتضى لانزاله وما نزل على الرسول الّا ملتبسا

بالحق الّذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الّا محفوظا بالرَّصَد من الملائكة وما نزل على الرسول الّا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعلّه اراد به نفى اعتراء البطلان له اوّل الامر وآخره وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا للمطيع بالثواب وَنَذِيرًا للعاصى من العقاب فلا عليك الّا التبشير والانذار (١٠٧) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ نزّلناه مفرّقا منجّما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجارّ كما فى قوله • ويوما شهدناه • وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانّه نزل فى تضاعيف عشرين سنة لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ على مَهَل وتُؤَدة فانّه أَيْسَرُ للحفظ وأَعْوَنُ فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا على حسب الحوادث (١٠٨) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا فانّ ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الّذين قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وأمارات النبوّة وتمكّنوا من الميز بين الحق والباطل اورأوا نعتك وصفة ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانّه قيل تسلّ بايمان العلماء عن ايمان الجَهَلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القران يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر اللّه او شكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمّد صلعم على فترة من الرُّسُل وانزال القران عليه وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا عن خُلْف الوعد إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا انّه كان وعده كائنا لا محالة (١٠٩) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ كرّره لاختلاف الحال والسبب فانّ الاوّل للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثّر فيهم من مواعظ القران حالٌ كونهم باكين من خشية اللّه ، وذكر الذقن لانّه اوّل ما يَلْقَى الارضَ من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به وَيَزِيدُهُمْ سماع القران خُشُوعًا كما يزيدهم علما ويقينا باللّه (١١٠) قُلِ ٱدْعُوا ٱللّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمٰنَ نزلت حين سمع المشركون رسولَ اللّه صلعم يقول يا اللّه يا رحمن فقالوا انّه ينهانا ان نعبد إلٰهَيْن وهو يدعو الٰها آخر او قالت اليهود انّك لَتُقِلّ ذكر الرحمن وقد اكثره اللّه فى التورية فالمراد على الاوّل هو التسوية بين اللفظين بانّهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انّما هو للذات الّذى هو المعبود وعلى الثانى انّهما سيّان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو أَجْوَب لقوله أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدّى الى مفعولين حُذِف اوّلهما استغناء عنه ، وأَوْ للتخيير ، والتنوين فى ايّا عِوَض عن المضاف اليه ، وما صلةٌ لتأكيد ما فى ايّ من الابهام ، والضمير فى له للمسمّى لانّ التسمية له لا للاسم ، وكان اصل الكلام أيّا ما تدعوا فهو حَسَنٌ فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ بقراءة صلاتك حتّى تُسْمِع المشركين فانّ ذلك يحملهم على السبّ واللغو فيها وَلَا تُخَافِتْ بِهَا حتّى لا تُسْمِع مَنْ خلفك من المؤمنين

جزء ١٥ ركوع ١٢

جزء ١٥ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فانّ الاقتصاد فى جميع الامور محبوب وروى انّ ابا
ركوع ١٢ بكر رضه كان يخفت ويقول أُناجى ربّى وقد علم حاجتى وعُمَر رضه كان يجهر ويقول اطرُدُ الشيطانَ وأُوقظ الوسنانَ فلمّا نزلت امرَ رسول اللّه صلعم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمرَ ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلّها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارًا والجهر ليلا (١١١) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ فى الالوهيّة وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ ٱلذُّلِّ ولىّ يواليه من اجل مذلّة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقوّيه ورتّب الحمد عليه للدلالة على انّه الّذى يستحقّ جنس الحمد لانّه الكامل الذات المتفرّد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقصٌ مملوكُ نعْمة او منعمٌ عليه ولذلك عطف عليه قوله وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا وفيه تنبيه على انّ العبد وان بالغ فى التنزيه والتحميد واجتهد فى العبادة والتمجيد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقّه فى ذلك روى انّه عم كان اذا افصح الغلامُ من بنى عبد المطّلب علّمه هذه الآية ، وعنه صلعم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرقّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنّة والقنطار الف اوقيّة ومائتا اوقيّة •

سُورَةُ ٱلْكَهْفِ

مكّيّة وقيل الّا قوله واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم الآية وآيها مائة وعشر آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٣ (١) ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ يعنى القران رتّب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انّه اعظم نعمائه وذلك لانّه الهادى الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا شيئا من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى او انحراف من الدعوة الى جانب الحقّ وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان (٢) قَيِّمًا مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيّما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحّتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيّما او على الحال من الضمير فى له او من الكتاب على انّ الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير ، وقرئ قِيَمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا اى لينذر الّذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاوّل اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه مِنْ لَدُنْهُ صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سَبْع مع الاشمام ليدلّ على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا هو الجنّة مَاكِثِينَ فِيهِ

جزء ١٥ ركوع ١٣

فى الاجر أَبَدًا بلا انقطاع (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا خصّهم بالذكر وكرّر الانذار متعلّقا بهم استعظاما لكفرهم وانّما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدّم ذكره (٤) مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ اى بالولد او باتّخاذه او بالقول والمعنى انّهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهّم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الّذى ارادوا به فانّهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثّر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوّزوا نسبة الاتّخاذ اليه وَلَا لِآبَائِهِمْ الّذين تقوّلوه بمعنى التبنّى كَبُرَتْ كَلِمَةً عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ ، وكلمةً نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعليّة والاوّل ابلغ وادلّ على المقصود تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذمّ لانّ كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كَبْرَتْ بالسكون مع الاشمام إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ قاتلها عَلَىٰٓ آثَارِهِمْ اذ ولّوا عن الايمان شبّهه لما تداخله من الوجد على تولّيهم بمن فارقته أعزّته فهو يتحسّر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ بَاخِعُ نَفْسِكَ على الاضافة إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ بهذا القران أَسَفًا للتأسّف عليهم او متأسّفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ أَنْ بالفتح على لأن فلا يجوز اعمال باخع الّا اذا جعل حكاية حال ماضية (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ من الحيوان والنبات والمعادن زِينَةً لَّهَا ولأهلها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغترّ به وقنع منه بما يزجى به ايّامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلعم (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا تزهيد فيه ، والجرز الارض الّتى قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انّا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه (٨) أَمْ حَسِبْتَ بل أحسبت أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ فى ابقاء حياتهم مدّة مديدة كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا وقصّتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادّة واحدة ثمّ ردّها اليها ليس بعجيب مع انّه من آيات الله كالنزر الحقير ، والكهف الغار الواسع فى الجبل ، والرقيم اسم الجبل او الوادى الّذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال أُميّة بن ابى الصلت

وليس بها الّا الرقيمُ مجاورا وَصِيدَهُمُ والقومُ فى الكهف هُجَّدُ

او لوح رصاصىّ او حجرىّ رُقمتْ فيه اسماؤهم وجُعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فأخذتهم السماء فأووا الى كهف فانحطّت صخرة وسدّت بابه فقال احدهم اذكروا ايّكم عَمِلَ حسنة لعلّ الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملتُ أُجَراء ذاتَ يوم فجاء رجل وسطَ النهار وعمل فى بقيّته مثل عملهم فأعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثمّ مرّ بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغتْ ما شاء الله فرجع الىّ بعد حين شيخا

جزء ١٥ ضعيفا لا اعرفه وقال انّ لى عندك حقّا ونكّره حتّى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللّهمّ ان كنتُ فعلتُ
ركوع ١٣ ذلك لوجهك فافرجْ عنّا فانصدع الجبل حتّى رأوا الضوء وقال آخر كان فىّ فضل واصاب الناس شدّة فجاءتنى امرأة فطلبت منّى معروفا فقلت واللّه ما هو دونَ نفسك فأبت وعادت ثمّ رجعَتْ ثلاثا ثمّ ذكرَتْ لزوجها فقال اجيبى له وأغيثى عيالك فأتت وسلّمت الىّ نفسها فلمّا تكشّفتها وهممت بها ارتعدَتْ فقلت ما لك فقالت اخاف اللّه فقلت لها خِفْتِه فى الشدّة ولم اخَفْه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمَسها اللّهمّ ان كنتُ فعلتُه لوجهك فافرجْ عنّا فانصدع حتّى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان همّان وكانت لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثمّ ارجع الى غنمى فحبسنى ذاتَ يوم غيثٌ فلم ابرح حتّى امسيت فأتيت اهلى واخذت محْلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشقّ علىّ ان اوقظهما فتوقّعت جالسا ومحلبى على يدى حتّى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللّهمّ ان كنتُ فعلتُه لوجهك فافرجْ عنّا ففرج اللّه عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (٩) اِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ اِلَى ٱلْكَهْفِ يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدوّ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا من الامر الّذى نحن عليه من مفارقة الكفّار رَشَدًا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعلْ امرنا كلّه رشدا كقولك رأيتُ منك اسدا ، وأصل التهيئة احداث هيئة الشىء (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ اى ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع يعنى انمناهم انامة لا تنبّههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بَنَى على امرأته فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ ظرفان لضربنا عَدَدًا اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فانّ مدّة لبثهم كبعض يوم عنده (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ايقظناهم لِنَعْلَمَ ليتعلّق علمنا تعلّقا حاليّا مطابقا لتعلّقه اوّلا تعلّقا استقباليّا أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ المختلفين منهم او من غيرهم فى مدّة لبثهم أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ضبط امدا لزمان لبثهم ، وما فى اىّ من معنى الاستفهام علّق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انّه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أَحْصَى للمال وأَفْلَسُ من ابن المذلّق وأمدا نصب بفعل دلّ عليه كقوله • وأَضْرَب منّا بالسيوف القوانسا •
ركوع ١٤ (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِٱلْحَقِّ بالصدق اِنَّهُمْ فِتْيَةٌ جمع فتًى كصَبىّ وصِبْية آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى بالتثبيت (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وقوّيناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحقّ والردّ على دقيانوس الجبّار اِذْ قَامُوا بين يديه فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ اِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا اِذًا شَطَطًا واللّه لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بُعْد عن الحقّ مُفْرِط فى الظلم (١٤) هٰؤُلَاءِ مبتدأ قَوْمُنَا عطف بيان ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً خبر وهو اخبار فى معنى انكار لَوْلَا يَأْتُونَ هلّا يأتون

عَلَيْهِمْ على عبادتهم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ببرهان ظاهر فانّ الدين لا يؤخذ الّا به وفيه دليل على انّ ما لا دليل جزء ١٥
عليه من الديانات مردود وانّ التقليد فيه غير جائز فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا بنسبة ركوع ١٤
الشريك اليه (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ خطاب بعضهم لبعض وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القومَ ومعبوديهم الّا اللّهَ فانّهم كانوا يعبدون اللّه ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدريّة على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الّا عبادة اللّه وان تكون نافية على انّه اخبار من اللّه تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ يبسط لكم ويوسّع عليكم مِنْ رَحْمَتِهِ فى الدارين وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمُهم بذلك لنصوع يقينهم وقوّة وثوقهم بفضل اللّه وقرأ نافع وابن عامر مَرْفِقًا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذًّا كالمَرْجِع والمَحِيض فانّ قياسه الفتح (١٦) وَتَرَى ٱلشَّمْسَ لو رأيتهم والخطاب لرسول اللّه او لكلّ احد إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لانّ الكهف كان جنوبيّا او لانّ اللّه سبحانه زوّرها عنهم وأصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء وقرأ الكوفيّون بحذفها وابن عامر ويعقوب تَزْوَرُّ كتَحْمَرُّ وقرئ تَزْوَارُّ كتَحْمَارُّ وكلّها من الزَّوَر بمعنى الميل ذَاتَ ٱلْيَمِينِ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ تقطعهم وتصرمهم ذَاتَ ٱلشِّمَالِ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ اى وهم فى متّسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس وذلك لانّ باب الكهف فى مقابلة بنات نعش واقربُ المشارق والمغارب الى محاذاته مشرقُ رأس السرطان ومغربُه والشمس اذا كان مدارُها مدارَه تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الّذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبَيْه ويحلّل عفونته ويعدّل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويُبْلى ثيابهم ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ اى شأنهم وايواءهم الى كهف كذلك او اخبارك قصّتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ بالتوفيق فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ الّذى اصاب الفلاح والمراد به امّا الثناء عليهم او التنبيه على انّ امثال هذه الآيات كثيرة ولكنّ المنتفع بها من وفّقه اللّه للتأمّل فيها
والاستبصار بها وَمَنْ يُضْلِلْ ومن يخذله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا من يليه ويرشده (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ركوع ١٥
لانفتاح عيونهم او كثرة تقلّبهم وَهُمْ رُقُودٌ نيام وَنُقَلِّبُهُمْ فى رقدتهم ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان ، وقرئ ويُقَلِّبُهُمْ بالياء والضمير للّه تعالى وتَقَلُّبَهُمْ على المصدر منصوبا بفعل يدلّ عليه وتحسبهم اى وترى تقلّبهم وَكَلْبُهُمْ هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فانطقه اللّه تعالى فقال انا احبّ احبّاء اللّه فناموا وانا احرسكم او كلب راعٍ مرّوا به فتبعهم فتبعه ويؤيّده قراءة من قرأ وَكَالِبُهُمْ اى وصاحب كلبهم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ حكاية حال ماضية ولذلك أُعمل

جزء ١٥ ركوع ١٥ اسمُ الفاعل بِٱلْوَصِيدِ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فنظرت اليهم وقرئ لَوُ ٱطَّلَعْتَ بضمّ الواو لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا لهربت منهم ، وفرارا يحتمل المصدر لانّه نوع من التولية والعلّة والحال وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا خوفا يملأ صدرك لما البسهم اللّه من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انّه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كُشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عبّاس رضه ليس لك ذلك قد منع اللّه تعالى من هو خير منك فقال لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلمّا دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم ، وقرأ الحجازيّان لَمُلِّئْتَ بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائيّ ويعقوب رُعُبًا بالتثقيل (١٨) وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ وكما انمناهم بعثناهم آية على كمال قدرتنا لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم وما صنع اللّه بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة اللّه ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم اللّه به عليهم قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ بناء على غالب ظنّهم لانّ النائم لا يُحصى مدّة نومه ولذلك احالوا العلم الى اللّه تعالى قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انّهم لمّا دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنّوا انّهم فى يومهم او اليوم الّذى بعده قالوا ذلك فلمّا نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثمّ لمّا علموا انّ الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمّهم وقالوا فَٱبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ والورق الفضّة مضروبةً كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وخلف وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما او غير مدغم وردّ المدغم لالتقاء الساكنين على غير حدّه ، وحملهم له دليلٌ على انّ التزوّد رأي المتوكّلين ، والمدينة طَرَسُوس فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا اىّ اهلها أَزْكَىٰ طَعَامًا احلّ واطيب او اكثر وارخص فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وليتكلّف اللطف فى المعاملة حتّى لا يُغبن او فى التخفّى حتّى لا يُعرف وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ولا يفعلنّ ما يؤدّى الى الشعور (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ان يطّلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدّر فى ايّها يَرْجُمُوكُمْ يقتلوكم بالرجم أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ او يصيّروكم اليها كرها من العَوْد بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اوّلا على دينهم فآمنوا وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ان دخلتم فى ملّتهم (٢٠) وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم لِيَعْلَمُوا ليعلم الّذين اطلعناهم على حالهم أَنَّ وَعْدَ ٱللّٰهِ بالبعث او الموعود الّذى هو البعث حَقٌّ لانّ نومهم وانتباههم كحال من يموت ثمّ يُبعث وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا وانّ القيامة لا ريب فى امكانها فانّ من توفّى نفوسهم وامسكها ثلثمائة حافظا ابدانها من التحلّل والتفتّت ثمّ ارسلها اليها قدر ان يتوفّى نفوس جميع الناس ممسكا ايّاها الى ان يحشر ابدانها فيردّها اليها إِذْ يَتَنَازَعُونَ ظرف لأعثرنا اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون

بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ امرَ دينهم وكان بعضهم يقول تُبْعَث الارواحُ مجرّدةً وبعضهم يقول يُبْعَثان معا ليرتفع الخلاف جزء ١٥ ويتبيّن انّهما يبعثان معا او امرَ الفتية حين اماتهم اللّه ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ركوع ١٥ ناموا نومهم اوّل مرّة او قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتّخذونه قرية وقال آخرون لنتّخذنّ عليهم مسجدا يصلّى فيه كما قال تعالى فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا وقوله ربّهم اعلم بهم اعتراض امّا من اللّه ردّا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد رسول اللّه صلعم او من المتنازعين للردّ الى اللّه بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقّق لهم ذلك حُكى انّ المبعوث لمّا دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتّهموه بانّه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيّا موحّدا فقصّ عليه القصص فقال بعضهم انّ آباءنا اخبرونا انّ فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلّهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلّموهم ثمّ قالت الفتية للملك نستودعك اللّه ونُعيذك به من شرّ الجنّ والانس ثمّ رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لمّا انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتّى أَدْخل اوّلا لئلّا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمّ مسجدا (٢١) سَيَقُولُونَ اى الخائضون فى قصّتهم فى عهد رسول اللّه صلعم من اهل الكتاب والمؤمنين ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم وقيل هو قول اليهود وقيل قول السيّد من نصارى نَجْرانَ وكان يعقوبيّا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريّا رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ يرمون رَمْيا بالخبر الخفىّ الّذى لا مُطّلع لهم عليه واتيانا به او ظنّا بالغيب من قولهم رجم بالظنّ اذا ظنّ، وانّما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ انّما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء اللّه اليه بأن أتبعه قوله قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ وأتبع الاوّلين قوله رجما بالغيب وبأن اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فانّ عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحلّ دليل العدم مع انّ الاصل ينفيه ثمّ ردّ الاوّلين بأن اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعيّن الثالث وبأن ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفةً للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على انّ اتّصافه بها امرٌ ثابتٌ وعن علىّ رضه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يَمْليخا ومَكْشَلينيا ومَشْلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومَرْنُوش ودَبَرْنُوش وشَاذَنُوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الّذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أَفْسُوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم (٢٢) فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا فلا تجادل فى شأن الفتية الّا جدالا ظاهرا غير متعمّق فيه وهو ان تقصّ عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والردّ عليهم وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ولا تسأل احدا منهم عن قصّتهم سؤالَ مسترشد

جزء ۱۵ فانّ فيما أُوحى اليك لمندوحةً عن غيره مع انّه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنّت تريد تفضيح المسئول رکوع ۱۹ وتزييف ما عنده فانّه يُخلّ بمكارم الاخلاق (۲۳) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نهيُ تأديب من اللّه لنبيّه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدًا اخبركم ولم يَستثنِ فابطأ عليه الوحىُ بِضعةَ عشرَ يومًا حتّى شقّ عليه وكذّبته قريش، والاستثناء من النهى اى ولا تقولنّ لاجل شىء تعزم عليه انّى فاعله فيما يستقبل الّا بأن يشاء اللّه اى الّا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء اللّه او الّا وقتَ انْ يشاء اللّه ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لانّ استثناء اقتران المشيئة بالفعل غيرُ سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهىَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ مشيئة ربّك وقل ان شاء اللّه كما روى انّه لمّا نزل قال عم ان شاء اللّه إِذَا نَسِيتَ اذا فرط منك نسيان لذلك ثمّ تذكّرته وعن ابن عبّاس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوّز تأخير الاستثناء عنه وعامّةُ الفقهاء على خلافه لانّه لو صحّ ذلك لم يتقرّر اقرارٌ ولا طلاقٌ ولا عتاقٌ ولم يُعْلَم صِدْقٌ ولا كذبٌ وليس فى الآية والخبرِ أنّ الاستثناء المتدارَك به من القول السابق بل هو من مقدّرٍ مدلولٍ به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربّك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغةً فى الحثّ عليه او اذكرْ ربّك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكرْه اذا اعتراك النسيان ليذكّرك المنسىّ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي يدلّنى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انّى نبىّ من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لأعظمَ من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايّامُهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسىّ (۲۴) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا يعنى لبثهم فيه أحياءً مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبلُ وقيل انّه حكاية كلام اهل الكتاب فانّهم اختلفوا فى مدّة لبثهم كما اختلفوا فى عدّتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين ، وقرأ حمزة والكسائىّ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسّنه ههنا أنّ علامة الجمع فيه جبرٌ لما حذف من الواحد وأنّ الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يُضِف ابدل السنين من ثلث مائة (۲۵) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علمًا أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ذكر بصيغة التعجّب للدلالة على انّ امره فى الادراك خارج ممّا عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شىء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفىّ وجلىّ والهاء تعود الى اللّه ومحلّه الرفع على الفاعليّة والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أَبْصَرَ اى صار ذا بصرٍ ثمّ نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصبُ على المفعوليّة عند الاخفش والفاعلُ ضمير المأمور وهو كلّ احد والباء مزيدةٌ ان كانت الهمزة للتعدية ومعدّيةٌ ان كانت للصيرورة مَا لَهُمْ الضمير لاهل السموات والارض مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ من يتولّى امورهم وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ فى قضائه أَحَدًا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا

وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كلّ احد عن الاشراك ، ثمّ لمّا دلّ اشتمال القران جوء ١٥
على قصّة اصحاب الكهف من حيث انّها من المغيّبات بالاضافة الى الرسول صلعم على انّه وحى معجز أَمَرَهُ ركوع ١٩
ان يداوم دَرْسَهُ ويلازم اصحابه فقال (٢٦) وَٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدّله لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (٢٧) وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ واحبسها وثبّتها مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بِٱلْغُدْوَةِ وفيه انّ غدوة عَلَمٌ فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير يُرِيدُونَ وَجْهَهُ رضى اللّه وطاعته وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ وَلَا تُعْدِ عَيْنَيْكَ ولا تُعَدِّ من أعداه وعدّاه والمراد نهى الرسول ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيّهم طموحا الى طراوة زىّ الاغنياء تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا حال من الكاف فى المشهورة ومن المستكنّ فى الفعل فى غيرها وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ من جعلنا قلبه غافلا عَنْ ذِكْرِنَا كأُمَيّة بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على أنّ الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتّى خفى عليه انّ الشرف بتحلية النفس لا بزينة الجسد وأنّه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة ، والمعتزلة لمّا غاظهم اسناد الاغفال الى اللّه قالوا انّه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نَسِمْه بذكرنا كقلوب الّذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجّوا على انّ المراد ليس ظاهر ما ذكر اوّلا بقوله وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وجوابه ما مرّ غير مرّة ، وقرئ أَغْفَلَنَا باسناد الفعل الى القلب على معنى حَسِبَنَا قلبه غافلين عن ذكرنا ايّاه بالمؤاخذة وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا اى تقدّما على الحقّ ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فُرُط اى متقدّم للخيل ومنه الفَرَط (٢٨) وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ما يكون من جهة اللّه لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحقّ خبرَ محذوف ومن ربّكم حالا فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ لا ابالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضى استقلال العبد بفعله فانّه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إِنَّا أَعْتَدْنَا هيّأنا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا فسطاطها شبّه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة الّتى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا من العطش يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَٱلْمُهْلِ كالجسد المذاب وقيل كدُرْدِىّ الزيت وهو على طريقة قوله • فأعْتبوا بالصيلم • يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ اذا قُدّم ليُشرَب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير فى الكاف بِئْسَ ٱلشَّرَابُ المهل وَسَاءَتْ النارُ مُرْتَفَقًا متّكأ وأصلُ الارتفاق نصب المرفق تحت الخدّ وهو لمقابلة قوله وحَسُنت مرتفقا والّا فلا ارتفاق لاهل النار (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا

جزء ١٥ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا خبرُ انّ الاولى هي الثانية بما في حيّزها والراجع محذوف تقديره من احسن
ركوع ١٦ عملا منهم او مستغنًى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيدٌ او
وقعَ موقعه الظاهر فانّ من احسن عملا لا يحسن اطلاقه على الحقيقة الّا على الّذين آمنوا وعملوا
الصالحات او (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وما بينهما اعتراض وعلى الاوّل
استيناف لبيان الاجر او خبرٌ ثانٍ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ من الاولى للابتداء والثانية
للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حُسْنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع
سِوار وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا لانّ الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ممّا
رقّ من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على انّ فيها ما تشتهي الانفس وتلذّ الاعين
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ على السُرُر كما هو هيئة المتنعّمين نِعْمَ الثَّوَابُ الجنّة ونعيمها وَحَسُنَتْ الارائك
ركوع ١٧ مُرْتَفَقًا متّكأً (٣١) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا للكافر والمؤمن رَجُلَيْنِ حال رجلين مقدّرين او موجودين هما اخوان
من بني اسرائيل كافر اسمه قُطْروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى
الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه اللّه تعالى وقيل المثّل بهما
اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشدّ ومؤمن وهو ابو سلمة عبد اللّه بن عبد الاشدّ
زوجُ امّ سلمة قبل رسول اللّه جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ بستانين مِنْ أَعْنَابٍ من كروم والجملة بتمامها
بيان للتمثيل او صفة للرجلين وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزّرا بها كرومهما يقال
حفّه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافّين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشّيته
به وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا وسطهما ليكون كلّ منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصلَ العمارة على الشكل
الحسن والترتيب الانيق كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كلّ
الْجَنَّتَيْنِ آتى أُكُلَهُ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ ولم تنقص من اكلها شَيْئًا يُعْهَد في سائر البساتين فانّ الثمار تتمّ
في عام وتنقص في عام غالبا (٣٢) وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ليدوم شربهما فانّه الاصل ويزيدَ بهاؤهما وعن
يعقوب وَفَجَرْنَا بالتخفيف وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ انواع من المال سوى الجنّتين من ثَمَّرَ مالَهُ اذا كثّره وقرأ عاصم
بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضمّ الثاء واسكان الميم والباقون بضمّهما وكذلك في قوله واحيط بثمره
فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ يراجعه في الكلام من حار اذا رجع أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا حشما
واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانّهم الّذين ينفرون معه (٣٣) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وافراد الجنّة لانّ المراد ما هو جنّته وهو ما متّع به من الدنيا تنبيها على ان لا جنّة له غيرها
ولا حظّ له في الجنّة الّتي وُعد المتّقون او لاتّصال كلّ واحدة من جنّتيه بالاخرى او لانّ الدخول
يكون في واحدة واحدة وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ضارّ لها بعُجْبه وكفره قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ ان تفنى هَذِهِ

جزء ۱۵ رکوع ۱۷

الجنّة أَبَدًا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته (۳۴) وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً كائنة وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى بالبعث كما زعمت لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا من جنّته وقرأ الحجازيّان والشامىّ مِّنْهُمَا اى من الجنّتين مُنقَلَبًا مرجعا وعاقبةً لانّها فانية وتلك باقية وانّما اقسم على ذلك لاعتقاده انّه تعالى انّما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه ايّاه لذاته وهو معه اينما تلقّاه (۳۵) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ لانّه اصل مادّتك او مادّة اصلك ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ فانّها مادّتك القريبة ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ثمّ عدّلك وكمّلك انسانا ذكرا بالغا مَبْلَغَ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا باللّه لانّ منشأه الشكّ فى كمال قدرة اللّه ولذلك رتّب الانكار على خلقه ايّاه من التراب فانّ من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه (۳۶) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا اصله لكنْ أنا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغامُ وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكنْ أنا على الاصل ، وهُوَ ضميرُ الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبرُ أنا او ضميرُ اللّه واللّه بدله وربّى خبره والجملة خبرُ أنا ، والاستدراك من اكفرت كانّه قال انت كافر باللّه لكنّى مؤمن به ، وقد قرئ لكنْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ولكنْ أنا لا اله الّا هو ربّى (۳۷) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ وهلّا قلت عند دخولها مَا شَآءَ ٱللَّهُ الامرُ ما شاء اللّه او ما شاء اللّه كائنٌ على انّ ما موصولة او اىّ شىء شاء اللّه كان على انّها شرطيّة والجواب محذوف اقرارا بانّها وما فيها بمشيئة اللّه ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ وقلت لا قوّة الّا باللّه اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة للّه وانّ ما تيسّر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبىّ صلعم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء اللّه لا قوّة الّا باللّه لم يضرّه إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا يحتمل أن يكون انا فصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الاوّل وقرئ أَقَلُّ بالرفع على انّه خبرُ انا والجملة مفعولٌ ثانٍ لترن ، وفى قوله وولدا دليل لمن فسّر النفر بالاولاد (۳۸) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا على جنّتك لكفرك حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَرامِىَ جمعُ حُسْبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذابُ حساب الاعمال السيّئة فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ارضا ملساء يُزلَق عليها باستيصال نباتها واشجارها (۳۹) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا غائرا فى الارض مصدرٌ وُصف به كالزَلَق فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا للماء الغائر تردّدا فى ردّه (۴۰) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ وأُهلك امواله حسبما توقّعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدوّ فانّه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدوّ اذا جاءهم مستعليا عليهم فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظهرا لبطن تلهّفا وتحسّرا عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا فى عمارتها وهو متعلّق بيقلّب لانّ تقليب الكفّين كناية عن الندم وكانّه قيل فاصبح يندم او حالٌ اى متحسّرا على ما انفق فيها

جزء ١٥ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ساقطة عَلَى عُرُوشِهَا بأن سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها وَيَقُولُ عطف على
ركوع ١٧ يقلّب او حال من ضميره يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا كانّه تذكّر موعظة اخيه وعلم انّه أُتِيَ من قبل شركه فتمنّى لو لم يكن مشركا فلم يهلك اللّه بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (٤١) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء لتقدّمه يَنْصُرُونَهُ يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او ردّ المُهْلَك او الاتيان بمثله مِنْ دُونِ اللَّهِ فانّه القادر على ذلك وحده وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا وما كان ممتنعا بقوّته عن انتقام اللّه منه (٤٢) هُنَالِكَ في ذلك المقام وتلك الحال الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيرُه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا لاوليائه وقرأ حمزة والكسائىّ بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يُغْلَب ولا يُمْنَع منه او لا يُعْبَد غيرُه كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا اللّه مخلصين له الدين فيكون تنبيها على انّ قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع ممّا دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو والكسائىّ الْحَقُّ بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكّد وقرأ حمزة وعاصم عُقْبًا بالسكون وقرئ
ركوع ١٨ عُقْبَى وكلّها بمعنى العاقبة (٤٣) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا واذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كَمَاءٍ هي كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضربْ على انّه بمعنى صيّر أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فالتفّ بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتّى روى ورفّ وعلى هذا كان حقّه فاختلط بنبات الارض لكنّه لمّا كان كلّ من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فَأَصْبَحَ هَشِيمًا مهشوما مكسورا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ تفرّقه وقرئ تُذْرِيهِ من اذرى والمشبّه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفيّة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المُنْبَت بالماء يكون اخضر وارفا ثمّ هشيما تُطيره الرياح فيصير كأنْ لم يكن وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ من الانشاء والافناء مُقْتَدِرًا قادرا (٤٤) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يتزيّن بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عمّا قريب وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ واعمال الخير التي تبقى له ثمرتها ابدَ الآباد ويندرج فيها ما فُسّرت به من الصلوات الخمس واعمال الحجّ وصيام رمضان وسبحان اللّه والحمد للّه ولا اله الّا اللّه واللّه اكبر والكلام الطيّب خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ من المال والبنين ثَوَابًا عائدة وَخَيْرٌ أَمَلًا لانّ صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا (٤٥) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ واذكر يوم نقلعها ونسيّرها في الجوّ او نذهب بها فنجعلها هباء منبثّا ويجوز عطفه على عند ربّك اى الباقيات الصالحات خيرٌ عند اللّه ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تُسَيَّرُ بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تَسِيرُ من سارت وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ

وَتَرَى على بناء المفعول وَحَشَرْنَاهُمْ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسيّر وترى لتحقّق الحشر جزء ١٥
او للدلالة على انّ حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وُعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال ركوع ١٨
باضمار قَدْ فَلَمْ نُغَادِرْ فلم نترك مِنْهُمْ أَحَدًا يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير
لما غادره السيل وقرئ بالياء (٤٦) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ شبّه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صَفًّا مصطفّين لا يحجب احد احدا لَقَدْ جِئْتُمُونَا على اضمار القول على وجه
يكون حالا او عاملا فى يوم نسيّر كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عُراة لا شىء معكم من المال والولد كقوله
ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وقتا
لانجاز الوعد بالبعث والنشور وانّ الانبياء كذبوكم به، وبَلْ للخروج من قصّة الى اخرى (٤٧) وَوُضِعَ
ٱلْكِتَابُ صحائف الاعمال فى الأيمان والشمائل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب
فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ خائفين مِمَّا فِيهِ من الذنوب وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ينادون هلكتهم التى هلكوها
من بين الهلكات مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ تعجّبا من شأنه لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً هنة صغيرة وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
الّا عدّها واحاط بها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا مكتوبا فى الصحف وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد فى عقابه الملائم لعمله (٤٨) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ركوع ١٩
كرّره فى مواضع لكونه مقدّمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحالّ وههنا لمّا شنّع على المفتخرين واستقبح
صنيعهم قرّر ذلك بانّه من سُنن ابليس او لمّا بيّن حال المغرور بالدنيا والمُعْرض عنها وكان سبب
الاغترار بها حبّ الشهوات وتسويل الشيطان زهّدهم اوّلا فى زخارف الدنيا بانّها عُرضة الزوال والاعمال
الصالحة خيرٌ وابقى من انفسها وأعلاها ثمّ نفّرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة
وهكذا مذهب كلّ تكرير فى القران كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ حال باضمار قَدْ او استيناف للتعليل كانّه قيل ما
له لم يسجد فقيل كان من الجنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ فخرج عن امره بترك السجود والفاء للسبب
وفيه دليل على انّ المَلَك لا يعصى البتّة وانّما عصى ابليس لانّه كان جنّيا فى اصله والكلام المستقصى
فيه فى سورة البقرة أَفَتَتَّخِذُونَهُ اعقيب ما وُجد منه تتّخذونه والهمزة للانكار والتعجّب وَذُرِّيَّتَهُ اولاده
او اتباعه وسمّاهم ذرّيّة مجازا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا من الله ابليس وذرّيّته (٤٩) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ
نفى احضار ابليس وذرّيّته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدلّ على نفى الاعتضاد
بهم فى ذلك كما صرّح به بقوله وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا اى اعوانا ردّا لاتّخاذهم اولياء من
دون الله شركاء له فى العبادة فانّ استحقاق العبادة من توابع الخالقيّة والاشراك فيه يستلزم الاشراك

جزء ١٥ فيها فوضع المضلّين موضع الضمير ذمًّا لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما
ركوع ١٩ اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتّى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا
تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانّه لاينبغي لي ان اعتضد بالمضلّين لديني ويعضده قراءة من قرأ وَمَا كُنْتَ على خطاب الرسول صلعم وقرئ مُتَّخِذًا ٱلْمُضِلِّينَ على الاصل وعَضْدًا بالتخفيف وعُضُدًا بالاتباع وعَضَدًا كخَدَم جمع عاضد من عَضَدَه اذا قوّاه (٥٠) وَيَوْمَ يَقُولُ اى الله للكفّار وقرأ حمزة بالنون نَادُوا شُرَكَآئِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أنّهم شركائى وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عُبد من دونه وقيل ابليس وذرّيته فَدَعَوْهُمْ فنادوهم للاغاثة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ فلم يغيثوهم وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ بين الكفّار وآلهتهم مَوْبِقًا مَهْلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوةً هي في شدّتها هلاك كقول عمر رضه لا يكن حُبّك كَلَفا ولا بغضك تَلَفا اسم مكان او مصدرٌ من وَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يومَ القيامة (٥١) وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا فأيقنوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا مخالطوها واقعون فيها وَلَمْ يَجِدُوا
ركوع ٢٠ عَنْهَا مَصْرِفًا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه (٥٢) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ من كلّ جنس يحتاجون اليه وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ يتأتّى منه الجدل جَدَلًا خصومةً بالباطل وانتصابه على التمييز (٥٣) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا من الايمان إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وهو الرسول الداعى والقران المبين وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ومن الاستغفار عن الذنوب إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ الّا طلبُ او انتظارُ او تقديرُ ان تأتيهم سنّة الاوّلين وهى الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ عذاب الآخرة قِبَلًا عيانا وقرأ الكوفيّون قُبُلًا بضمّتين وهو لغةٌ فيه او جمعُ قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابَلةً وقِبَلا وقَبَلا وقُبُلا وقَبِيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب (٥٤) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ للمؤمنين والكافرين وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلْبَاطِلِ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصّة اصحاب الكهف ونحوها تعنّتا لِيُدْحِضُوا بِهِ ليزيلوا بالجدال ٱلْحَقَّ عن مقرّه ويُبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الّا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك وَٱتَّخَذُوا آيَاتِي يعنى القران وَمَا أُنْذِرُوا وانذارهم او والّذى انذروا به من العقاب هُزُوًا استهزاء وقرئ هُزْءًا بالسكون وهو ما يُستهزأ به (٥٥) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ بالقران فَأَعْرَضَ عَنْهَا فلم يتدبّرها ولم يتذكّر بها وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ من الكفر والمعاصى فلم يتفكّر في عاقبتها إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانّهم مطبوع على قلوبهم أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهةَ ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنعهم ان يستمعوه حقّ

استماعه (٥٦) وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا تحقيقا ولا تقليدا لانّهم لا يفقهون ولا جزء ١٥
يسمعون ، واذًا كما عرفت جزاءٌ وجوابٌ للرسول على تقدير قوله ما لى لا ادعوهم فانّ حِرصه على اسلامهم ركوع ٢٠
يدلّ عليه (٥٧) وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ البليغ المغفرة ذُو ٱلرَّحْمَةِ الموصوف بالرحمة لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ
لَهُمُ ٱلْعَذَابَ استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلعم بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ وهو
يوم بدر او يوم القيامة لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا مَنجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا
لجأ اليه (٥٨) وَتِلْكَ ٱلْقُرَى يعنى قرى عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره أَهْلَكْنَاهُمْ او مفعول مضمر
مفسّر به والقرى صفته ولا بدّ من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مَرْجِعَ الضمائر لَمَّا ظَلَمُوا كقريش
بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه
ساعةً ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغترّوا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لِمَهْلَكِهِمْ بفتح الميم
واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذّ من مصادر يَفْعِل كالمَرْجِع والمَحِيض
(٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى مقدّر باذكر لِفَتَاهُ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم فانّه كان يخدمه ركوع ٢١
ويتبعه ولذلك سمّاه فتاه وقيل لعبده لَا أَبْرَحُ لا ازال اسيرُ فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفرُ وقوله
حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ من حيث انّها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح
مسيرى حتّى ابلغ على انّ حتّى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضميرُ
والفعلُ وأن يكون لا ابرح هو بمعنى لا ازول عمّا انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى
الخبرَ ، ومجمع البحرين ملتقى بحرَىْ فارس والروم ممّا يلى المشرق وُعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران
موسى وخضر عليهما السلام فانّ موسى كان بحرَ علم الظاهر وخضر بحرَ علم الباطن وقرئ مَجْمِعَ
بكسر الميم على الشذوذ من يَفْعَلُ كالمَشْرِق والمَطْلِع أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا او اسير زمانا طويلا والمعنى
حتّى يقع إمّا بلوغُ المجمع او مُضِىُّ الحقب او حتّى ابلغ الّا ان امضى زمانا اتيقّن معه فواتَ المجمع
والحُقُبُ الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى انّ موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط
ودخوله مصر خطبةً بليغةً فأُعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله اليه بل
اعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايّام افريدون وكان على مقدّمة ذى
القرنين الاكبر وبقى الى ايّام موسى وقيل انّ موسى عم سأل ربّه أىّ عبادك احبُّ اليك قال الّذى يذكرنى
ولا ينسانى قال فأىّ عبادك اقضى قال الّذى يقضى بالحقّ ولا يتبع الهوى قال فأىّ عبادك اعلم قال
الّذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدلّه على هُدًى او تردّه عن رَدًى فقال ان
كان فى عبادك اعلمُ منّى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مِكْتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدتَ الحوت فاخبرنى
فذهبا يمشيان (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا اى مجمع البحرين وبينهما ظرفٌ أُضيف اليه على الاتساع

جزء ١٥ ركوع ٢١ او بمعنى الوصل نَسِيَا حُوتَهُمَا نسي موسى أن يطلبه ويتعرّف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر روى انّ موسى رقد فاضطرب الحوت المشوىّ ووثب فى البحر معجزةً لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقّد امره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا فاتّخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وساربٌ بالنهار وقيل امسك اللّه جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلّقه باتّخذ (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا مجمع البحرين قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا ما نتغدّى به لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا قيل لم ينصب حتّى جاوز الموعد فلمّا جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر أُلقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يَعْيَ موسى فى سفرٍ غيره ويؤيّده التقييد باسم الاشارة (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا ارأيت ما دهانى اذ اوينا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ فقدته او نسيت ذكره بما رأيتُ منه وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ اى وما انسانى ذِكْرَهُ الّا الشيطان فانّ أن اذكره بدل من الضمير وقرئ أن أذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحالُ وإن كانت عجيبة لا يُنسى مثلها لكنّه لمّا ضرِيَ بمشاهدة امثالها عند موسى وأَلِفها قلّ اهتمامه بها ولعلّه نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانّما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لانّ عدم احتمال القوّة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يُعَدّ من نقصان وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتّخاذا عجبا والمفعولُ الثانى هو الظرف وقيل مصدرٌ فعله المضمَر اى قال فى آخر كلامه او موسى فى جوابه عجبا تعجّبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتّخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (٦٣) قَالَ ذٰلِكَ اى امر الحوت مَا كُنَّا نَبْغِ نطلب لانّه أمارة المطلوب فَٱرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا فرجعا فى الطريق الّذى جاءا فيه قَصَصًا يقصّان قصصا اى يتّبعان آثارهما اتّباعا او مقتصّين حتّى اتيا الصخرة (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا الجمهور على انّه الخضر واسمه بَلْيَا بن مَلْكان وقيل ٱلْيَسَع وقيل اِلْيَاس آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا هى الوحى والنبوّة وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ممّا يختصّ بنا ولا يُعْلَم الّا بتوقيفنا وهو علم الغيوب (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ على شرطِ أن تعلّمنى وهو فى موضع الحال من الكاف مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا علمًا ذا رشدٍ وهو اصابة الخير وقرأ البصريّان بفتحتين وهما لغتان كالبُخل والبَخل وهو مفعولُ تعلّمن ومفعولُ عُلّمتَ العائدُ المحذوف وكلاهما منقولان من عَلِمَ الّذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون رشدا علّةً لأتّبعك او مصدرًا باضمار فعله ولا ينافى نبوّته وكونه صاحبَ شريعة أن يتعلّم من غيره ما لم يكن شَرْطا فى ابواب الدين فانّ الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممّن أُرسل اليه فيما بُعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان

يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم اللّه عليه (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ جزء ١٥
مَعِيَ صَبْرًا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنّها ممّا لا يصحّ ولا يستقيم وعلّل ركوع ٢١
ذلك واعتذر عنه بقوله (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا اى وكيف تصبر وانت نبيّ على
ما أتولّى من امور ظاهرها مناكير وباطنها لم يحط به خُبْرك وخبرا تمييز او مصدر لانّ لم تحط به
بمعنى لم تخبره (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا معك غير منكر عليك وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا عطف
على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاصٍ او على ستجدنى ، وتعليق الوعد بالمشيئة امّا للتيمّن وخُلْفه
ناسيا لا يقدح فى عصمته او لعلمه بصعوبة الامر فانّ مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا
خُلْف وفيه دليل على انّ افعال العباد واقعة بمشيئة اللّه تعالى (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ
فلا تفاتحنى بالسؤال عن شيء انكرته منّى ولم تعلم وجه صحّته حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا حتى
ابتدئك ببيانه ، وقرأ نافع وابن عامر فَلَا تَسْأَلَنِّي بالنون الثقيلة (٧٠) فَانطَلَقَا على الساحل يطلبان ركوع ٢٢
السفينة حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من الواحها
قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا فانّ خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتُغَرِّق
بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائيّ لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا على اسناده الى الاهل لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا اتيت
امرا عظيما من أَمِرَ الامرُ اذا عظم (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا تذكير لما ذكره قبلُ
(٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ بالذى نسيته او بشيء نسيته يعنى وصيّته بأن لا يعترض عليه او
بنسيانى ايّاها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل
اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيّتك اوّل مرّة وقيل انّه من معاريض الكلام
والمراد شيء آخر نسيه وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على
المنسيّ فانّ ذلك يعسّر علىّ متابعتك وعسرا مفعول ثانٍ لترهق فانّه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه ايّاه
وقرئ عُسُرًا بضمّتين (٧٣) فَانطَلَقَا اى بعد ما خرجا من السفينة حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قيل فتل
عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه ، والفاء للدلالة على انّه كما لقيه قتله من غير
تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زَاكِيَةً والاوّل ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية الّتى لم تذنب قطّ
والزكيّة الّتى اذنبت ثمّ غُفرت ولعلّه اختار الاوّل لذلك فانّها كانت صغيرة لم تبلغ الحُلُم او انّه لم
يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبّه به على انّ القتل انّما يباح حدّا او
قصاصا وكلا الامرين منتفٍ ، ولعلّ تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا فى
الاولى وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لانّ القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان

جدير بأن يُفصل صدر الكلام ولذلك فصله بقوله لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا اى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نُكُرا بضمّتين (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا زاد فيه لَكَ مكافحة بالعتاب على رفض الوصيّة ووسما بقلّة الثبات والصبر لما تكرّر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اوّل مرّة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرّة (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِى وان سألت صُحْبتك وعن يعقوب فَلَا تَصْحَبْنِى اى فلا تجعلنى صاحبك قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا قد وجدت من قِبَلى عذرا لما خالفتك ثلاث مرّات وعن رسول اللّه صلعم رحم اللّه اخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر اعجب الاعاجيب ، وقرأ نافع لَدُنِى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله • قَدْنِىَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِى • وابو بكر بتحريك النون واسكان الدال اسكانَ الضاد من عَضُد (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ قرية انطاكية وقيل أُبُلّة البصرة وقيل باجَرْوان ارمينية ٱسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا وقرئ يُضِيفوهُمَا من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وأضافه وضيّفه انزله واصلُ التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهمّ والعزم قال

يُرِيد الرمحُ صَدْرَ ابى بَراء ويَعْدِل عن دماء بنى عُقَيْل

وقال

إِنَّ دَهْرًا يَلُفّ شَمْلِى بجُمْل لَزمانٌ يَهُمّ بالاحسان

وانقضّ انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهُوِيّه او ٱفْعَلّ من النقض وقرئ أَنْ يُنْقَضَ وأَنْ يَنْقَاصَ بالصاد المهملة من انقاصت السنّ اذا انشقّت طولا فَأَقَامَهُ بعمارته او بعمود عَمَده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قَالَ لَوْ شِئْتَ لَٱتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا تحريضا على اخذ الجُعْل لينتعشا به او تعريضا بانّه فضول لما فى لَوْ من النفى كانّه لمّا رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه ، واتّخذ افتعل من تخذ كاتّبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريّين وقرأ ابن كثير والبصريّان لَتَخِذْتَ اى لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون (٧٧) قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى او الى الاعتراض الثالث او الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته ، واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتّساع وقد قرئ على الاصل سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (٧٨) أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ لمحاويج وهو دليل على انّ المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سُمّوا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانّها كانت لعشرة اخوة خمسة زَمْنَى وخمسة يعملون فى البحر فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا اجعلها ذات عيب وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ قدّامهم او خلفهم وكان رجوعهم

عليهم واسمه جلندى بن كركر . وقيل منوار بن جلندى الازدى يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا من اصحابها جزء ١٦
وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لانّ ارادة التعييب ركوع ١
مسبّب عن خوف الغَصْب وانّما قدّم للعناية او لانّ السبب لمّا كان مجموع الامرين خوف الغصب
ومَسْكنة المُلّاك رتّبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم ، وقرئ كُلَّ
سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ والمعنى عليها (٧٩) وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ان يُغْشِيَهما
طُغْيَانًا وَكُفْرًا لنعمتهما بعقوقه فيُلْحقهما شرًّا او يَقْرِنَ بايمانهما طغيانَه وكفرَه فيجتمعَ فى بيت واحد
مؤمنان وطاغٍ كافر او يُعْدِيَهما بعلّته فيرتدّا باضلاله او بممالأتهما على طغيانه وكفره حبًّا له وانّما
خشى ذلك لانّ اللّه تعالى اعلمه وعن ابن عبّاس انّ نَجْدة الحَروريّ كتب اليه كيف قتله وقد نهى
النبىّ صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه إن علمتَ من حال الولدان ما علمه عالِمُ موسى فلك ان
تقتل ، وقرئ فَخَافَ رَبُّكَ اى فكره كراهةَ مَنْ خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية
قول اللّه عزّ وجلّ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زَكَوٰةً طهارة
من الذنوب والاخلاق الرديّة وَأَقْرَبَ رُحْمًا رحمة وعطفا على والديه قيل وُلِدَتْ لهما جارية فتزوّجها نبىّ
فولَدَتْ له نبيًّا هدى اللّه به امّةً من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يُبَدِّلَهُمَا بالتشديد وابن عامر ويعقوب
وعاصم رُحُمًا بالتخفيف وانتصابُه على التمييز والعاملُ اسم التفضيل وكذلك زكوة (٨١) وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ قيل اسمها أَصْرَم وصُرَيْم واسم المقتول حَيْسُون وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
من ذهب وفضّة رُوى ذلك مرفوعا والذمّ على كنزهما فى قوله والّذين يكنزون الذهب والفضّة لمن لا
يؤدّى زكاتهما وما تعلّق بهما من الحقوق وقيل من كُتُب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبتُ لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلّبها بأهلها
كيف يطمئنّ اليها لا اله الّا اللّه محمّد رسول اللّه وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا تنبيه على انّ سَعْيه فى ذلك
كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الّذى حُفظا فيه سبعة آباء وكان سيّاحا واسمه كاشح
فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا اى الحِلْم وكمال الرأى وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ مرحومَيْن من
ربّك ويجوز ان يكون علّة او مصدرا لاراد فانّ ارادة الخير رحمة وقيل متعلّق بمحذوف تقديرُه فعلتُ
ما فعلتُ رحمةً من ربّك ، ولعلّ اسناد الارادة اوّلا الى نفسه لانّه المباشر للتعييب وثانيا الى اللّه والى نفسه
لانّ التبديل باهلاك الغلام وايجاد اللّه بدلَه وثالثا الى اللّه وحده لانّه لا مدخل له فى بلوغ الغلامين
او لانّ الاوّل فى نفسه شرّ والثالث خير والثانى ممتزج او لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط
وَمَا فَعَلْتُهُ وما فعلتُ ما رأيتَه عَنْ أَمْرِى عن رأيى وانّما فعلته بأمر اللّه تعالى ومَبْنَى ذلك على انّه متى
تعارض ضرران يجب تحمّلُ اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهّد غير انّ الشرائع فى تفاصيله مختلفة

جزء ١٦ ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ، ومن فوائد هذه القصّة أن
ركوع ١ لا يُعْجَب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعلّ فيه سرًّا لا يعرفه وأن يداوم على التعلّم ويتذلّل للمعلّم ويراعى الادب فى المقال وأن ينبّه المُجْرِم على جُرْمه ويعفو عنه حتّى يتحقّق إصرارُه ثمّ يهاجر عنه

ركوع ٢ (٨٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ يعنى إسكندر الرومىّ ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سُمّى ذا القرنين او لانّه طاف قرنَي الدنيا شرقها وغربها وقيل لانّه انقرض فى ايّامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انّه لُقّب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانّه ينطح أقرانَه ، واختُلف فى نبوّته مع الاتّفاق على ايمانه وصلاحه ، والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكّة قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا خطاب للسائلين ، والهاء لذى القرنين وقيل للّه (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى ٱلْأَرْضِ اى مكّنّا له امره من التصرّف فيها كيف شاء فحذف المفعول وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ اراده وتوجّه اليه سَبَبًا وُصْلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فَأَتْبَعَ سَبَبًا فاراد بلوغ المغرب فاتّبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيّون وابن عامر بقطع الالف مخفّفة التاء (٨٤) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ذات حَمْأة من حَمِئَت البئرُ اذا صارت ذات حَمْأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر حَامِيَةٍ اى حارّة ولا تنافى بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين او حَمِيَة على انّ ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعلّه بلغ ساحل البحر المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل انّ ابن عبّاس سمع معاوية يقرأ حَامِيَة فقال حَمِئَة فبعث معاوية الى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية وَوَجَدَ عِنْدَهَا عند تلك العين قَوْمًا قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفّارا فخيّره اللّه بين ان يعذّبهم ويدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله (٨٥) قُلْنَا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ اى بالقتل على كفرهم وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيّره بين القتل والاسر وسمّاه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيّد الاوّل قوله (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا اى فاختار الدعوة وقال امّا من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمرّ على ظلمه الّذى هو الشرك فنعذّبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثمّ يعذّبه اللّه فى الآخرة عذابا منكرا لم يُعْهَد مثله (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وهو ما يقتضيه الايمان فَلَهُ فى الدارين جَزَاءً ٱلْحُسْنَى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص جَزَاءً منوّنا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيّا بها او على المصدر لفعله المقدّر حالا اى يُجْزَى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منوّن على انّ تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوّنا مرفوعا على انّه المبتدأ والحسنى بدله ، ويجوز ان يكون امّا وإمّا للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم امّا التعذيب وامّا الاحسان فالاوّل لمن اصرّ على الكفر والثانى لمن تاب عنه ، ونداء اللّه ايّاه ان كان نبيّا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبىّ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا ممّا نأمر به يُسْرًا سهلا

متيسّرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمّتين (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ثمّ اتبع طريقا يوصله الى المشرق جزء ١٦
(٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ يعنى الموضع الّذى تطلع الشمس عليه اوّلا من معمورة الارض وقرئ ركوع ٢
بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكانَ مَطْلَع الشمس فانّه مصدر وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا من اللباس او البناء فانّ ارضهم لا تمسك الابنية او انّهم اتّخذوا الأسراب بدل الابنية

(٩٠) كَذَٰلِكَ اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الّذين تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ من الجنود والآلات والعُدَد والاسباب خُبْرًا علما تعلّق بظواهره وخفاياه والمرادُ انّ كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الّا علمُ اللطيف الخبير (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ بين الجبلين المبنىّ بينهما سدّه وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفٌ من ورائهما ياجوج وماجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر ويعقوب بَيْنَ ٱلسُّدَّيْنِ بالضمّ وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه اللّه والمفتوح لما عمله الناس لانّه فى الاصل مصدر سُمّى به حَدَثٌ يُحْدثه الناس وقيل بالعكس ، وبَيْنَ ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرّفة وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا لغرابة لغتهم وقلّة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائىّ لا يُفْقِهُونَ اى لا يُفهمون السامعَ كلامَهم ولا يبيّنونه لتلعثمهم فيه (٩٣) قَالُوا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قَالَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِمْ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميّان بدليل منع الصرف وقيل عربيّان من اجّ الظليمُ اذا اسرع وأصلُهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضر الّا اكلوه ولا يابسا الّا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا جُعْلا نُخْرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائىّ خَرَاجًا وكلاهما واحد كالنَّوْل والنَّوال وقيل الخراجُ على الارض والذمّة والخَرْجُ المصدر عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمّه مَنْ ضمّ السدّين غير حمزة والكسائىّ (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير ممّا تبذلون لى من الخراج ولا حاجة لى اليه ، وقرأ ابن كثير مَكَّنَنِى على الاصل فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ اى بقوّة فَعَلة او بما اتقوّى به من الآلات أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوبٌ مردّم اذا كان رِقاعٌ فوق رِقاع (٩٥) آتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ قطعه والزُبْرة القطعة الكبيرة ، وهو لا ينافى ردّ الخراج والاقتصار على المعونة لانّ الايتاء بمعنى المناولة ويدلّ عليه قراءة ابى بكر رَدْمًا ٱئْتُونِى بكسر التنوين موصولةَ الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء

جزء ١٦ محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأنّ إعطاء الآلة من الاعانة بالقوّة دون الخراج على العمل حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
ركوع ٢ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريّان بضمّتين وابو بكر
بضمّ الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضمّ الدال وكلّها لغات من الصَدَف وهو الميل لانّ كلّا
منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قَالَ ٱنفُخُوا اى قال للعَمَلة انفخوا في الاكوار والحديد
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ جعل المنفوخ فيه نَارًا كالنار بالاحماء قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا اى آتونى قطرا اى نحاسا
مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه وبه تمسّك البصريّون على انّ إعمال الثانى من
العاملين المتوجّهين نحو معمول واحد أولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لأضمر مفعول افرغ حذرا من
الالباس ، وقرأ حمزة وابو بكر قَالَ ٱئْتُونِى موصولة الالف (٩٦) فَمَا ٱسْطَاعُوٓا بحذف التاء حذرا من تلاقى
متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حدّه وقرئ بقلب السين صادا أَن يَظْهَرُوهُ
ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وَمَا ٱسْتَطَاعُوا لَهُۥ نَقْبًا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتّى بلغ
الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتّى ساوى
اعلى الجبلين ثمّ وضع المنافيخ حتّى صارت كالنار فصبّ النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس
مذاب في تجاويفها (٩٧) قَالَ هَٰذَا السدّ او الاقدار على تسويته رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى على عباده (٩٨) فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ رَبِّى وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بأن شارف يومُ القيامة جَعَلَهُۥ دَكًّا
مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدرٌ بمعنى مفعول ومنه جَمَلٌ أدكّ لمنبسط السنام وقرأ الكوفيّون
دَكَّآءَ بالمدّ اى ارضا مستوية وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا كائنا لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذى القرنين
(٩٩) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون ممّا وراء
السدّ يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنّهم حيارى ويؤيّده وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ لقيام الساعة فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا للحساب والجزاء
(١٠٠) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا وابرزناها واظهرناها لهم (١٠١) ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ
عَن ذِكْرِى عن آياتى التى يُنظَر اليها فأُذْكَر بالتوحيد والتعظيم وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا استماعا
لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحقّ فانّ الاصمّ قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنّهم
ركوع ٣ أُصمّت مسامعهم بالكلّيّة (١٠٢) أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا افظنّوا والاستفهام للانكار أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى
اتّخاذهم الملائكة والمسيح مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ معبودين نافعهم او لا اعذّبهم به فحذف المفعول الثانى كما
يحذف الخبر للقرينة او سدّ أن يتّخذوا مسدّ مفعوليه، وقرئ أَفَحَسْبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى أفكافيهم فى
النجاة، وأنّ بما فى حيّزه مرتفع بأنّه فاعل حَسْبُ فانّ النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى

العمل او الخبرُ له إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ما يقام للنزيل وفيه تهكّم وتنبيه على انّ لهم وراءها جزء ١٦
من العذاب ما تُسْتحقر دونه (١٠٣) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا نصب على التمييز وجمع لانّه من ركوع ٣
اسماء الفاعلين او لتنوّع اعمالهم (١٠٤) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ضاع وبطل لكفرهم وعُجْبهم كالرهابنة فانّهم خسروا دنياهم وآخرتهم ، ومحلّه الرفعُ على الخبر لمحذوف فانّه جواب السؤال او الجرّ على البدل او النصبُ على الذمّ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا لعُجْبهم واعتقادهم انّهم على الحقّ (١٠٥) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوّة وَلِقَائِهِ بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ بكفرهم فلا يثابون عليها فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها (١٠٦) ذَٰلِكَ اى الامر ذلك وقوله جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جملة مبيّنة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنّم خبره او جزاؤهم خبره وجهنّم عطف بيان للخبر بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا بسبب ذلك (١٠٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا فيما سبق من حكم الله ووعده ، والفردوس اعلى درجات الجنّة وأصله البستان الّذى يجمع الكرم والنخل (١٠٨) خَالِدِينَ فِيهَا حال مقدّرة لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا تحوّلا اذ لا يجدون اطيب منها حتّى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود (١٠٩) قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ما يكتب به وهو اسم ما يُمَدّ به الشيء كالحِبْر للدواة والسَّليط للسراج لِكَلِمَاتِ رَبِّي لكلمات علمه وحكمته لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ لنفد جنس البحر بأسره لانّ كلّ جسم متناه قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي فانّها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ بمثل البحر الموجود مَدَدًا زيادة ومعونة لانّ مجموع المتناهيَيْن متناه بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الّا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الأبعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لا محالة ، وقرئ مِدَدًا بكسر الميم جمع مِدّة وهى ما يستمدّه الكاتب ومِدَادًا ، وسببُ نزولها انّ اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتى خيرا كثيرا وتقرءون وما اوتيتم من العلم الّا قليلا (١١٠) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لا ادّعى الاحاطة على كلماته يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وانّما تميّزتُ عنكم بذلك فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا يرتضيه الله وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا بأن يرائيه او يطلب منه اجرا روى انّ جُنْدُب بن زُهَيْر قال لرسول الله صلعم انّى لأعمل العمل لله فاذا اطّلع عليه سرّنى فقال انّ الله لا يقبل ما شُورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم اتّقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرئاء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد

جزء ١٦ ركوع ٣ والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلعم من قرأها عند مضجعه كان له نورا فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يستيقظ ، وعنه عم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلّها كانت له نورا من الارض الى السماء •

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكّيّة الّا آية السجدة وآيها ثمان وتسعون آيــة

بســـــــــــــم اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

ركوع ٤ (١) كٓهٰيٰعٓصٓ امال ابو عمرو الهاء لانّ ألفات اسماء التهجّى ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير ونافع وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ خبرُ ما قبله إنْ أُوّل بالسورة او القران فانّه مشتمل عليه او خبرُ محذوف اى هذا المتلوّ ذكر رحمة ربّك او مبتدأٌ حُذف خبره اى فيما يُتْلَى عليك ذكرها وقرئ ذَكَّرَ رَحْمَةَ على الماضى وَذَكِّرْ على الامر عَبْدَهُ مفعولُ الرحمة او الذكر على انّ الرحمة فاعله على الاتّساع كقولك ذَكَّرَنِى جُودُ زيدٍ زَكَرِيَّآءَ بدل منه او عطف بيان له (٢) اِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا لانّ الاخفاء والجهر عند اللّه سيّان والاخفاء اشدُّ إخباتا واكثرُ اخلاصا او لئلّا يلام على طلب الولد فى إبّان الكبر او لئلّا يطّلع عليه مواليه الّذين خافهم او لانّ ضَعف الهرم اخفى صوته ، واختُلف فى سنّه حينئذ فقيل ستّون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون (٣) قَالَ رَبِّ اِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى تفسير للنداء ، والوَهْن الضعف ، وتخصيصُ العظم لانّه دِعامة البدن وأصل بنائه او لانّه اصلبُ ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لانّ المراد به الجنس ، وقرئ وَهُنَ وَوَهِنَ بالضمّ والكسر ونظيرُه كَمُلَ فى الحركات الثلاث وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا شبّه الشيبَ فى بياضه وانارته بشُواظ النار وانتشارَه وفشوّه فى الشعر باشتعالها ثمّ اخرجه مُخْرَجَ الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الّذى هو محلّ الشيب مبالغةً وجعله مميّزا ايضاحا للمقصود ، واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على انّ علم المخاطَب بتعيّن المراد يُغْنى عن التقييد (٤) وَلَمْ اَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا بل كلّما دعوتك استجبتَ لى وهو توسّلٌ بما سلف معه من الاستجابة وتنبيهٌ على أنّ المدعوّ له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وأنّه تعالى عوّده بالاجابة واطمعه فيها ومِنْ حقّ الكريم أن لا يخيّب من اطمعه (٥) وَاِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ يعنى بنى عمّه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يُحْسنوا خلافته على امّته ويبدّلوا عليهم دينهم مِنْ وَرَآئِى بعد موتى وعن ابن كثير المدّ والقصر بفتح الياء وهو متعلّق بمحذوف او بمعنى الموالى اى خفت فِعْلَ الموالى من

جزء ١٦ ركوع ٤

ورائی او الذين يلون الامر من ورائی وقرئ خَفَّتِ ٱلْمَوَالِي مِنْ وَرَآئِي اى قلّوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدی او خفّوا ونرجوا قدّامى فعلى هذا كان الظرف متعلّقا بخفّت وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا لا تلد فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ فانّ مثله لا يُرْجى الّا من فضلك وكمال قدرتك فانّى وامراتى لا نصلح للولادة وَلِيًّا من صلبى (٦) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائیّ على انّهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فانّ الانبياء لا يورّثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانّه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكرياء او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يَرِثُنِي وَارِثُ آلِ يَعْقُوبَ على الحال من احد الضميرين وأُوَيْرِث بالتصغير لصغره وَوَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ على انّه فاعل يرثنى وهذا يسمّى التجريد فى علم البيان لانّه جُرِّد عن المذكور اوّلا مع انّه المراد وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ترضاه قولا وعملا (٧) يَا زَكَرِيَّآءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَى جوابٌ لندائه ووعدٌ باجابة دعائه وانّما تولّى تسميته تشريفا له (٨) لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا لم نسمّ احدا بيحيى قبله وهو شاهد بانّ التسمية بالاسامى الغريبة تنويهٌ للمسمّى وقيل سميّا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميّا لانّ المتماثلَين يتشاركان فى الاسم ، والاظهر انّه اعجمىّ وان كان عربيّا فمنقول عن فعل كيَعيش ويَعْمَر قيل سُمّى به لانّه حَيِىَ به رَحِمُ امّه او لانّ دين اللّه حَيِىَ بدعوته (٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عُتِيًّا جساوةً وقحولا فى المفاصل وأصله عُتُوّ كقعود فاستثقلوا توالى الضمّتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثمّ قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائیّ وحفص عِتيّا بالكسر ، وانّما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأنّ المؤثّر فيه كمال قدرته وأنّ الوسائط عند التحقيق مُلْغاةٌ ولذلك (١٠) قَالَ اى اللّه او الملك المبلّغ للبشارة تصديقا له كَذَٰلِكَ الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال فى قَالَ رَبُّكَ وذلك اشارة الى مُبْهَم يفسّره هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ويؤيّد الاوّل قراءة من قرأ وَهُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ اى الامر كما قلتَ او كما وَعَدْتَ وهو على ذلك يهون علىّ او كما وَعَدْتُ وهو علىّ هيّن لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا بل كنت معدوما صِرْفا وفيه دليل على انّ المعدوم ليس بشىء وقرأ حمزة والكسائیّ خَلَقْنَاكَ (١١) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّي آيَةً علامة اعلم بها وقوع ما بشّرتنى به قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا سوىّ الخلق ما بك من خَرَس ولا بَكَم ، وانّما ذكر الليالى ههنا والايّام فى آل عمران للدلالة على انّه استمرّ عليه المنع من كلام الناس والتجرّد للذكر والشكر ثلاثة ايّام ولياليهنّ (١٢) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ من المصلّى او من الغرفة فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فأومى اليهم لقوله الّا رمزا وقيل كتب لهم على الارض أَن سَبِّحُوا صلّوا او نزّهوا ربّكم بُكْرَةً وَعَشِيًّا طرفى النهار ولعلّه كان مأمورا بأن يسبّح ويأمر قومه بأن يوافقوه ، وأنّ

جزء ١٦ يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة (١٣) يَا يَحْيَى على ارادة القول خُذِ الْكِتَابَ التورية بِقُوَّةٍ
ركوع ٤ بجدّ واستظهار بالتوفيق وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا يعنى الحكمة وفهم التورية وقيل النبوّة احكم الله
تعالى عقله فى صباه واستنبأه (١٤) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ورحمة منّا عليه او رحمة وتعطّفا فى قلبه على ابويه
وغيرهما عطف على الحكم وَزَكَاةً وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدّق الله به على ابويه او مكّنه
ووفّقه للتصدّق على الناس وَكَانَ تَقِيًّا مطيعا متجنّبا عن المعاصى وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وبارًّا بهما وَلَمْ يَكُنْ
جَبَّارًا عَصِيًّا عاقّا او عاصى ربّه (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ من الله يَوْمَ وُلِدَ من ان يناله الشيطان بما ينال به
ركوع ٥ بنى آدم وَيَوْمَ يَمُوتُ من عذاب القبر وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا من عذاب النار وهول القيامة (١٦) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ
فى القرآن مَرْيَمَ يعنى قصّتها إِذِ انْتَبَذَتْ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لانّ الاحيان مشتملة
على ما فيها او بدل الكلّ لانّ المراد بمريم قصّتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف
مقدّر وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمنى فيكون بدلا لا محالة
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا شرقىّ بيت المقدس او شرقىّ دارها ولذلك اتّخذ النصارى المشرق قبلة، ومكانا
ظرف او مفعول لانّ انتبذت متضمّنة معنى اتت (١٧) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا سترا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشىء يسترها وكانت تتحوّل
من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها اتاها جبريل
متمثّلا بصورة شابّ امرد سوىّ الخلق لتستأنس بكلامه ولعلّه لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها
(١٨) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ من غاية عفافها إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا تتّقى الله وتحتفل بالاستعاذة،
وجوابُ الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله اى فانّى عائذة منك او فتتّعظ بتعوّذى او فلا تتعرّض لى
ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيّا متورّعا فانّى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك
(١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ الذى استعذت به لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع
ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيّده قراءة ابى عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء
زَكِيًّا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقّيا من سنّ الى سنّ على الخير والصلاح (٢٠) قَالَتْ أَنَّى
يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ولم يباشرنى رجل بالحلال فانّ هذه الكنايات انّما تطلق فيه أمّا الزنا
فانّما يقال فيه خَبُثَ بها وفَجَرَ ونحو ذلك ويعضده عطف قوله وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا عليه وهو فَعُول من البَغْى
قلبت واوه ياء وادغمت ثمّ كسرت الغين اتباعا ولذلك لم يلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم
يلحقه التاء لانّه للمبالغة او للنسب كطالق (٢١) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ اى ونفعل
ذلك لنجعله او لنبيّن به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لِيَهَبَ على طريقة الالتفات آيَةً لِلنَّاسِ
علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا وَرَحْمَةً مِنَّا على العباد يهتدون بارشاده وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا تعلّق

به قضاء الله تعالى فى الازل وقدّر وسطّر فى اللوح ، او كان امرا حقيقا بأن يُقضَى ويُفعَل لكونه آية ورحمة جزء ١٦
(٢٢) فَحَمَلَتْهُ بأن نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها ، وكانت مدّة حملها سبعة اشهر وقيل ركوع ٥
ستّة وقيل ثمانية ولم يَعِش مولود وُضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنّها ثلث عشرة
سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فَٱنْتَبَذَتْ بِهِ فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله ، تَدُوسُ بنا
الجماجمَ والتَّرِيبا ، والجارّ والمجرور فى موضع الحال مَكَانًا قَصِيًّا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى
الدار (٢٣) فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ فالجأها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنّه خُصّ به فى الاستعمال كآتى فى
اعطى ، وقرئ ٱلْمِخَاضُ بالكسر وهما مصدرا مَخِضت المرأة اذا تحرّك الولد فى بطنها للخروج إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العِرْق والغُصْن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا
خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف امّا للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمّ غيرها وكانت كالمتعالَم
عند الناس ولعلّه تعالى الهمها ذلك ليُرِيها من آياتها ما يسكّن رُوعها وليُطعِمها الرُطَب الّذى هو خُرْسة
النُفَساء الموافقة لها قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مُتُّ من
مات يموت وَكُنْتُ نَسْيًا ما من شأنه ان يُنسَى ولا يُطلَب ونظيره الذِبْح لما يُذبَح وقرأ حمزة وحفص
بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سُمّى به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلّته
مَنْسِيًّا منسىّ الذِكْر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الإتباع (٢٤) فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا
عيسى وقيل جبريل عم كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ
وحفص وروح مِنْ تَحْتِهَا بالكسر والجرّ على انّ فى نادى ضميرَ احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة
أَلَّا تَحْزَنِي اى لا تحزنى او بأن لا تحزنى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا جَدْوَلا هكذا روى مرفوعا وقيل
سيّدا من السَرْو وهو عيسى (٢٥) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او
افعلى الهزّ والامالة به او هزّى الثمرة بهزّه والهزّ تحريك بجذب ودفع تُسَاقِطْ عَلَيْكِ تتساقط فادغمت
التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تُسَاقِطْ من ساقطت بمعنى اسقطت
وقرئ تَتَسَاقَطْ وتُسْقِطْ ويَسْقُطْ فالتاء للنخلة والياء للجذع رُطَبًا جَنِيًّا تمييز او مفعول روى انّها
كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزّتها فجعل الله لها رأسا وخوصا ورطبا ،
وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالّة على براءة ساحتها فانّ مثلها لا يتصوّر لمن يرتكب
الفواحش والمنبّهة لمن رآها على انّ من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يُحبِلها من
غير فحل وانّه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتّب عليه الامرين فقال
(٢٦) فَكُلِي وَٱشْرَبِي اى من الرطب وماء السرىّ او من الرطب وعصيره وَقَرِّي عَيْنًا وطيّبى نفسك وارفضى
عنها ما احزنك وقرئ قِرّى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فانّ العين اذا رأت ما يسرّ النفس

جزء ١٦ ركوع ٥

سكنت العين عن النظر الى غيره او من القرّ فانّ دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارّة ولذلك يقال قرّة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فان ترى آدميا وقرئ ترئنّ على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (٢٧) فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيًّا بعد ان اخبرتكم بنذري وانّما اكلّم الملائكة واناجي ربّي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانّه قاطع في قطع الطاعن (٢٨) فَأَتَتْ بِهِ مع ولدها قَوْمَهَا راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تَحْمِلُهُ حاملة اياه قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا بديعا منكرا من فَرْى الجلد (٢٩) يَا أُخْتَ هَٰرُونَ يعنون هرون النبيّ عم وكانت من اعقاب مَنْ كان معه في طبقة الاخوّة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبّهوها به تهكّما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا تقرير لانّ ما جاءت به فريّ وتنبيه على انّ الفواحش من اولاد الصالحين افحش (٣٠) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ الى عيسى اى كلّموه ليجيبكم قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ولم نعهد صبيّا في المهد كلّمه عاقل ؛ وكان زائدة والظرف صلة مَنْ وصبيّا حال من المستكنّ فيه او تامّة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار (٣١) قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ انطقه الله به اوّلا لانّه اوّل المقامات وللردّ على من يزعم ربوبيّته آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ الانجيل وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٢) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا نفّاعا معلّما للخير ، والتعبير بلفظ الماضي امّا باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقّق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا أَيْنَمَا كُنْتُ حيثما كنت وَأَوْصَانِي وامرني بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل مَا دُمْتُ حَيًّا (٣٣) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وبارّا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انّه مصدر وُصف به او منصوب بفعل دلّ عليه اوصاني اى وكلّفني برّا ويؤيّده القراءة بالكسر والجرّ عطفا على الصلوة وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا عند الله من فرط تكبّره (٣٤) وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا كما هو على يحيى عم والتعريف للعهد والاظهر انّه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانّه لمّا جعل جنس السلام على نفسه عرّض بانّ ضدّه عليهم كقوله تعالى والسّلام على من اتّبع الهدى فانّه تعريض بانّ العذاب على من كذّب وتولّى (٣٥) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ اى الذى تقدّم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثمّ عكس الحكم قَوْلَ ٱلْحَقِّ خبر محذوف اى هو قول الحقّ الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصّة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر

قال ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قولَ بالنصب على انّه مصدر مؤكِّد وقرئ قالُ جزء ١٩
الحقّ وهو بمعنى القول الّذي فيه يمترون في امره فيشكّون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت ركوع ٥
النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (٣٦) مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ تكذيب
للنصارى وتنزيه لله عمّا بهتوه إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ تبكيت لهم بانّ من اذا اراد
شيئا اوجده بكن كان منزّها عن شبه الخلق في الحاجة الى اتّخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر
فيكونَ بالنصب على الجواب (٣٧) وَإِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ الحجازيّان والبصريّان وأنّ بالفتح على ولأنّ وقيل انّه معطوف على الصلوة
(٣٨) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطوريّة قالوا انّه ابن الله
ويعقوبيّة قالوا هو الله هبط الى الارض ثمّ صعد الى السماء وملكانيّة قالوا هو عبد الله ونبيّه فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة او من
وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى
وامّه (٣٩) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ تعجّب معناه أنّ استماعهم وابصارهم يَوْمَ يَأْتُونَنَا اي يوم القيامة جدير بأن
يتعجّب منهما بعدما كانوا صمّا عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل
امر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجارّ والمجرور على الاوّل في موضع
الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا
بانّهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجّل على اغفالهم بانّه ضلال بيّن
(٤٠) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ يوم يتحسّر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلّة احسانه إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنّة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حال متعلّقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين
غير مؤمنين فتكون حالا متضمّنة للتعليل (٤١) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا لا يبقى لاحد غيرنا
عليها وعليهم ملك ولا مُلك او نتوفّى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفّي الوارث لارثه وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
يردّون للجزاء (٤٢) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرٰهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ملازما للصدق او كثير التصديق ركوع ٦
لكثرة ما صدّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نَبِيًّا استنبأه الله (٤٣) إِذْ قَالَ بدل من ابرهيم
وما بينهما اعتراض او متعلّق بكان او بصدّيقا نبيّا لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ التاء معوّضة من ياء الاضافة ولذلك
لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانّما تذكر للاستعطاف ولذلك كرّرها لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا في جلب نفع او دفع ضرّ دعاه الى الهدى

جزء ١٦ ركوع ٩ ومن ضلاله وينصح عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال (٤٥) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال (٤٦) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ، ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (٤٧) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عن مقالك فيها او الرغبة عنها لَأَرْجُمَنَّكَ بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني وَاهْجُرْنِي عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مَلِيًّا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني (٤٨) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا بليغا في البر والالطاف (٤٩) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بالمهاجرة بديني وَأَدْعُو رَبِّي واعبده وحده عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وان

مثاله الامر خبائثه وهو غيبتك (٥٠) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ بالمهاجرة الى الشام وَهَبْنَا لَهُۥٓ جزء ١٦
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت ركوع ٦
له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر
اسمعيل بفضله على الانفراد وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وكلا منهما او منهم (٥١) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا النبوة
والاموال والاولاد وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته
واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى
الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على
تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل (٥٢) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا موحدا اخلص ركوع ٧
عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان
الله اخلصه وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى
(٥٣) وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من
جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وَقَرَّبْنَٰهُ تقريب تشريف شبهه بمن قربه
الملك لمناجاته نَجِيًّا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روى
انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (٥٤) وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا
أَخَاهُ معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو
مفعول او بدل هَٰرُونَ عطف بيان له نَبِيًّا حال منه (٥٥) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ
ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر
على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا يدل على ان الرسول لا يلزم
ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته (٥٦) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ
اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم
وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا لاستقامة اقواله وافعاله (٥٧) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ وهو سبط شيث وجد
ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك
اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط
بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٨) وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة (٥٩) أُولَٰٓئِكَ اشارة الى المذكورين في
السورة من زكريا الى ادريس عليهم السلام ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم بانواع النعم الدينية والدنيوية

جزء ١٦ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ بيان للموصول مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بدل منه باعادة الجارّ ويجوز ان يكون مِنْ فيه للتبعيض
ركوع ٧ لانّ المنعَم عليهم اعمّ من الانبياء واخصّ من الذرّيّة وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ اى ومن ذرّيّة من حملنا
خصوصا وهم مَنْ عدا ادريس فانّ ابرهيم كان من ذرّيّة سام بن نوح وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرٰهِيمَ الباقون وَإِسْرَائِيلَ
عطف على ابرهيم اى ومن ذرّيّة اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريّاء ويحيى وعيسى وفيه
دليل على انّ اولاد البنات من الذرّيّة وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ومن جملة من هديناهم الى الحقّ وَٱجْتَبَيْنَا للنبوّة
والكرامة إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا خبرٌ لاولئك إنْ جعلتَ الموصول صفته
واستينافٌ ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من اللّه واخباتهم له مع ما لهم من علوّ الطبقة فى شرف
النسب وكمال النفس والزلفى من اللّه وعن النبىّ صلعم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
والبكىّ جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يُتْلَى بالياء لانّ التأنيث غير حقيقىّ وقرأ حمزة
والكسائىّ بِكِيًّا بكسر الباء (٦٠) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ فعقبهم وجاء بعدهم عَقِبُ سوء يقال
خَلَفُ صدقٍ بالفتح وخَلْفُ سوء بالسكون أَضَاعُوا ٱلصَّلٰوةَ تركوها او اخّروها عن وقتها وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ
كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن علىّ رضه واتّبعوا الشهوات
مَنْ بَنَى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا شرًّا كقوله

فمن يَلْقَ خيرا يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغىّ لائما

او جزاء غىّ كقوله يَلْقَ أَثَامًا او غيًّا عن طريق الجنّة وقيل هو وادٍ فى جهنّم يستعيذ منه اوديتها
(٦١) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا يدلّ على انّ الآية فى الكفرة فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول مِنْ أَدْخَلَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ولا يُنْقَصون شيئا من جزاء
اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على انّ كفرهم السابق لا يضرّهم ولا ينقص
اجورهم (٦٢) جَنَّاتِ عَدْنٍ بدل من الجنّة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ
بالرفع على انّه خبرُ مبتدإ محذوف ، وعَدْنٍ عَلَمٌ لانّه المضاف اليه فى العَلَم او عَلَمٌ للعدن بمعنى الاقامة
كبَرّة ولذلك صحّ وصف ما اضيف اليه بقوله ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِٱلْغَيْبِ اى وعدها اياهم وهى غائبة
عنهم او هم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب إِنَّهُ انّ اللّه كَانَ وَعْدُهُ ٱلّذى هو الجنّة مَأْتِيًّا
يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من أَتَى اليه احسانا اى مفعولا مُنْجَزًا (٦٣) لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا فضولَ كلام إِلَّا سَلَامًا ولكن يسمعون قولا يَسْلَمون فيه من العيب والنقيصة او تسليمَ الملائكة
عليهم او تسليمَ بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى انّ التسليم ان كان لغوا فلا
يسمعون لغوا سواه كقوله

او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانّما فائدته الاكرام ركوع ٧
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا على عادة المتنعّمين والتوسّط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق
ودروره (٦٣) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا نُبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى
على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملّك والاستحقاق من حيث انّها لا تعقّب بفسخ
ولا استرجاع ولا تبطل بردّ ولا اسقاط وقيل نورث المتقون من الجنّة المساكن الّتي كانت لاهل النار
لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نُوَرِّثُ بالتشديد (٦٤) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ حكاية قول
جبريل حين استبطأه رسول اللّه صلعم لمّا سئل عن قصّة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر
ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتّى قال المشركون
ودّعه ربّه وقلاه ثمّ نزل ببيان ذلك ، والتنزّل النزول على مهل لانّه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول
مطلقا كما يطلق نزّل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غبّ وقت الّا بأمر اللّه على ما تقتضيه حكمته
وقرئ وَمَا يَتَنَزَّلُ بالياء والضمير للوحى لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وهو ما نحن فيه من
الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الّا بأمره ومشيئته وَمَا كَانَ
رَبُّكَ نَسِيًّا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الّا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك اللّه لك وتوديعه ايّاك
كما زعمت الكفرة وانّما كان لحكمة رآها فيه وقيل اوّل الآية حكاية قول المتّقين حين يدخلون الجنّة
والمعنى وما ننزل الجنّة الّا بأمر اللّه ولطفه وهو مالك الامور كلّها السالفة والمترقّبة والحاضرة فما وجدناه
وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربّك نسيّا تقرير من اللّه لقولهم اى وما كان ناسيا لاعمال
العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله (٦٥) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بيان لامتناع
النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربّك فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ خطاب للرسول مرتّب عليه
اى لمّا عرفت ربّك بانّه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال العمّال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا
تتشوّش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانّما عدّى باللام لتضمّنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه
من الشدائد والمشاقّ كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا مثلا يستحقّ ان يسمّى الها
او احدا سمّى اللّه فانّ المشركين وان سمّوا الصنم الها لم يسمّوه اللّه قطّ وذلك لظهور احديّته تعالى
وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صحّ ان لا احد مثله
ولا يستحقّ العبادة غيره لم يكن بدّ من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقّها
(٦٦) وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ المراد به الجنس بأسره فانّ المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلّهم كقولك بنو فلان ركوع
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او أُبىّ بن خلف فانّه اخذ عظاما بالية
ففتّها وقال يزعم محمّد انّا نبعث بعد ما نموت أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا من الارض او من حال

جزء ١٦ ركوع ٨ الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لانّ المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دلّ عليه أُخرج لا به فانّ ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتأكيد مجرّدة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا أللّه للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا ما مِتُّ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (٦٨) أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ عطف على يقول ووسّط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع انّ الاصل ان يتقدّمهما للدلالة على انّ المنكر بالذات هو المعطوف وانّ المعطوف عليه انّما نشأ منه فانّه لو تذكّر وتأمّل أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانّه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الأعراض ٭ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يَذْكُرُ من الذكر الّذي يراد به التفكّر وقرئ يَتَذَكَّرُ على الاصل (٦٩) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ اقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيّه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن الرسول وَٱلشَّيَٰطِينَ عطف او مفعول معه لما روى انّ الكفرة يُحشَرون مع قرنائهم من الشياطين الّذين أغووهم كلّ مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس بأسره فانّهم اذا حُشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حُشروا جميعا معهم ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ليرى السعداء ما نجّاهم اللّه منه فيزدادوا غِبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادّخروا لمعادهم عُدّة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جِثِيًّا على رُكبهم لما يدهمهم من هول المطّلع او لانّه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كلّ امّة جاثية على المعتاد في مَواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلّهم يساقون جُثاة من الموقف الى شاطئ جهنّم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدّة وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص جِثِيًّا بكسر الجيم (٧٠) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ من كلّ امّة شاعت دينا أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشدّ تنبيهٌ على انّه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خصّ ذلك بالكفرة فالمراد انّه يميّز طوائفهم اعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يُدخل كلًّا طبقتها الّتي تليق به ٭ وايّهم مبنيّ على الضمّ عند سيبويه لانّ حقّه ان يُبنى كسائر الموصولات لكنّه أُعرب حملا على كلّ وبعض للزوم الاضافة واذا حُذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقّه منصوبُ المحلّ بننزعنّ ولذلك قرئ منصوبا ومرفوعٌ عند غيره امّا بالابتداء على انّه استفهاميّ وخبره اشدّ والجملة محكيّةٌ والتقدير الكلام لننزعنّ من كلّ شيعة الّذين يقال فيهم ايّهم اشدّ او معلّق عنها لننزعنّ لتضمّنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفةٌ والفعل واقع على من كلّ شيعة على زيادة من او على معنى لننزعنّ بعض كلّ شيعة وامّا بشيعة لانّها بمعنى تشيّع ٭ وعلى للبيان او متعلّق بأفعل وكذا الباء في قوله (٧١) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا اى لنحن اعلم بالّذين هم اولى بالصلى او صليّهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدّهم عتيّا رؤساء الشيع فانّ عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص صِلِيًّا بكسر الصاد (٧٢) وَإِن

جزء ١٦ ركوع ٨

مِنْكُمْ وما منكم التفات الى الانسان ويؤيّده انّه قرئ وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا الّا واصلها وحاضرٌ دونها يمرّ بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضى الله عنه انّه سُئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنّة الجنّة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربّنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وامّا قوله تعالى اولئك عنها مُبْعَدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودُها الجوازُ على الصراط فانّه ممدود عليها كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا كان ورودهم واجبا اوجبه اللّه على نفسه وقضى به بأن وعد به وعدا لا يُمكن خُلفه وقيل اقسم عليه (٧٣) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا فيساقون الى الجنّة وقرأ الكسائىّ ويعقوب نُنْجِي بالتخفيف وقرئ ثَمّ بفتح الثاء اى هناك وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على انّ المراد بالورود الجثوّ حواليها وانّ المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنّة بعد تجاثيهم ويبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم (٧٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مرتّلات الالفاظ مبيّنات المعانى بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لاجلهم او معهم أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ المؤمنين والكافرين خَيْرٌ مَقَامًا موضعَ قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضمّ اى موضعَ اقامة ومنزل وَأَحْسَنُ نَدِيًّا مجلسا ومجتمَعا والمعنى انّهم لمّا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظّهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند اللّه تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فردّ عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله (٧٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا وكم مفعولُ اهلكنا ومن قرن بيانه وانّما سمّى اهل كلّ عصر قرنا اى مقدّما من قرن الدابّة وهو مقدّمها لانّه يتقدّم مَنْ بعدهم، وهم احسن صفة لكَمْ، واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدّ منه والخُرْثىّ ما رثّ، والرِئْى المنظر فِعْل من الرؤية لما يُرى كالطِحْن والخِبْز وقرأ نافع وابن عامر رِيًّا على قلب الهمزة وادغامها او على انّه من الرِىّ الّذى هو النعمة وابو بكر رِيئًا على القلب وقرئ رِيًا بحذف الهمزة وزِيًّا من الزَىّ وهو الجمع فانّه محاسنُ مجموعةٌ، ثمّ بيّن انّ تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانّما العيار على الفضل والنقص ما يكون فى الآخرة بقوله (٧٦) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا فيمدّه ويُمْهله بطول العمر والتمتّع به وانّما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بانّ امهاله ممّا ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انّما نُمْلى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمّركم ما يَتذكّر فيه مَنْ تذكّر (٧٧) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ غايةُ المدّ وقيل غايةُ قول الّذين كفروا للذين آمنوا اى قالوا اىّ الفريقين خير حتّى اذا رأوا إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ تفصيل للموعود فانّه امّا العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم ايّاهم قتلا واسرا وامّا يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا من الفريقين بأن عاينوا الامر على عكس ما قدّروه وعاد ما مُتّعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملةُ محكيّة بعدَ حتّى وَأَضْعَفُ جُنْدًا اى فئة وانصارا قابل به

جزء ١٦ احسن نديا من حيث ان خيرهن للنفس بالمجامع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ركوع ٥ (٧٦) وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنّه لمّا بيّن انّ امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبيّن انّ قصور حظّ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانّ الله تعالى اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانّه فى معنى الخبر كأنّه قيل من كان فى الضلال يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية (٧٦) وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الّا الله والله اكبر خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا عائدة ممّا متّع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وَخَيْرٌ مَّرَدًّا والخير هنا امّا لمجرّد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء اى ابلغ فى حرّه منه فى برده

(٨٠) أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا نزلت فى العاص بن وائل كان لخبّاب عليه مال فتقاضاه فقال لا حتّى تكفر بمحمّد قال لا والله لا اكفر بمحمّد حيّا ولا ميّتا ولا حين تُبعَث قال فاذا بُعثتُ جئتنى فيكون لى ثَمَّ مال وولد فأعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى أَخْبِرْ بقصّة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائىّ وُلْدًا وهو جمع وَلَد كأُسْد فى أَسَد او لغة فيه كالعَرَب والعُرْب (٨١) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ اقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الّذى توحّد به الواحد القهّار حتّى ادّعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألّى عليه أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا او اتّخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانّه لا يتوصّل الى العلم به الّا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فانّ وعد الله تعالى بالثواب عليهما كالعهد عليه (٨٢) كَلَّا ردع وتنبيه على انّه مخطئ فيما تصوّره لنفسه سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ سيظهر له انّا كتبنا قوله على طريقة قوله • اذاما انتسبنا لم تلدنى لئيمةٌ • اى تبيّن انّى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدوّ وحفظها عليه فانّ نفس الكتبة لا تتأخّر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الّا لديه رقيب عتيد وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ونطوّل له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلّت عظمته ولذلك اكّده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (٨٣) وَنَرِثُهُۥ بموته مَا يَقُولُ يعنى المال والولد وَيَأْتِينَا يوم القيامة فَرْدًا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثَمَّ زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (٨٤) وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ليتعزّزوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (٨٥) كَلَّا ردع وانكار لتعزّزهم بها سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرّأ الّذين اتّبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انّهم عبدوها لقوله ثمّ لم تكن فتنتهم الّا ان قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا يؤيّد الاوّل اذا فسّر الضدّ بضدّ

العزّ اي ويكونون عليهم ذلّا او بعذّبهم على معنى انّها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم جزء ١٦
او يجعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى ركوع ٨
الذي به مضادّتهم فانّهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عم وهم يد على من سواهم ‹ وقرئ
كلًّا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلبَ الف الاطلاق في قوله ‹ أقلّي اللومَ عاذلَ والعتابن › او
على معنى كَلَّ هذا الرأي كلًّا وكُلًّا على اضمارِ فعل يفسّره ما بعده اي سيجحدون كُلًّا سيكفرون
بعبادتهم (٨٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ بأن سلّطناهم عليهم او قيّضناهم لهم قرناء ركوع ٩
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا تهزّهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلعم
من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغيّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحقّ على ما نطقت به الآيات
المتقدّمة (٨٧) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بأن يهلكوا حتّى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من
فسادهم إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ايّام آجالهم عَدًّا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانّه لم يبق لهم الّا ايّام محصورة
وانفاس معدودة (٨٨) يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ نجمعهم إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ الى ربّهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار
هذا الاسم في هذه السورة شأنٌ ولعلّه لانّ مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال
الشاكرين لها والكافرين بها وَفْدًا وافدين عليه كما يفد الوفّاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
(٨٩) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ كما تساق البهائم إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا عطاشا فانّ من يرد الماء لا يرده الّا لعطش
او كالدوابّ التي ترد الماء (٩٠) لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر القسمين
وهو الناصب لليوم إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا الّا من تحلّى بما يستعدّ به ويستأهل ان يشفع
للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الّا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله تعالى لا
تنفع الشفاعة الّا من اذن له الرحمن من قولهم عَهِدَ الاميرُ الى فلان بكذا اذا امره به ومحلّه الرفعُ
على البدل من الضمير او النصبُ على تقدير مضاف اي الّا شفاعةَ من اتّخذ او على الاستثناء وقيل
الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الّا من اتّخذ عند الرحمن عهدا يستعدّ به ان
يشفع له بالاسلام (٩١) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا الضمير يحتمل الوجهين لانّ هذا لمّا كان مقولا
فيما بين الناس جاز ان يُنسب اليهم لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا على الالتفات للمبالغة في الذمّ والتسجيل
عليهم بالجرأة على الله ‹ والإدّ بالفتح والكسر العظيم المنكر والإدّة الشدّة وأدّني الامرُ وآدني اثقلني وعظم
عليّ (٩٢) تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ وقرأ نافع والكسائيّ بالياء يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ يتشقّقن مرّة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب يَنْفَطِرْنَ والاوّل ابلغ لانّ التفعّل مطاوع فعّلَ والانفعال مطاوع فَعَلَ ولانّ
اصل التفعّل التكلّف وَتَنْشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا تُهدّ هدًّا او مهدودةً او لانّها تُهدّ اي تُكسر
وهو تقرير لكونه إدًّا والمعنى انّ هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة لم

جزء ١٦ يتخطفها تلك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها . او انّ فظاعتها مجلبة لغضب اللّه بحيث لولا حلمه ركوع ٦ لخرّب العالم وبدّد قوائمه غضبا على من تفوّه بها (٩٣) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا يحتمل النصب على العلة المتكلّف او لهذا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجرّ باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انّه خبرُ محذوفٍ تقديرُه الموجب لذلك ان دعوا او فاعلُ هدّا اى هدّها دعاء الولد للرحمن ، وهو من دعا بمعنى سمّى المتعدّى الى مفعولين وانّما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكلّ ما دُعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الّذى مطاوعه ادّعى الى فلان اذا انتسب اليه وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ولا يليق به اتّخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانّه مستحيل ولعلّ ترتيب الحكم بصفة الرحمانيّة للاشعار بانّ كلّ ما عداه نعمةٌ ومنعَمٌ عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلّها ومُولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتّخذه ولدا ثمّ صرّح به فى قوله (٩٤) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ اى ما منهم إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا الّا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبوديّة والانقياد وقرئ آتٍ الرَّحْمٰنَ على الاصل لَقَدْ أَحْصَاهُمْ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وَعَدَّهُمْ عَدًّا عدّ اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فانّ كلّ شىء عنده بمقدار (٩٥) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا منفردا عن الأتباع والأنصار فلا يجانسه شىء من ذلك ليتّخذه ولدا ولا يناسبه ليُشرك به (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا سيُحْدِث لهم فى القلوب مودّة من غير تعرّض منهم لاسبابها وعن النبىّ صلعم اذا احبّ اللّه عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فأحبّه فيحبّه جبريل ثمّ ينادى فى اهل السماء انّ اللّه قد احبّ فلانا فأحبّوه فيحبّه اهل السماء ثمّ توضع له المحبّة فى الارض والسينُ لانّ السورة مكّيّة وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لانّ الموعود فى القيامة حين تُعرَض حسناتُهم على رؤس الاشهاد فيُنزَع ما فى صدورهم من الغلّ (٩٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ اى بأن انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمّن يسّرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الصائرين الى التقوى وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا اشدّاء الخصومة آخذين فى كلّ لديد اى شِقّ من المِراء لفرط لجاجهم فبشّرْ به وانذرْ (٩٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة وتجسير للرسول هم على انذارهم هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا وقرئ تُسْمِعُ من أَسْمعت ، والركز الصوت الخفىّ وأصلُ التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيّب طرفه فى الارض والرِكازُ المال المدفون ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة مريم أُعطى عشر حسنات بعددِ من كذّب زكريّاء وصدّق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا اللّهَ فى الدنيا ومن لم يدع اللّه ٭

سُورَةُ طٰهٰ

مكّيّة وآيها مائة وخمس وثلثون آيــة

بِسْــــــــــــــــــمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) طٰهٰ فخّمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخّم الطاء وحده ابو عمرو جزء ١٦
وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهمـا من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عكّ فإنْ صحّ ركوع ١٠
فلعلّ اصله يا هذا فتصرّفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهادُ بقوله

ان السفاهة طٰهٰ فى خلائقكم لا قدّس اللّٰهُ اخلاقَ الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا يُنْصَرون وقرئ طَهْ على انّه امر للرسول بأن يطأ الارض بقدميه فانّه كان يقوم فى تهجّده على احدى رجليه وأنّ اصله طـأْ فقلبت همزته هاء او قلبت فى يطـأ الفـا كقوله • لا هَنَاكِ المَرْتَعُ • ثمّ بنى عليه الامر وضمّ اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصلُ طٰهٰ طأَها والالف مُبْدَلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يَرُدّ ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رَجُل او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبّر عنهما باسمهما مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَى خبرُ طه إن جعلتَه مبتدأً على انّه مأوّل بالسورة او القرانِ والقرانَ فيه واقع موقعَ العائد وجوابُه ان جعلته مقسما به ومنادًى له ان جعلته نداء واستينافٌ ان كانت جملةً فعليّة او اسميّة باضمار مبتدإ او طائفةً من الحروف محكيّة والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بفرط تأسّفك على كفر قريش اذ ما عليك الّا ان تبلّغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجّد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أَشْقَى من رائض المُهْر وسيّدُ القوم اشقاهم ولعلّه عدل اليه للاشعار بانّه أُنْزِل عليه ليسعد وقيل ردّ وتكذيب للكفرة فانّهم لمّا رأوا كثرة عبادته قالوا انّك لتشقى بترك ديننا وانّ القران أُنْزِل عليك لتشقى به (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لكن تذكيرا وانتصابُها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محلّ لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فانّ الفعل الواحد لا يتعدّى الى علّتين وقيل هو مصدرٌ فى موضع الحال من الكاف او القرانِ او مفعولٌ له على انّ لتشقى متعلّق بمحذوف هو صفة القران اى ما انزلنا عليك القرانَ المنزّل لتتعب بتبليغه لِمَنْ يَخْشَى لمن فى قلبه خشية ورقّة تتأثّر بالانذار او لمن علم اللّٰهُ منه ان يخشى بالتخويف منه فانّه المنتفع به (٣) تَنْزِيلًا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة إن جُعل حالا وإن جُعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لانّ الشيء لا يعلّل بنفسه ولا بنوعه مِمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزّل بفرط تعظيم المنزِل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الّذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات الّتى هى اصول العالم وقدّم الارض لانّها اقرب الى الحسّ واظهر عنده من السموات العُلَى

وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بأن قصد العرش فاجرى جزء ١٦
منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته ركوع ١
فقال (٤) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (٧) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ومن فى ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمنِ على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها (٨) وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل (٩) إِذْ رَءَا نَارًا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا فى الخروج الى امه فخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا

فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لِأَهْلِهُ امكثوا ههنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به (١٠) لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ بشعلة من النار وقيل جمرة أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (١١) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ (١٢) إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بانى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتأكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم

قال إنّي أنا الله فوسوس إليه ابليس لعلّك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انّه كلام الله بانّى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انّه عم تلقى من ربّه كلامه تلقيا روحانيّا ثمّ تمثّل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحسّ المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ امره بذلك لانّ الحفوة تواضعٌ وادبٌ ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانّهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغ قلبك من الاهل والمال إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ تعليل للامر باحترام البُقعة والمقدّس يحتمل المعنيين طُوًى عطف بيان للوادى ونوّنه ابن عامر والكوفيّون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطىّ مصدر لنودى او المقدّس اى نودى نداءين او قدّس مرّتين (١٣) وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ اصطفيتك للنبوّة وقرأ حمزة وَإِنَّا ٱخْتَرْنَاكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ للّذى يوحى اليك او للوحى ، واللام تحتمل التعلّق بكلّ من الفعلين (١٤) إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱعْبُدْنِى بدل من مَا يوحى دالّ على انّه مقصور على تقرير التوحيد الّذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة الّتى هى كمال العمل وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ خصّها بالذكر وافردها بالامر للعلّة الّتى اناط بها اقامتها وهو تذكّر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانّى ذكرتها فى الكتب وأمرتُ بها او لأنْ اذكرك بالثناء او لذكرى خاصّةً لا تُرائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلاتى لما روى انّه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها انّ الله يقول واقم الصلوة لذكرى (١٥) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ كائنة لا محالة أَكَادُ أُخْفِيهَا أُريدُ اخفاء وقتها او أقْرُبُ ان اخفيها فلا اقول انّها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرتُ به او اكاد أُظْهِرُها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيّده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره (١٦) لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ متعلّق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير (١٧) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا عن تصديق الساعة او عن الصلوة مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا نهى الكافر ان يصدّ موسى عم عنها والمرادُ نهيه ان ينصدّ عنها كقولهم لا أَرَيَنَّكَ ههنا تنبيها على انّ فطرته السليمة لو خُلّيتْ بحالها لاختارها ولم يُعْرض عنها وانّه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فانّ صدّ الكافر انّما يكون بسبب ضعفه فيه وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ميل نفسه الى اللذّات المحسوسة المُخْدَجة فقصر نظره عن غيرها فَتَرْدَىٰ فتهلك بالانصداد بصدّه (١٨) وَمَا تِلْكَ استفهام يتضمّن استيقاظا لما يُريه فيها من العجائب بِيَمِينِكَ حال من معنى الاشارة وقيل صلةُ تلك يَٰمُوسَىٰ تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه (١٩) قَالَ هِىَ عَصَاىَ وقرئ عَصَىَّ على لغة هذيل أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى واخبط الورق بها على رءوس غنمى وقرئ أَهِشّ وكلاهما من هشّ الخبزُ يَهِشّ اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهسّ وهو زجر الغنم اى أنحّى عليها زاجرا لها وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ حاجات أُخَر مثل أن كان اذا سار القاها على عاتقه فعلّق بها اداوته وعرض الزندين

جزء ١٦ على شُعْبَتَيْهَا والقى عليها الكساء واستظلّ به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرّضت السباعُ لغنمه قاتل
ركوع ١٠ بها وكأنّه عم فهم انّ المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتّى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدوّ وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها عَلِمَ انّ ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصّها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصّلا ومجملا على معنى انّها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابُه الغرضَ الّذى فهمه (٢٠) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (٢١) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قيل لمّا القاها انقلبت حيّة صفراء بغلظ العصا ثمّ تورّمت وعظمت فلذلك سمّاها جانّا تارةً نظرا الى المبدإ وثعبانا مرّة باعتبار المنتهى وحيّة اخرى بالاسم الّذى يعمّ الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجانّ ولذلك قال كانّها جانّ (٢٢) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ فانّه لمّا رآها حيّة تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى هيئتها وحالتها المتقدّمة وهى فِعْلة من السَّيْر تُجوّز بها للطريقة والهيئة وانتصابُها على نزع الخافض او على انّ اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبلُ قيل لمّا قال له ربّه ذلك اطمأنّت نفسه حتّى ادخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (٢٣) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ الى جنبك تحت العضد يقال لكلّ ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارةً من جناحى الطائر سُمّيا بذلك لانّه يُجنِّحهما عند الطيران تَخْرُجْ بَيْضَاءَ كانّها مُشعّة مِنْ غَيْرِ سُوءٍ من غير عاهة وقبح كنّى به عن البرص كما كنّى بالسّوءة عن العَوْرة لانّ الطباع تعافه وتنفر عنه آيَةً أُخْرَى معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعولٌ باضمار خُذْ او دُونَك (٢٤) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى متعلّق بهذا المضمر او بما دلّ عليه آية او القصّة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك، والكبرى صفة آياتنا او مفعولُ نريك ومن آياتنا حال منها (٢٥) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ بهاتين الآيتين وادْعُه الى العبادة إِنَّهُ طَغَى عصى وتكبّر

ركوع ١١ (٢٦) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٧) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي لمّا امره بخطب عظيم وأمرٍ جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمّل اعبائه والصبر على مشاقّه والتلقّى لما ينزل عليه ويسهّل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع، وفائدةُ لى ابهامُ المشروح والميسّر اوّلا ثمّ رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة (٢٨) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٩) يَفْقَهُوا قَوْلِي فانّما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رُتّة من جَمْرة ادخلها فاه وذلك انّ فرعون حمله يوما فأخذ بلحيته ونتفها فغضب وأمر بقتله فقالت آسية انّه صبىّ لا يفرق بين الجمر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعلّ تبيّض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثمّ لمّا دعاه قال الى اىّ ربّ تدعونى قال

له الكي ابرأ ينجي بعد جمرته عنه ، واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد جزء ١٦
اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول ركوع ١١
بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ، ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل (٣٠) وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٣١) هَٰرُونَ أَخِي يعينني على ما كلفتني به . واشتقاق الوزير اما من الوِزْر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوَزَر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله أزير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته كقلبها في موازر ، ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره (٣٢) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي (٣٣) وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر (٣٤) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وترايده (٣٥) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به (٣٦) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ اي مسأولك فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز والأُكْل بمعنى المخبوز والمأكول (٣٧) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ انعمنا عليك في وقت آخر (٣٨) إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم مَا يُوحَىٰٓ ما لا يُعلَم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (٣٩) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ بأن اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله • غلام رماه الله بالحسن يافعا • فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مُخرَج الامر ، والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ جواب فليلقه ، وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع ، قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتحه فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فأحبه حبا شديدا كما قال سبحانه وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنه من رآه فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بألقيت اي احببتك

*

جزء ١٦ ركوع ١١ وسن احسبته الله احبته القلوب • وظاهر اللفظ انّ اليمّ ألقاه بساحله وهو شاطئه لانّ الماء يسفقه فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤوّل الساحل بجنب فوّهة نهره (٤٠) وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي لتربّى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علّة مضمرة مثل ليتعطّف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلّل مثل فعلت ذلك وقرئ وَلِتُصْنَعْ بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وَلِتَصْنَعَ بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منّى لئلّا تخالف به عن امرى (٤١) اِذْ تَمْشِى اُخْتُكَ ظرف لالقيت او لتصنع او بدلٌ من اذ اوحينا على انّ المراد بهما وقت متسع فَتَقُولُ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ وذلك انّه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحّصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلّكم فجاءت بأمّه فقبل ثديها فَرَجَعْنَاكَ اِلَى اُمِّكَ وفاء بقولنا انّا رادّوه اليك كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بلقائك وَلَا تَحْزَنَ هى بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وَقَتَلْتَ نَفْسًا نفس القبطىّ الّذى استغاثه عليه الاسرائيلىّ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ غمّ قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انّه جمع فَتْنٍ او فِتْنَةٍ على ترك الاعتداد بالتاء كحُجُوز وبُدُور فى حُجْزة وبَدْرة فخلّصناك مرّة بعد اخرى وهو اجمال لما نالة فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألّاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأُجْر نفسه الى غير ذلك او له ولما سبق ذكره (٤٢) فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِى اَهْلِ مَدْيَنَ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلَيْن ومدين على ثمانى مراحل من مصر ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ قدّرته لأن اكلّمك وأستنبئك غيرَ مستقدمٍ وقته المعيّن ولا مستأخرٍ او على مقدار من السنّ يوحى فيه الى الانبياء يَا مُوسَى كرّره عقيبَ ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (٤٣) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى واصطفيتك لمحبّتى مثّله فيما خوّله من الكرامة بمن قرّبه الملك واستخلصه لنفسه (٤٤) اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوكَ بِآيَاتِى بمعجزاتى وَلَا تَنِيَا ولا تفترا ولا تقصّرا وقرئ تِنِيَا بكسر التاء فِى ذِكْرِى لا تنسيانى حيثما تقلّبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الىّ (٤٥) اِذْهَبَا اِلَى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغَى امر به اوّلا موسى وحده وههنا ايّاه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقّى موسى وقيل سمع بمُقْبَله فاستقبله (٤٦) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا مثل هل لك الى ان تزكّى واهديك الى ربّك فتخشى فانّه دعوة فى صورة عَرْضٍ ومشورة حَذَرَ أن تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما واحتراما لما له من حقّ التربية عليك وقيل كنّياه وكان له ثلاث كُنًى ابو العبّاس وابو الوليد وابو مُرّة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده ومُلكا لا يزول الّا بالموت لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى متعلّق باذهبا او قولا اى باشرا الامرَ على رجائكما وطمعكما ان يُثْمِر ولا يخيب سعيكما فانّ الراجى مجتهد والآيس متكلّف • والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانّه لا يؤمن الزامُ الحجّة وقطع

المعجزة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات، والتذكّر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك جزء ١٦
قدّم الأوّل اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكّر فلا اقلّ من ان يتوهمه فيخشى (٤٧) قالا رَبَّنا إِنَّنا ركوع ١١
نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا ان يعجّل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فَرَطَ اذا
تقدّم ومنه الفارط وفرس فُرُطٌ يسبق الخيل وقرئ يُفْرَط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف
ان يحمله حاملٌ من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسيّ او جنّيّ على المعاجلة بالعقاب ويُفْرِط
من الافراط في الاذيّة أَوْ أَنْ يَطْغى او ان يزداد طغيانا فيتخطّى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته
وقساوته واطلاقه من حُسْن الادب (٤٨) قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما بالحفظ والنصرة أَسْمَعُ وَأَرى ما يجرى
بينكما وبينه من قول وفعل فأُحْدِث في كلّ حال ما يصرف شرّه عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز
ان لا يقدّر شيء على معنى انّني حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تمّ الحفظ
(٤٩) فَأْتِياهُ فَقُولا إِنّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ اطلقهم وَلا تُعَذِّبْهُمْ بالتكاليف الصعبة وقتل
الولدان فانّهم كانوا في ايدى القبط يستخدمونهم ويُتْعِبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام
دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على انّ تخليص المؤمنين من الكفرة اهمّ من دعوتهم الى الايمان
ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ جملة مقرّرة لما تضمّنه الكلام السابق
من دعوى الرسالة وانّما وحّد الآية وكان معه آيتان لانّ المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة
الى وحدة الحجّة وتعدّدها وكذلك قوله قد جئتكم ببيّنة فأت بآية أَوَلَوْ جئتك بشيء مبين
وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى وسلام الملائكة وخزنة الجنّة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم
(٥٠) إِنّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّى انّ عذاب المنزلين على المكذّبين للرسل ولعلّ
تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لانّ التهديد في اوّل الامر أهمّ وأنجع وبالواقع أليق
(٥١) قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى اى بعد ما اتياه وقالا له ما أُمِرا به ولعلّه حذف لدلالة الحال فانّ المطيع
اذا أُمر بشيء فعله لا محالة وانّما خاطب الاثنين وخصّ موسى بالنداء لانّه الاصل وهرون وزيره وتابعه
او لانّه عرف انّ له رُتّة ولاخيه فصاحة فاراد ان يُفْحمه ويدلّ عليه قوله ام انا خير من هذا الّذى هو
مَهين ولا يكاد يُبين (٥٢) قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ من الانواع خَلْقَهُ صورته وشكله الّذى يطابق
كماله المُمْكِن له او اعطى خليقته كلّ شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدّم المفعول الثانى لانّه
المقصود بيانه وقيل اعطى كلّ حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خَلَقَهُ صفةً للمضاف اليه
او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كلّ مخلوق ما يصلحه ثُمَّ هَدى ثمّ
عرّفه كيف يرتفق بما أُعطى وكيف يتوصّل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في
غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على انّ الغنيّ القادر بالذات
المنعم على الاطلاق هو اللّه تعالى وانّ جميع ما عداه مفتقر اليه منعَم عليه في حدّ ذاته وصفاته وافعاله

جزء ١٦ ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم يرَ الا صرف الكلام عنه (٥١) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ
ركوع ١١ ٱلْأُولَىٰ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (٥٢) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى اى هو غيب لا يعلمه الا هو وانّما انا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما اخبرنى به فِى كِتَٰبٍ مُثْبَت فى اللوح المحفوظ، ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكّنه فى علمه بما استحفظه العالِمُ وقيّده بالكتبة ويؤيّده لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى والضلالُ ان تُخطئ الشيء فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيانُ ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما مُحالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة اللّه تعالى بالاشياء كلّها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواصّ المختلفة بانّ ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئيّاتها والقرونُ الخالية مع كثرتهم وتمادى مدّتهم وتباعدُ أطرافهم كيف احاط علمُه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب انّ علمه تعالى مُحيط بذلك كلّه وانّه مُثْبَت عنده لا يضلّ ولا ينسى (٥٣) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهَادًا مرفوعٌ صفة لربّى او خبر محذوف او منصوبٌ على المدح، وقرأ الكوفيّون هنا وفى الزخرف مَهْدًا اى كالمهد تتمهّدونها وهو مصدر سُمّى به والباقون مِهَادًا وهو اسمُ ما يُمْهَد كالفراش او جمعُ مَهْد ولم يختلفوا فى ٱلَّذِى فى النبا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مطرا فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلّم على الحكاية لكلام اللّه تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانّه مُطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر انّ اللّه انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانُها امّنْ خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق الآية أَزْوَٰجًا اصنافا سُمّيت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض مِّن نَّبَاتٍ بيان او صفة لازواجا وكذلك شَتَّىٰ ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانّه من حيث انّه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرّقات فى الصُّوَر والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (٥٤) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى مُعدّيها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ لذوى العقول الناهية

ركوع ١٢ عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح جمعُ نُهْيَة (٥٥) مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ فانّ التراب اصلُ خلقة اوّل آبائكم واوّل موادّ ابدانكم وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ بالموت وتفكيك الاجزاء وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة وردّ الارواح اليها (٥٦) وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا بصّرناه ايّاها او عرّفناه صحّتها كُلَّهَا تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على انّ المراد بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصّة بموسى او انّه هو اراه آياته وعدّد عليه ما اوتى غيره من المعجزات فَكَذَّبَ موسى من فرط عناده وَأَبَىٰ الايمان والطاعة لعتوّه (٥٧) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ارض مصر بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ

هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج جزء ١٦
ملكا مثله من ارضه (٦٠) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ مثل سحرك فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وعدا لقوله ركوع ١٢
لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مَكَانًا سُوًى بفعل دلّ عليه
المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب في قوله (٦١) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ من حيث المعنى فان يوم الزينة يدلّ على مكان
مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكانُ موعدكم مكانُ يوم الزينة كما هو على
الاول او وعدكم وعدُ يوم الزينة وقرئ يَوْمَ بالنصب وهو ظاهر في انّ المراد بهما المصدر ، ومعنى سوًى
مُنتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قومٌ عِدًا في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة ويعقوب بالضمّ وقيل في يوم الزينة يومُ عاشوراء ويومُ النَّيْرُوز ويومُ عيد كان لهم في كلّ عام وانّما
عيّنه ليظهر الحقّ ويزهق الباطل على رءوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على انّ فيه ضميرَ
اليوم او ضميرَ فرعون على انّ الخطاب لقومه (٦٢) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ما يُكاد به يعني السحرة
وآلاتهم ثُمَّ أَتَى الموعد (٦٣) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بأن تدعوا آياته سحرا
(٦٤) فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضمّ من
الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى كما خاب فرعون فانّه
افترى واحتال ليبقى المُلْك عليه فلم ينفعه (٦٥) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ اى تنازعت السحرة في امر موسى
حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة وَأَسَرُّوا النَّجْوَى بأنّ موسى إنْ غلبنا
اتّبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السرّ وقيل الضمير لفرعون وقومه
وقوله (٦٦) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ تفسير لأسرّوا النجوى كانّهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يَغْلبا
فيتّبعهما الناس ، وهذان اسمُ إنّ على لغة بَلْحارث بن كعب فانّهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنّى
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل إنّ بمعنى نعمْ وما بعدها
مبتدأ وخبر وفيهما انّ اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انّه هذان لهما ساحران فحذف الضمير
وفيه انّ المؤكّد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو إنّ هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
إنْ هذانِ على انّها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى إلّا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بالاستيلاء عليها بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار
مذهبهما واعلاء دينهما لقوله انّى اخاف ان يبدّل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانّهم
كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسلْ معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انّهم قدوة لغيرهم (٦٧) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ فأزمعوه واجعلوه مُجْمَعا عليه لا

جزء ١٦ يتخلّف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فَٱجْمَعُوا ويعضده قوله فجمع كيده ، والضمير في قالوا ان كان
ركوع ١٣ للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثُمَّ ٱئْتُوا صَفًّا مصطفّين لانّه أَهْيَبُ فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كلّ منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض (٦٨) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى اى بعد ما اتوا مراعاة للادب ، وأنْ بما بعده منصوبٌ بفعل مضمر او مرفوعٌ بخبريّة محذوف اى اخترْ القاءك اوّلا او القاءنا او الامرُ القاؤك او القاؤنا (٦٩) قَالَ بَلْ أَلْقُوا مقابلة ادب بأدب وعدمَ مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاوّل فى شقّهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولأن يُبْرِزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثمّ يُظهر اللّه سلطانه فيقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى اى فألقوا فاذا حبالهم وعصيّهم وهى للمفاجأة والتحقيق انّها ايضا ظرفيّة تستدعى متعلَّقا ينصبها وجملةً تضاف اليها لكنّها خُصّت بأن يكون المتعلّق فعلَ المفاجأة والجملة ابتدائيّة والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقتَ تخييل سعي حبالهم وعصيّهم من سحرهم وذلك بانّهم لطخوها بالزيبق فلمّا ضربت عليها الشمس اضطربت فخُيّل اليه انّها تتحرّك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تُخَيَّلُ بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصيّ وابدال انّها تسعى منه بدلَ الاشتمال وقرئ يُخَيِّلُ بالياء على اسناده الى اللّه تعالى وتَخَيَّلُ بمعنى تتخيّل (٧٠) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلّة البشريّة او من ان يخالج النّاسَ شكٌّ فلا يتّبعوه (٧١) قُلْنَا لَا تَخَفْ ما توهّمتَ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْأَعْلَى تعليل للنهى وتقرير لغلبته موكّدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العُلوّ الدالّ على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (٧٢) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لا تُبال بكثرة حبالهم وعصيّهم وألقِ العُوَيْدة الّتى فى يدك او تعظيما لها اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فانّ فى يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا تبتلعه بقدرته تعالى واصله تتلقّف فحُذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبَّب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انّه من لَقِفْتُه بمعنى تلقّفته إِنَّمَا صَنَعُوا انّ الّذى زوّروا وافتعلوا كَيْدُ سَاحِرٍ وقرئ بالنصب على انّ ما كافّة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائىّ سِحْرٍ بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علمُ فقهٍ وانّما وحّد الساحر لانّ المراد به الجنس المطلق ولذلك قال وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ اى هذا الجنس وتنكيرُ الاوّل لتنكير المضاف كقول العجّاج

يوم ترى النفوسُ ما أَعَدَّتْ ،، فى سَعْىِ دنيا طالما قد مُدَّتْ

كانّه قيل انّ ما صنعوا كيدُ سِحْرِيٍّ حَيْثُ أَتَى حيث كان واين اقبل (٧٣) فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا

اى ما القى فتلقفت ما صنعوا فعلم السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته جزء ١٦
فالقاهم ذلك على وجوههم فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا تابوا وآمنوا واثابوا وتعظيما لما رأوا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ركوع ١٢
قدم هرون لكبر سنه او لروى الآية او لان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى او قدم
ذكره لربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم
فيها (٧٤) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ اى لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على
الخبر والباقون على الاستفهام قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ فى الايمان له إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ لعظيمكم فى فنكم واعلمكم
به او لأستاذكم ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ وانتم تواطأتم على ما فعلتم فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهى مع
المجرور بها فى حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف، وهو اول من صلب
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد به
توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب فى شىء وقيل ورب موسى الذى آمنوا به أَشَدُّ
عَذَابًا وَأَبْقَىٰ وأدوم عقابا (٧٥) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ لن نختارك عَلَىٰ مَا جَاءَنَا موسى به ويجوز ان يكون
الضمير فيه لما مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات وَٱلَّذِى فَطَرَنَا عطف على ما جاءنا او قسم فَٱقْضِ مَآ أَنتَ
قَاضٍ ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ انما تصنع ما تهواه او
تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى
هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة إِنَّآ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا من الكفر والمعاصى
وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ من معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ
جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا (٧٦) إِنَّهُۥ ان الامر مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا بأن يموت على كفره وعصيانه
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا فيستريح وَلَا يَحْيَىٰ حيوة مهنأة (٧٧) وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فى الدنيا فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ المنازل الرفيعة (٧٨) جَنَّٰتُ عَدْنٍ بدل من الدرجات تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ
تطهر من ادناس الكفر والمعاصى، والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون
ابتداء كلام من الله تعالى (٧٩) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى اى من مصر فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا ركوع ١٣

جزء ١٦ فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتّخذ من ضرب اللبن اذا عمله في ٱلْبَحْرِ يَبَسًا
ركوع ١٣ يابسا مصدر وُصف به يقال يَبِس يَبَسا ويُبْسا كسَقِم سَقما وسُقْما ولذلك وُصف به المؤنث فقيل شاة يَبَسٌ للّتى جفّ لبنها وقرئ يَبْسًا وهو اما مخفف منه او وصف على فَعْل كصَعْب او جمع يابس كصَحْب وُصف به الواحد مبالغة كقوله

كأنّ قُتُودَ رَحْلى حين ضَمّتْ ... حوالبَ غُرَّزا ومِعًى جِياعا

او لتعدّده معنى فانّه جعل لكلّ سبط منهم طريقا (٨٠) لَا تَخَافُ دَرَكًا حال من المأمور اى آمنا من ان يُدْرِكَكم العدوّ او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تَخَفْ على انّه جواب الامر وَلَا تَخْشَى استيناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنّون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق (٨١) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ وذلك انّ موسى عم خرج بهم اوّل الليل فأُخبر فرعون بذلك فقصّ اثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فأتبعهم بمعنى فاتّبعهم ويؤيّده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعتَ قصّته ولا يعرف كُنْهَه الّا الله وقرئ فَغَشّاهُمْ مَا غَشّاهُمْ اى غطّاهم ما غطّاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشّاهم او فرعونُ لانّه الّذى ورّطهم للهلاك وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى اى اضلّهم فى الدين وما هداهم وهو تهكّم به فى قوله وما أَهديكم الّا سبيل الرشاد او اضلّهم فى البحر وما نجّى (٨٢) يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للّذين منهم فى عهد النبىّ صلعم بما فعل بآبائهم قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فرعونَ وقومه وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانّما عدّى المواعدة اليهم وهى لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى يعنى فى التيه (٨٣) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائى أَنْجَيْتُكُمْ وَوَاعَدْتُكُمْ وما رَزَقْتُكُمْ على التاء وقرئ وَوَعَدْتُكُمْ ووَعَدْنَاكُمْ وَٱلْأَيْمَنِ بالجرّ على الجوار مثل جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدّى لما حدّ الله لكم فيه كالسَّرَف والبَطَر والمنع عن المستحقّ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى فيلزمَكم عذابى ويجبَ لكم من حلّ الدَّيْنُ اذا وجب اداؤه وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى فقد تردّى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يَحُلَّ ويَحْلُلْ بالضمّ من حلّ يحُلّ اذا نزل (٨٤) وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ عن الشرك وَآمَنَ بما يجب الايمان به وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَى ثمّ استقام على الهدى المذكور (٨٥) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى سؤال عن سبب العجلة يتضمّن انكارها من حيث انّها نقيصة فى نفسها انضمّ اليها اغفال القوم وايهام التعظّم عليهم

فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدّم جواب الانكار لانّه اهمّ (۸۶) قال هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى اى ما جزء ۱۶
تقدّمتهم الّا بخطى يسيرة لا يعتدّ بها عادةً وليس بينى وبينهم الّا مسافة قريبة يتقدّم بها الرُّفقة رکوع ۱۳
بعضهم بعضًا وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ فانّ المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك
(۸۷) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين
خلفهم مع هرون وكانوا ستّمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الّا اثنا عشر الفا وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ
باتّخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ وَأَضَلُّهُمْ اى اشدّهم ضلالًا لانّه كان ضالًّا مضلًّا وإنْ صحّ
انّهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيّامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدّة ثمّ
كان أمْرُ العجل وانّ هذا الخطاب كان له عند مَقْدَمه اذ ليس فى الآية ما يدلّ عليه كان ذلك اخبارا
من اللّه له عن المترقّب بلفظ الواقع على عادته فانّ اصل وقوع الشىء ان يكون فى علمه ومقتضى
مشيئته ٭ والسامرىّ منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان
وقيل من اهل باجَرْما واسمه موسى بن ظَفَر وكان منافقا (۸۸) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ بعد ما استوفى
الاربعين وأخذ التورية غَضْبَانَ عليهم أَسِفًا حزينا بما فعلوا (۸۹) قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا
بأن يعطيكم التورية فيها هدى ونور أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم أَمْ أَرَدْتُّمْ
أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ يجب عليكم غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ بعبادة ما هو مَثَلٌ فى الغباوة فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِى وَعْدَكم
ايّاى بالثبات على الايمان باللّه والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفتُ وَعْدَه اذا وجدت الخُلْفَ
فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيبَ على الترديد ولا على
الشقّ الّذى يليه ولا جوابَهم له (۹۰) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنَا بأن مَلَكْنا امرنا اذ لو خُلّينا وأَمْرَنا
ولم يسوّل لنا السامرىّ لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بِمَلْكِنَا بالفتح وحمزة والكسائىّ بالضمّ وثلاثتها فى
الاصل لغات فى مصدرِ مَلَكْتُ الشىء وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ ٱلْقَوْمِ احمالا من حُلىّ القبط الّتى
استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العُرْس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثمّ لم يردّوا ۰۰
عند الخروج مخافةَ ان يعلموا به وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلّهم
سمّوها اوزارا لانّها آثام فانّ الغنائم لم تكن تُحلّ بعدُ ولانّهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان
يأخذ مال الحربىّ فَقَذَفْنَاهَا اى فى النار فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ اى ما كان معه منها رُوى انّهم لمّا
حسبوا انّ العدّة قد كملت قال لهم السامرىّ انّما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حُلىّ القوم
وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كلّ ما معنا فيها ففعلوا ٭ وقرأ ابو
عمرو وحمزة والكسائىّ وابو بكر وروح حَمَلْنا بالفتح والتخفيف فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا من تلك الحُلىّ
المذابة لَهُ خُوَارٌ صوت العجل فَقَالُوا يعنى السامرىّ ومن افتتن به اوّل ما رآه هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ
فَنَسِىَ اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرىّ اى ترك ما كان عليه من اظهار

الايمان (٩١) أَفَلَا يَرَوْنَ افلا يعلمون أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا جزء ١٦
وقرئ يَرْجِعَ بالنصب وفيه ضعف لان أَنْ الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ركوع ١٣
ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم (٩٢) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ من قبل رجوع موسى او قول السامرى ركوع ١٤

كانّه اوّل ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفيرة توهّم ذلك وبادر تحذيرهم يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ بالعجل وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ لا غير فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي فى الثبات على الدين (٩٣) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ على العجل وعبادته عَاكِفِينَ مقيمين حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ وهذا الجواب يؤيّد الوجه الاوّل (٩٤) قَالَ يَا هَارُونُ اى قال له موسى حين رجع مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا بعبادة العجل أَلَّا تَتَّبِعَنِ ان تتبعنى فى الغضب للّه والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ألّا تسجد أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (٩٥) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ خصّ الامّ استعطافا وترقيقا وقيل لانّه كان اخاه من الامّ والجمهورُ على انّهما كانا من اب وامّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي اى بشعر رأسى قبض عليهما يجرّه اليه من شدّة غيظه وفرط غضبه للّه وكان عم حديدا خشنا متصلّبا فى كلّ شىء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لو قاتلتَ او فارقتَ بعضهم ببعض وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح فانّ الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة لهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامرَ برأيك (٩٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ اى ثمّ اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له وما الّذى حملك عليه وهو مصدرُ خطب الشىء اذا طلبه قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء على الخطاب اى علمتُ ما لم يعلموه وفطنتُ لما لم يفطنوا له وهو انّ الرسول الّذى جاءك روحانىٌّ محضٌ لا يمسّ اثره شيئا الّا احياه او رأيتُ ما لم يروه وهو انّ جبريل جاءك على فرس الحيوة قيل انّما عرفه لانّ امّه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتّى استقلّ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ من تربة موطئه القبضةُ المرّة من القبض وأُطلق على المقبوض كضَرْب الامير وقرئ بالصاد والاوّل للاخذ بجميع الكفّ والثانى للاخذ بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم ، والرسول جبريل عم ولعلّه لم يسمّه لانّه لم يعرف انّه جبريل او اراد ان ينبّه على الوقت وهو حين أُرسل اليه ليذهب به الى الطور فَنَبَذْتُهَا فى الحلىّ المذابة او فى جوف العجل حتّى حيى وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي زيّنته وحسّنته (٩٧) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ عقوبةً على ما فعلتَ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ خوفا ان يمسّك احد فتأخذك الحمّى ومن مسّك فتتحامى الناسَ ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشىّ النافر وقرئ لا مَسَاسِ كفَجَارِ وهو عَلَمٌ للمسّة وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا فى الآخرة لَنْ تُخْلَفَهُ لن يخلفك اللّه وينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير

جزء ١٦ والبصريّان بكسر اللام اى لن تُخلِفَ الواعدَ إيّاه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الأوّل لانّ المقصود
ركوع ١٤ هو الموعد ويجوز لن يكون من اخلفتُ الوعدَ اذا وجدته خُلْفا وقرئ بالنون على حكاية قول اللّه
وَٱنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ظللتَ على عبادته مُقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ
بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لَنُحَرِّقَنَّهُ اي بالنار ويؤيّده قراءة لَنُحْرِقَنَّهُ او بالمِبْرَد على انّه
مبالغة في حَرَقَ اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لَنَحْرُقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ لنذرينّه رمادا او مبرودا وقرئ بضمّ
السين فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا فلا يصادَف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن
له ادنى نظر (٩٨) إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ المستحقّ لعبادتكم ٱللّٰهُ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا احد يماثله او يدانيه
في كمال العلم والقدرة وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا وسع علمه كلّ ما يصحّ ان يُعلَم لا العجلُ الّذى يُصاغ
ويحرق وان كان حيّا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وَسَّعَ فيكون انتصابُ علما على المفعوليّة
لانّه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنّه فاعلٌ في المعنى فلمّا عُدّى الفعل بالتضعيف الى مفعولَيْن
صار مفعولا (٩٩) كَذٰلِكَ مثلَ ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصّة موسى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ
من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرةً لك وزيادةً في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا
للمستبصرين من امّتك وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا
بالتفكّر والاعتبار والتنكيرُ فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (١٠٠) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
عن الذكر الّذى هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن اللّه فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وِزْرًا
عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سمّاها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقَب وصعوبة احتمالها بالحمل
الّذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما (١٠١) خَالِدِينَ فِيهِ في الوزر او في حَمْله والجمعُ فيه
والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ حِمْلًا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم
يفسّره حملا والمخصوص بالذمّ محذوف اى ساء حملا وزرُهم واللام في لهم للبيان كما في هَيْتَ لك
ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الّذى فيه للوزر أَشْكَلَ امرُ اللام ونَصْبِ حملا ولم يُفِدْ مزيدَ معنى
(١٠٢) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ
بالياء المفتوحة على انّ فيه ضمير اللّه او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانّه المشهور بذلك وقرئ
فِي ٱلصُّوَرِ وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ وقرئ وَيُحْشَرُ ٱلْمُجْرِمُونَ زُرْقًا
زرق العيون وُصفوا بذلك لانّ الزُرْقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لانّ الروم كانوا اعدى
اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدوّ اسودُ الكبد اصهبُ السبال ازرقُ العين او عُميا فانّ
حدقة الاعمى تزرقّ (١٠٣) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورَهم من الرعب والهول
والخفتُ خفض الصوت واخفاؤه إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا اى في الدنيا يستقصرون مدّة لبثهم فيها لزوالها او
لاستطالتهم مدّة الآخرة او لتأسّفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انّهم استحقّوها على اضاعتها

جزء ١٦ في قضاء الأوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيتين (١٠٤) نحن أعلم
ركوع ١٤ بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول أمثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاع لقول
ركوع ١٥ من يكون اشد تقالا منهم (١٠٥) ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف

فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (١٠٦) فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا أمتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مرتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين (١٠٧) يومئذ يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (١٠٨) يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الأذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه (١٠٩) يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (١١٠) وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (١١١) ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي (١١٢) وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات

الوعيد لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا عظة واعتبارا حين جزء ١٦
يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه النكتة إسند التقوى اليهم والاحداث إلى القرآن (١١٣) فَتَعَالَى ٱللَّهُ في ذاته ركوع ١٥
وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم ٱلْمَلِكُ النافذ امره
والحقيق بأن يُرجى وعده ويخشى وعيده ٱلْحَقُّ في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته
وصفاته وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل
ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان يأتي بيانه وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فانّ ما اوحي اليك
تناله لا محالة (١١٤) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ولقد امرناه يقال تقدّم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد
اليه اذا امره ، والّلام جواب قسم محذوف ، وانّما عطف قصّة آدم عم على قوله وصرّفنا فيه من الوعيد
للدلالة على انّ اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان مِن قَبْلُ من قبل هذا الزمان
فَنَسِيَ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصّى به من الاحتراز عن الشجرة وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا
تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلّب لم يزلّه الشيطان ولم يستطع تغريره ولعلّ
ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرّب الامور ويذوق شريها وأريها وعن النبيّ عم لو وزنت احلام بنى
آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانّه اخطأ ولم
يتعمّد ، ولم نجد ان كان من الوجود الّذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود
المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلّق بنجد (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ مقدّر باذكر ركوع ١٦
اى اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبيّن لك انّه نسي ولم يكن من اولى العزيمة والثبات فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ قد سبق القول فيه أَبَىٰ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى
هذا لا يقدّر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لانّ المعنى اظهر الإباء عن المطاوعة
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا فلا يكوننّ سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن
ان يكونا بحيث يتسبّب الشيطان الى اخراجهما مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ افرده باسناد الشقاء اليه بعد
اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انّه قيّم عليها ومحافظة على الفواصل
او لانّ المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيّده (١١٦) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا
تَعْرَىٰ (١١٧) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ فانّه بيان وتذكير لما له في الجنّة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف الّتى هى الشبع والرىّ والكسوة والكنّ مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أعواض
ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذّر عنها ، وقرأ نافع
وابو بكر وَإِنَّكَ لا تظمؤ بكسر الهمزة والباقون بفتحها والعاطف ناب عن إنّ لكنّه ناب من حيث انّه
عامل لا من حيث انّه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أنّ امتناع دخول إنّ عليه (١١٨) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ

جزء ١٦ ركوع ١٣

الشَّيْطَانُ فانهى اليه وسوسته قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ الشجرة التى من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد اى الخلود لانها سببه بزعمه وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى لا يزول ولا يضعف (١١٩) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ بأكل الشجرة فَغَوَى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغترّ بقول العدوّ وقرئ فَغَوِيَ من غَوِيَ الفصيلُ اذا اتّخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلّته تعظيم للزلّة وزجر بليغ لاولاده عنها (١٢٠) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جُبِيَ الىّ كذا فاجتبيتُه مثل جُلِيَتْ علىّ العروسُ فاجتليتُها وأصلُ الكلمة الجمع فَتَابَ عَلَيْهِ فقبل توبته لمّا تاب وَهَدَى الى الثبات على التوبة والتشبّث بأسباب العِصْمة (١٢١) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا الخطاب لآدم وحوّاء او له ولابليس ولما كانا أصْلَيِ الذرّية خاطبهما مخاطبتَهم فقال بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كلّ من النوعين بواسطة الآخر ويؤيّد الاوّل قوله فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى كتاب ورسول (١٢٢) فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ فى الدنيا وَلَا يَشْقَى فى الآخرة (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ضيقا مصدر وُصف به ولذلك يستوى فيه المذكّر والمؤنّث وقرئ ضَنْكَى كسَكْرَى وذلك لانّ مجامع همّته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انّه تعالى قد يضيّق بشؤم الكفر ويوسّع ببركة الايمان كما قال وضُرِبَتْ عليهم الذلّة والمسكنة ولو انّهم اقاموا التورية والانجيل ولو انّ اهل القرى آمنوا واتّقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقّوم فى النار وقيل عذاب القبر (١٢٤) وَنَحْشُرُهُ وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محلّ فانّ له معيشة لانّه جواب الشرط يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى البصرِ او القلب ويؤيّد الاوّل (١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا وقد امالهما حمزة والكسائىّ لانّ الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بانّ الاوّل رأس آية ومحلّ الوقف فهو جدير بالتغيير (١٢٦) قَالَ كَذَلِكَ اى مثل ذلك فعلتَ ثمّ فسّره فقال أَتَتْكَ آيَاتُنَا واضحة نيّرة فَنَسِيتَهَا فعميتَ عنها وتركتها غير منظور اليها وَكَذَلِكَ ومثل تركك اياها الْيَوْمَ تُنْسَى تترك فى العمى والعذاب (١٢٧) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ بل كذّب بها وخالفها وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى وللنار بعد ذلك أَشَدُّ وَأَبْقَى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعلّه اذا دخل النار زال عماه ليرى محلّه وحالَه او ممّا فعله من ترك الآيات والكفر بها (١٢٨) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ

مسند الى الله تعالى او الرسول او ما دلّ عليه كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ اى اهلاكنا اياهم او جزء ١٦
الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلّق يجرى مجرى أَعْلَمْ ويدلّ عليه القراءة بالنون يَمْشُونَ ركوع ١٦
فِي مَسَاكِنِهِمْ ويشاهدون آثار هلاكهم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى لذوى العقول الناهية عن التغافل
والتعامى (١٢٩) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامّة الى الآخرة لَكَانَ لِزَامًا ركوع ١٧
لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وُصف به او اسم آلة سُمّى به اللازم لفرط
لزومه كقولهم لِزازُ خَصْمٍ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجلٌ مسمّى
لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كلّ
منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكنّ فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجلٌ مسمّى
لازمين له (١٣٠) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وصلّ وأنت حامدٌ لربّك على هدايته وتوفيقه
او نزّهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميّزك بالهدى معترفا بانّه
مولى النعم كلّها قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يعنى الفجر وَقَبْلَ غُرُوبِهَا يعنى الظهر والعصر لانّهما فى آخر النهار او
العصر وحده وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ومن ساعاته جمعُ إِنًى بالكسر والقصر او أَناء بالفتح والمدّ فَسَبِّحْ يعنى
المغرب والعشاء وانّما قدّم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فانّ القلب فيه أَجْمَعُ والنفس أَمْيَلُ الى
الاستراحة فكانت العبادة فيه أَحْمَزَ ولذلك قال سبحانه وتعالى انّ ناشئة الليل هى اشدّ وطأً واقومُ قيلا
وَأَطْرَافَ النَّهَارِ تكريرٌ لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله
• ظَهْراهُما مثلُ ظُهورِ التُرْسَيْنِ • او امرٌ بصلوة الظهر فانّه نهايةُ النصف الاوّل من النهار وبدايةُ النصف
الاخير وجمعُه باعتبار النصفين او لانّ النهار جنسٌ او بالتطوّع فى اجزاء النهار لَعَلَّكَ تَرْضَى متعلّق
بسبّح اى سبّح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند اللّه ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائىّ وابو بكر
بالبناء للمفعول اى يُرْضيك ربُّك (١٣١) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اى نظرَ عينيك إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ استحسانا له وتمنّيا
ان يكون لك مثله أَزْوَاجًا مِنْهُمْ اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعولُ مِنْهُمْ
اى الى الذى متّعنا به وهو اصنافُ بعضهم وناسا منهم زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا منصوبٌ بمحذوف دلّ عليه
متّعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محلّ به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او
بالذمّ وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجَهَرة فى الجَهْرة او جمعُ زاهرٍ وصفًا لهم
بانّهم زاهرو الدنيا لتنعّمهم وبهاء زيّهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهّاد لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنبلوهم ولنختبرهم
فيه او لنعذّبهم فى الآخرة بسببه وَرِزْقُ رَبِّكَ وما ادّخر لك فى الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوّة خَيْرٌ
ممّا منحهم فى الدنيا وَأَبْقَى فانّه لا ينقطع (١٣٢) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ امرٌ له بأن يأمر اهل بيته او التابعين
له من امّته بالصلوة بعد ما أُمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتمّوا بأمر المعيشة

جزء ١٦ ولا يلتفتوا لفتة ارباب الثروة وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا وداوم عليها لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ان ترزق نفسك ولا اهلك نَحْنُ
ركوع ١٧ نَرْزُقُكَ واياهم ففرّغ بالك لأمر الآخرة وَٱلْعَاقِبَةُ المحمودة لِلتَّقْوَى لذوى التقوى روى انّه صلعم كان اذا
اصاب اهله ضرّ امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية (١٣٣) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ بآية تدلّ على صدقه
فى ادّعاء النبوّة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنّتا وعنادا فالزمهم باتيانه
بالقرآن الّذى هو امّ المعجزات واعظمها وابقاها لانّ حقيقة المعجزة اختصاص مدّعى النبوّة بنوع من العلم
او العمل على وجه خارق للعادة ولا شكّ انّ العلم اصل العمل واجلّ منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان
من هذا القبيل ونبّههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصّة بهذا الباب فقال أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ
بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماويّة فانّ اشتمالها على زبدة ما فيها
من العقائد والاحكام الكلّيّة مع انّ الآتى بها امّىّ لم يرها ولم يتعلّم ممّن علمها اعجاز بيّن وفيه اشعار
بانّه كما يدلّ على نبوّته برهان لما تقدّمه من الكتب من حيث انّه معجز وتلك ليست كذلك بل هى
مفتقرة الى ما يشهد على صحّتها وقرئ ٱلصُّحْفِ بالتخفيف وقرأ نافع وابو عمرو وحفص أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ
بالتاء والباقون بالياء (١٣٤) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ من قبل محمّد او البيّنة والتذكير لانّها
فى معنى البرهان او المراد بها القرآن لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ
بالقتل والسبى فى الدنيا وَنَخْزَى بدخول النار يوم القيامة وقد قرئا بالبناء للمفعول (١٣٥) قُلْ كُلٌّ اى
كلّ واحد منّا ومنكم مُتَرَبِّصٌ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فَتَرَبَّصُوا وقرئ فتمتّعوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ
أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ المستقيم وقرئ ٱلسَّوَاءِ اى الوسط الجيّد وَٱلسُّوأَى وَٱلسُّوءِ اى الشرّ وَٱلسُّوَيِّ
وهو تصغيره وَمَنِ ٱهْتَدَى من الضلالة ومَنْ فى الموضعين للاستفهام ومحلّها الرفع بالابتداء ويجوز ان
تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محلّ الجملة الاستفهاميّة المعلّق
عنها الفعل على انّ العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على انّ المراد به النبىّ صلعم وعنه
عم من قرأ طه أُعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

سُورَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ

مكّيّة وآيها مائة واثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٧ (١) ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ بالاضافة الى ما مضى او عند اللّه تعالى لقوله انّهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
ركوع ١ وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يُخلف اللّهُ وعده وانّ يوما عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون او

لانّ كلّ ما هو آتٍ قريب وانّما البعيد ما انقرض ومضى ، واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة وأصله جزء ١٧
اقترب حسابُ الناس ثمّ اقترب للناس الحسابُ ثمّ اقترب للناس حسابُهم ، وخصّ الناس بالكفّار ركوع ١
لتقييدهم بقوله وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكّر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكنّ فى معرضون (٢) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ينبّههم عن سنة الغفلة والجهالة مِنْ رَبِّهِمْ صفة لذكر او صلة ليأتيهم مُحْدَثٍ تنزيله ليكرّر على اسماعهم التنبيه كى يتّعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحلّ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ يستهزءون به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكّر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (٣) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ اى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهّى والذهول عن التفكّر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انّه خبر آخر للضمير وَأَسَرُّوا النَّجْوَى بالغوا فى اخفائها او جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها الَّذِينَ ظَلَمُوا بدلٌ من واو اسرّوا للايماء بانّهم ظالمون فيما اسرّوا به او فاعلٌ له والواوُ لعلامة الجمع او مبتدأٌ والجملة المتقدّمة خبره وأصله وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانّه ظلمٌ او منصوبٌ على الذمّ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ بأسره فى موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقولٍ مقدّرٍ كانّهم استدلّوا بكونه بشرا على كذبه فى ادّعاء الرسالة لاعتقادهم انّ الرسول لا يكون الّا مَلَكا واستلزموا منه انّ ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحرٌ فأنكروا حضوره ، وانّما اسرّوا به تشاورا فى استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامّة (٤) قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ جهرا كان او سرّا فضلا عمّا اسرّوا به فهو آكد من قوله قل انزله الّذى يعلم السرّ فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسرّوا النجوى. وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص قال بالاخبار عن الرسول وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فلا يخفى عليه ما يسرّون ولا ما يضمرون (٥) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ اضرابٌ لهم عن قولهم هو سحر الى انّه تخاليط احلام ثمّ الى انّه كلام افتراه ثمّ الى انّه قول شاعر والظاهرُ انّ بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خُيّلت اليه وخُلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثمّ الى انّه كلام شعرىّ يخيّل الى السامع معانىَ لا حقيقة لها ويرغّبه فيها ويجوز ان يكون الكلّ من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لانّ كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانّه مشحون بالحقائق والحِكَم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانّه مشتمل على مغيّبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانّهم جرّبوا رسول الله صلعم نيّفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قطّ وهو من كونه سحرا لانّه يجانسه من حيث انّهما من الخوارق فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ اى كما أُرسل به الاوّلون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه

جزء ١٧ واحياء الموتى ۔ وفائدة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (٦) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ

ركوع ١ من اهل قرية أَهْلَكْنَاهَا باقتراح الآيات لما جاءتهم أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم (٧) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلعم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا ۔ وقرأ حفص نُوحِي بالنون (٨) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه المجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده (٩) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ اي في الوعد فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ في الكفر والمعاصي (١٠) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ يا قريش كِتَابًا يعني القران فِيهِ ذِكْرُكُمْ صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما

ركوع ٢ تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق أَفَلَا تَعْقِلُونَ فتؤمنون (١١) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كَانَتْ ظَالِمَةً صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا بعد اهلاك اهلها قَوْمًا آخَرِينَ مكانهم (١٢) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم (١٣) لَا تَرْكُضُوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة وَمَسَاكِنِكُمْ التي كانت لكم لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل (١٤) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (١٥) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ

جزء ١٧ ركوع ٢

فما زالوا يرددون ذلك وانّما سمّاه دعوى لانّ المولول كانّه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك ، وكلّ من تلك ودعواهم يحتمل الاسميّة والخبريّة حتّى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميّتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره (١٦) وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانّما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلّقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغترّوا بزخارفها فانّها سريعة الزوال (١٧) لو اردنا ان نتّخذ لهوا ما يتلهّى به ويلعب لاتّخذناه من لدنّا من جهة قدرتنا او من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجرّدات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الردّ على النصارى ان كنّا فاعلين ذلك ويدلّ على جوابه الجواب المتقدّم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطيّة (١٨) بل نقذف بالحقّ على الباطل اضراب عن اتّخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اى بل شأننا ان نغلب الحقّ الّذى من جملته الجدّ على الباطل الّذى من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانّما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمىّ والدمغ الّذى هو كسر الدماغ بحيث يشقّ غشاوه المؤدّى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم   وألحق بالحجاز فأستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحقّ فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل ممّا تصفون ممّا تصفونه ممّا لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدريّة او موصولة او موصوفة (١٩) وله من فى السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعنى الملائكة المنزّلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين عند الملوك ، وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم او لانّه اعمّ منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوّء فى السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظّمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانّما جىء بالاستحسار الّذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على انّ عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون (٢٠) يسبّحون الليل والنهار ينزّهونه ويعظّمونه دائما لا يفترون حال من الواو فى يسبّحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله (٢١) أم اتّخذوا آلهة بل اتّخذوا والهمزة لانكار اتّخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلّقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى

جزء ١٧ ركوع ٢ وهم وان لم يصرّحوا به لكن لزم ادّعاؤهم لها الالهيّة فانّ من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكّم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم (٢٢) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ غيرُ الله وصف بالّا لتعذّر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانّه متفرّع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب لَفَسَدَتَا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانّها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القُدَر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ المحيط بجميع الاجسام الذى هو محلّ التدابير ومنشأ التقادير عَمَّا يَصِفُونَ من اتّخاذ الشريك والصاحبة والولد (٢٣) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لعظمته وقوّة سلطانه وتفرّده بالالوهيّة والسلطنة الذاتيّة وَهُمْ يُسْأَلُونَ لانّهم مملوكون مستعبَدون والضمير للآلهة او للعباد (٢٤) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً كرّره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضمّا لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتّخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواصّ الالوهيّة او وجدوا فى الكتب الالهيّة الامر باشراكهم فاتّخذوهم متابعةً للامر ويعضد ذلك انّه رتّب على الاوّل ما يدلّ على فساده عقلا وعلى الثانى ما يدلّ على فساده نقلا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على ذلك امّا من العقل او من النقل فانّه لا يصحّ القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي من الكتب السماويّة فانظروا هل تجدون فيها الّا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لمّا لم يتوقّف على صحّته بعثة الرسل وانزال الكتب صحّ الاستدلال فيه بالنقل • ومن معى امّته ومن قبلى الامم المتقدّمة واضافة الذكر اليهم لانّه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارّة على انّ مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وبعدهما بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ولا يميّزون بينه وبين الباطل وقرئ الْحَقُّ بالرفع على انّه خبر محذوف وسّط للتأكيد بين السبب والمسبّب فَهُمْ مُعْرِضُونَ عن التوحيد واتّباع الرسل من اجل ذلك (٢٥) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ تعميم بعد تخصيص فانّ ذكر من قبلى من حيث انّه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائىّ نُوحِى بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (٢٦) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ تنزيه له عن ذلك بَلْ عِبَادٌ بل هم عباد من حيث انّهم مخلوقون وليسوا باولاد مُكْرَمُونَ مقرّبون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (٢٧) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدّبين واصله لا يسبق قولهم

قوله فنسب السبق اليه والهمر وجُعل القول محلّه وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرّض به جزء ١٧
للقائلين على اللّه سبحانه وتعالى ما لم يقله وأُنيب اللامُ عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير ركوع ٢
وقرئ لا يَسْبُقُونَهُ بالضمّ من سابقته فسبقته أَسْبُقه وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ لا يعملون قطّ ما لم يأمرهم به
(٢٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ لا يخفى عليه خافية ممّا قدّموا وأخّروا وهو كالعلّة لما قبله والتمهيد
لما بعده فانّهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم وَلَا يَشْفَعُونَ (٢٩) إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَى
ان يُشفَع له مهابةً منه وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ عظمته ومهابته مُشْفِقُونَ مرتعدون وأصلُ الخشية خوف مع
تعظيم ولذلك خصّ بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فإن عُدّي بمِنْ فمعنى الخوف فيه اظهرُ وإن
عُدّي بعلى فبالعكس (٣٠) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ من الملائكة او من الخلائق إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَ يريد به نفيَ البنوّة وادّعاء ذلك عن الملائكة وتهديدَ المشركين بتهديد مدّعي الربوبيّة
كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ مَنْ ظلم بالاشراك وادّعاء الربوبيّة (٣١) أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اولم يعلموا وقرأ ابن ركوع ٣
كثير بغير واو أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضمّ والالتحام اي كانتا
شيأ واحدا او حقيقة متّحدة فَفَتَقْنَاهُمَا بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات
المختلفة حتّى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجُعلت باختلاف كيفيّاتها واحوالها طبقات
او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فُرجة بينهما ففرّج وقيل كانتا رتقا لا تُمطِر ولا تُنبِت ففتقناهما بالمطر
والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعُها باعتبار الآفاق او السموات بأسرها على انّ لها
مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكّنون من العلم به نظرًا فانّ الفتق عارض
مفتقر الى موثّر واجب ابتداءً او بوسط او استفسارًا من العلماء ومطالعةً للكتب وانّما قال كانتا ولم
يقل كنّ لانّ المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رَتَقًا بالفتح على تقدير شيئًا رَتَقا اي مرتوقا
كالرفَض بمعنى المرفوض وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ وخلقنا من الماء كلّ حيوان كقوله واللّه خلق
كل دابّة من ماء وذلك لانّه من اعظم موادّه او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيّرنا كلّ شيء
حيّ بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حَيًّا على انّه صفة كلّ او مفعول ثانٍ والظرف لغو والشيء
مخصوص بالحيوان أَفَلَا يُؤْمِنُونَ مع ظهور الآيات (٣٢) وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ ثابتات من رَسَا اذا ثبت
أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ كراهةَ ان تميد بهم وتضطرب وقيل لأن لا تميد فحذف لا لأمن الالباس وَجَعَلْنَا فِيهَا
في الارض او الرواسي فِجَاجًا سُبُلًا مسالك واسعة وانّما قدّم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدلّ على
انّه حين خلقها خلقها كذلك او ليُبْدَل منها سبلا فيدلّ ضمنا على انّه خلقها ووسّعها للسابلة مع ما
يكون فيه من التوكيد لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ الى مصالحهم (٣٣) وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا من الوقوع
بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
احوالها الدالّة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته الّتي يَحُسّ ببعضها ويُبحَث

جزء ١٧ عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة مُعْرِضُونَ غير متفكرين (٣٣) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
ركوع ٣ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ بيان لبعض تلك الآيات كُلٌّ فِى فَلَكٍ اى فلك واضافة منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حُلَّةً يَسْبَحُونَ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كلّ والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادها بها لعدم اللبس والضمير لهما وانّما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لانّ السباحة فعلهم (٣٥) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ نزلت حين قالوا نتربّص به ريب المنون وفى معناه قوله

وقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلّق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرّر ذلك (٣٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكره وَنَبْلُوكُمْ ونعاملكم معاملة المختبر بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ بالبلايا والنعم فِتْنَةً ابتلاء مصدر من غير لفظه وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بانّ المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق (٣٧) وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ ما يتخذونك إِلَّا هُزُوًا الّا مهزوءا به ويقولون أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ اى بسوء وانّما اطلقه لدلالة الحال فانّ ذكر العدوّ لا يكون الّا بسوء وَهُمْ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هُمْ كَافِرُونَ منكرون فهم احق بأن يُهزأ بهم، وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر (٣٨) خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ كانّه خلق منه لفرط استعجاله وقلّة ثباته كقولك خُلق زيدٌ من الكَرَم جُعِلَ ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغةً فى لزومه له ولذلك قيل انّه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انّها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل سَأُرِيكُمْ آيَاتِى نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ بالاتيان بها والنهى عمّا جُبِلَتْ عليه نفوسهم ليُقعدوها عن مرادها (٣٩) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ وقت وعد العذاب او القيامة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون النبىّ واصحابه (٤٠) لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اى لو يعلمون الوقت الّذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كلّ جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يُترك مفعول يعلم ويُضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علمٌ لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفّون، وانّما وُضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (٤١) بَلْ تَأْتِيهِمْ العدة او النار او الساعة بَغْتَةً فجأة مصدر

او فجأة وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين جزء ١٧
وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ركوع ٣
ان يكون للنار او البغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا (٤١) ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد له بان
ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه (٤٢) قل يا محمد ركوع ٤
للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن
تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه (٤٣) ام لهم آلهة تمنعهم
من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان
عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر
نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره (٤٤) بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او
عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت
اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال
أفلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه
الله على ايدي المسلمين أفهم الغالبون رسول الله والمؤمنين (٤٥) قل انما انذركم بالوحي بما اوحى
الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي صلعم وقرئ بالياء على
ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم
وتجاسرهم (٤٦) ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة
فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن
يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (٤٧) ونضع الموازين القسط
العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة او لاهله
او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان
مثقال حبة من خردل وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة أتينا بها

جزء ١٧ احضرناها وقرئ آتَيْنَا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانّه قريب من اعطينا او من المؤاتاة فانّهم اتوه
ركوع ٤ بالاعمال واتاهم بالجزاء وأَثَبْنَا من الثواب وجِئْنَا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبّة وَكَفَى
بِنَا حَاسِبِينَ اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (٤٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ
الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحقّ والباطل وضياء يُسْتضاء به فى ظلمات الجهالة والحيرة وذكرا يتّعظ
به المتّقون او ذكرَ ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ
ضِيَآءً بغير واو على انّه حال من الفرقان (٥٠) ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ صفة للمتّقين او مدح لهم منصوب
او مرفوع بِٱلْغَيْبِ حال من الفاعل او للمفعول وَهُمْ مِنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ خائفون وفى تصدير الضمير
وبناء الحكم عليه مبالغةٌ وتعريض (٥١) وَهٰذَا ذِكْرٌ يعنى القرآن مُبَارَكٌ كثير خيره أَنْزَلْنَاهُ على محمّد صلعم
ركوع ٥ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ استفهامُ توبيخ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدلّ
على انّه رشدُ مثله وانّ له شأنا وقرئ رَشَدَهُ وهو لغة مِنْ قَبْلُ من قبل موسى وهرون او محمّد وقيل
من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال انّى وجّهت وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ علمنا انّه اهلٌ لما آتيناه او جامعٌ
لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى انّ فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وانّه عالم
بالجزئيّات (٥٣) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ متعلّق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكرْ من اوقات رشده
وقتَ قوله مَا هٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ تحقير لشأنها وتوبيخٌ على اجلالها فانّ التمثال
صورة لا روح فيها لا يضرّ ولا ينفع ، واللام للاختصاص لا للتعدية فانّ تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم
فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤوّل بعلى او يضمّن العكوف معنى العبادة (٥٤) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
لَهَا عَابِدِينَ فقلّدناهم وهو جواب عمّا لزم الاستفهام من السؤال عمّا اقتضى عبادتها وحملهم عليها
(٥٥) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ منخرطين فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم
استناد الفريقين الى دليل والتقليدُ ان جاز فانّما يجوز لمن علم فى الجملة انّه على حقّ (٥٦) قَالُوا
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ كانّهم لاستبعادهم تضليله ايّاهم ظنّوا انّ ما قاله انّما قاله على
وجه الملاعبة فقالوا اتجدّ بقوله ام تلعب به (٥٧) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادّعاه ، وهنّ للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى
تضليلهم والزامِ الحجّة عليهم وَأَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُمْ اى المذكور من التوحيد مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ من المتحقّقين
له والمبرهنين عليه فانّ الشاهد من تحقّق الشيء وحقّقه (٥٨) وَتَاللّٰهِ وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء
بدل من الواو المُبْدَلة منها وفيها تعجّب لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ لاجتهدنّ فى كسرها ولفظ الكيد وما
فى التاء من التعجّب لصعوبة الامر وتوقّفه على نوع من الحيل بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا عنها مُدْبِرِينَ الى عيدكم

ولعلّه قال ذلك سرّا (٥٨) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا قطاعا فُعال بمعنى مفعول كالحُطام من الجذّ وهو القطع وقرأ جزء ١٧
الكسائىّ بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجُذُذًا جمع جذيذ ركوع ٥
وجُذَذًا جمع جُذّة اِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
لانّه غلب على ظنّه انّهم لا يرجعون الّا اليه لتفرّده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجّهم بقوله بل فعله
كبيرهم فيَحُجُّهم او انّهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يُرْجَع اليه
فى حلّ العقد فيبكّتهم بذلك او الى اللّه اى يرجعون الى توحيده عند تحقّقهم عَجْزَ آلهتهم (٦٠) قَالُوا
حين رجعوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا اِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى
حطّمها او بتوريط نفسه للهلاك (٦١) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يعيبهم فلعلّه فعله ويذكر ثانى
مفعولى سمع او صفة لفتى مصحّحة لأن يتعلّق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه يُقَالُ لَهُ اِبْرٰهِيمُ
خبرُ محذوف اى هو ابرٰهيم ويجوز ان يُرْفَع بالفعل لانّ المراد به الاسم (٦٢) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلٰى اَعْيُنِ النَّاسِ
بمرأى منهم بحيث تتمكّن صورته فى اعينهم تمكّن الراكب على المركوب لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ بفعله او
قوله او يحضرون عقوبتنا له (٦٣) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا اِبْرٰهِيمُ حين احضروه (٦٤) قَالَ بَلْ
فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَسْأَلُوهُمْ اِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ اسند الفعل اليه تجوّزا لانّ غيظه لما رأى من
زيادة تعظيمهم له تسبّب لمباشرته ايّاه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضىّ
كما لو قال لك من لا يُحْسِن الخطّ فيما كتبتَه بخطّ رشيق انت كتبته فقلتَ بل كتبتَه او حكايةً
لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انّه فى المعنى متعلّق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض
او الى ضمير فتى او ابرٰهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وُقف على فَعَلَهُ ، وما روى انّه
عم قال لابرٰهيم ثلاث كذبات تسميةٌ للمعاريض كذبا لما شابهت صورتُها صورتَه (٦٥) فَرَجَعُوا
اِلٰى اَنْفُسِهِمْ وراجعوا عقولهم فَقَالُوا فقال بعضهم لبعض اِنَّكُمْ اَنْتُمُ الظَّالِمُونَ بهذا السؤال او بعبادة ما
لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع لا من ظلّمتموه بقولكم انّه لمن الظالمين (٦٦) ثُمَّ نُكِسُوا عَلٰى رُءُوسِهِمْ انقلبوا
الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبّه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشىء مستعليا على اعلاه
وقرئ نُكِّسُوا بالتشديد ونَكَسُوا اى نكسوا انفسهم لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ فكيف تأمرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول (٦٧) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
انكارٌ لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانّها جمادات لا تنفع ولا تضرّ فانّه ينافى الالوهيّة اُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللّٰهِ تضجّرٌ منه على اصرارهم بالباطل البيّن وأُفّ صوت المتضجّر ومعناه قبحا ونتنا واللام
لبيان المتأفّف له اَفَلَا تَعْقِلُونَ قبح صنيعكم (٦٨) قَالُوا اخذا فى المضارّة لما عجزوا عن المحاجّة حَرِّقُوهُ
فانّ النار اهول ما يعاقب به وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ بالانتقام لها اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ان كنتم ناصرين لها نصرا

جزء ١٧ منزورا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون فخسف به الارض وقيل نمرود (٦٩) قُلْنَا يَا نَارُ
ركوع ٥ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضارّ وفيه مبالغات جعل النار المسخّرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثمّ حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلّمنا سلاما عليه روى انّهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثمّ وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال امّا اليك فلا فقال فسَلْ ربّك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الّا وثاقه فاطّلع عليه نمرود من الصرح فقال انّى مقرّب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكفّ عن ابرهيم وكان اذذاك ابن ستّ عشرة وانقلاب النار هواء طيّبا ليس ببدع غير انّه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنّه سبحانه دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله على ابرهيم (٧٠) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا مكرا فى اضراره فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ اخسر من كلّ خاسر لمّا عاد سعيهم برهانا قاطعا على انّهم على الباطل وابرهيم على الحقّ وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشدّ العذاب (٧١) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ اى من العراق الى الشأم وبركاته العامّة انّ اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادئ الكمالات والخيرات الدينيّة والدنيويّة وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انّه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (٧٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً عطيّة فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختصّ بيعقوب ولا بأس به للقرينة وَكُلًّا يعنى الاربعة جَعَلْنَا صَالِحِينَ بأن وفّقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (٧٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يقتدى بهم يَهْدُونَ الناس الى الحقّ بِأَمْرِنَا لهم بذلك وارسالنا ايّاهم حتّى صاروا مكمّلين وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ليحثّوهم عليها فيتمّ كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله أن تفعل الخيرات ثمّ فعلا الخيرات ثمّ فعل الخيرات وكذلك قوله وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وهو من عطف الخاصّ على العامّ للتفصيل ، وحذفت تاء الاقامة المعوّضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ موحّدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدّم الصلة (٧٤) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا حكمة او نبوّة او فصلا بين الخصوم وَعِلْمًا بما ينبغى علمه للانبياء وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ قرية سذوم الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ يعنى اللواط وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدلّ عليه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ فانّه كالتعليل له (٧٥) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا فى اهل رحمتنا او جنّتنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الذين سبقت لهم منّا الحسنى
ركوع ٦ (٧٦) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ اذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك مِنْ قَبْلُ من قبل المذكورين فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

جزء ١٧ ركوع ٦

دعاءه فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ من الطوفان او اذى قومه والكرب الغمّ الشديد (٧٧) وَنَصَرْنَاهُ مطاوع انتصر اى جعلناه منتصرا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ لاجتماع الامرين تكذيب الحقّ والانهماك فى الشرّ ولعلّهما لم يجتمعا فى قوم الّا واهلكهم اللّه تعالى (٧٨) وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ فى الزرع وقيل فى كرم تدلّت عناقيده إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ رعته ليلا وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ لحكم الحاكمَيْن والمتحاكمَيْن عالمين (٧٩) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فَأَفْهَمْنَاهَا روى انّ داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غيرُ هذا أَرفقُ بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وشعورها والحرثِ الى ارباب الغنم يقومون عليه حتّى يعود الى ما كان ثمّ يترادّان ولعلّهما قالا اجتهادا والاوّل نظيرُ قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعىّ بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمُه فى شرعنا عند الشافعىّ وجوبُ ضمان المُتْلَف بالليل اذ المعتاد ضبط الدوابّ ليلا وهكذا قضى النبىّ صلعم لمّا دخلت ناقة البَراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظُها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الّا ان يكون معها حافظ لقوله صلعم جَرْحُ العجماء جُبارٌ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا دليل على انّ خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على انّ كلّ مجتهد مُصيبٌ وهو مخالف لمفهوم قوله ففهّمناها ولولا النقلُ لاحتمل توافقهما على انّ قوله ففهّمناها لاظهار ما تفضّل عليه فى صغره وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ يقدّسن اللّه معه امّا بلسان الحال او بصوت يتمثّل له او بخلق اللّه تعالى فيها الكلام وقيل يَسِرْنَ معه من السباحة وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ، ومَعَ متعلّقة بسخّرنا او بيسبّحن وَٱلطَّيْرَ عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وَكُنَّا فَاعِلِينَ لامثاله فليس ببدع منّا وان كان عجبا عندكم (٨٠) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال • اِلْبَسْ لكلّ حالة لَبُوسَها • وقيل كانت صفائح فحلّقها وسردها لَكُمْ متعلّق بعلّم او صفة للبوس لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجارّ والضمير لداود او للبوس وفى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة ابى بكر ورُوَيْس بالنون للّه عزّ وجلّ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ذلك امرٌ اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (٨١) وَلِسُلَيْمَانَ وسخّرنا له ولعلّ اللام فيه دون الاوّل لانّ الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاوّل امرٌ يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً شديدة الهبوب من حيث انّها تبعد بكرسيّه فى مدّة يسيرة كما قال تعالى غدوّها شهرٌ ورواحها شهرٌ وكانت رُخاء فى نفسها طيّبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تَجْرِي بِأَمْرِهِ بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

جزء ١٧ الى الشام رواحة بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ركوع ٦ (٨٢) ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم (٨٣) وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وأنت أرحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه باستهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخير بنت ميشا ابن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي (٨٤) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه أهله ومثلهم معهم بأن ولد له ضعف ما كان او أحيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (٨٥) وإسمعيل وإدريس وذا الكفل يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكرياء سمى به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل امته او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب (٨٦) وأدخلناهم في رحمتنا يعنى النبوة او نعمة الآخرة إنهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم
٦ معصوم عن كدر الفساد (٨٧) وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل أن لا اله

الّا أنّتحد بالله لا اله الّا انت سُبْحَانَكَ ان يُعجزك شىء إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة جزء ١٧
عن النبىّ صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الّا استجيب له (٨٨) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ركوع ٦
بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايّام ، والغمّ غمّ الالتقام وقيل
غمّ الخطيئة وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص ، وفى الامام نجى ولذلك
اخفى الجماعة النون الثانية فانّها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على انّ
اصله نُنَجِّي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية فى تَظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها
اوقع من حذف حرف المضارعة الّتى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فانّ الداعى الى
الحذف اجتماعُ المِثْلَيْن مع تعذّر الادغام وامتناعُ الحذف فى تتجافى لخَوْف اللَّبْس وقيل هو ماض مجهول
أُسْنِد الى ضمير المصدر وسُكّن آخره تخفيفا ورُدّ بانّه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكورٌ والماضى لا
يسكّن آخره (٨٩) وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وحيدا بلا ولد يرثنى وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ
فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به (٩٠) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ اى اصلحناها
للولادة بعد عقرها او لزكريّاء بتحسين خُلقها وكانت حَرِدَةً إِنَّهُمْ يعنى المتوالدين او المذكورين
من الانبياء كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ يبادرون الى ابواب الخير وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ذوى رغب ورهب
او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين العقابَ او المعصيةَ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ
مُخْبِتين او دائمين الوجل والمعنى انّهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال (٩١) وَٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
من الحلال والحرام يعنى مريم فَنَفَخْنَا فِيهَا فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ
مِنْ رُوحِنَا من الروح الّذى هو بأمرنا وَحْدَه او من جهة روحنا جبريل وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا اى قصّتهما
او حالهما ولذلك وحّد قوله آيَةً لِلْعَالَمِينَ فانّ من تأمّل حالهما تحقّق كمال قدرة الصانع تعالى
(٩٢) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ انّ ملّة التوحيد والاسلام ملّتكم الّتى يجب عليكم ان تكونوا عليها أُمَّةً وَاحِدَةً
غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحّة الاتباع وقرئ أُمَّتَكُمْ بالنصب على البدل
وأُمّةٌ بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انّهما خبران وَأَنَا رَبُّكُمْ لا اله لكم غيرى فَٱعْبُدُونِ لا غير
(٩٣) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الّذين تفرّقوا فى الدين وجعلوا امره
قطعا موزّعة بينهم تقبيحا فعلهم الى غيرهم كُلٌّ من الفِرَق المتحزّبة إِلَيْنَا رَاجِعُونَ فنجازيهم (٩٤) فَمَنْ يَعْمَلْ ركوع ٧
مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بالله ورسوله فَلَا كُفْرَانَ فلا تضييع لِسَعْيِهِ استعير لمنع الثواب كما استعير
الشكر لاعطائه ونُفى نَفْيَ الجنس للمبالغة وَإِنَّا لَهُ لسعيه كَاتِبُونَ مُثْبِتون فى صحيفة عمله لا يضيع
بوجه ما (٩٥) وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وممتنعٌ على اهلها غير متصوّر منهم وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائىّ وحِرْمٌ

ركوع ١٧ بكسر الحاء واسكان الراء ، وقرئ حَرَّمَ أَهْلَكْنَاهَا حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ
ركوع ٧ رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له سادّ

مسدّ خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانّهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرامٌ خبرُ محذوف اى وحرامٌ عليها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدّمة ويؤيّده القراءة بالكسر وقيل حرام عزمٌ وموجَبٌ عليهم انّهم لا يرجعون (٩٦) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ متعلّق بحرام او بمحذوف دلّ الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمرّ الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سدّ ياجوج وماجوج وهى حتّى التى تُحْكى الكلام بعدها والمحكىّ هى الجملة الشرطيّة ، وقرأ ابن عامر ويعقوب فُتِّحَتْ بالتشديد وَهُمْ يعنى ياجوج وماجوج . او الناس كلّهم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ نشز من الارض وقرئ جَدَثٍ وهو القبر يَنْسِلُونَ يُسْرعون من نسلان الذئب وقرئ بضمّ السين (٩٧) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ وهو القيامة فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسُدّ مسدّ الفاء الجزائيّة كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكّد ، والضمير للقصّة او مبهمٌ يفسّره الابصار يَا وَيْلَنَا مقدّر بالقول واقعٌ موقع الحال من الموصول قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا لم نعلم انّه حقّ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر (٩٨) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يحتمل الاوثان وابليس وأعوانه لانّهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انّه عم لمّا تلا الآية على المشركين قال له ابن الزِبَعْرى قد خصمتك وربِّ الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مُلَيْح عبدوا الملائكة فقال عم بل هم عبدوا الشياطين التى امرتْهم بذلك فانزل اللّه تعالى انّ الّذين سبقتْ لهم منّا الحسنى الآية وعلى هذا يعمّ الخطاب ويكون مَا مأوّلا بمَنْ او بما يعمّه ويدلّ عليه ما روى انّ ابن الزِبَعْرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصّة او لكلّ مَنْ عُبد من دون اللّه فقال عم بل لكلّ مَنْ عُبد من دون اللّه ويكون قوله انّ الّذين بيانا للتجوّز او التخصيص تأخّر عن الخطاب حَصَبُ جَهَنَّمَ ما يُرْمَى به اليها وتهيّج به من حَصَبَه يَحْصِبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ استيناف او بدل من حصب جهنّم ، واللام معوّضة من عَلَى للاختصاص والدلالة على انّ ورودهم لاجلها (٩٩) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا لانّ المؤاخَذ بالعذاب لا يكون الها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لا خلاص لهم عنها (١٠٠) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ انين وتنفّس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكلّ للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ من الهول وشدّة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرّهم (١٠١) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنّة أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لانّهم يرفعون الى اعلى علّيّين روى انّ عليّا رضه خطب وقرأ هذه الآية ثمّ

قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم جزء ١٧ اقيمت الصلوة فقام يجرّ رداءه ويقول (١٠٢) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وهو بدل من مبعدون او حال من ركوع ٧ ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها ، والحسيس صوت يُحَسّ به وَهُمْ فِيمَا ٱشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ دائمون فى غاية التنعّم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (١٠٣) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويومَ ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض .او الانصراف الى النار او حين يُطْبَق على النار او يُذْبَح الموت وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ تستقبلهم مهنّئين هَٰذَا يَوْمُكُمُ يوم ثوابكم وهو مقدّر بالقول ٱلَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فى الدنيا (١٠٤) يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ مقدّر باذكرْ او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حالٌ مقدّرة من العائد المحذوف من توعدون ، والطىّ ضدّ النشر او المحو من قولك اطْوِ عنّى هذا الحديث وذلك لانّها نشرت مظلّة لبنى آدم فاذا انتقلوا قُوِّضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ طيًّا كطىّ الطومار لاجل الكتابة او لما يُكتَبُ او كُتب فيه ويدلّ عليه قراءة حمزة والكسائىّ وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجلّ مَلَك يطوى كتب الاعمال اذا رُفعت اليه او كاتب كان لرسول اللّه صلعم وقرئ ٱلسِّجْلِ كالدَّلْو وٱلسُّجُلِّ كالعُتُلّ وهما لغتان فيه كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ اى نعيد ما خلقناه مبتدأً اعادة مثلَ بَدْئِنا ايّاه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبدّدة والمقصودُ بيان صحّة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتىّ المصحّح للمقدوريّة وتناولِ القدرة القديمة لهما على السواء ، وما كافّة او مصدريّة واوّلَ مفعول لبدأنا او لفعل يفسّره نعيده او موصولة والكاف متعلّقة بمحذوف يفسّره نعيده اى نعيد مثل الّذى بدأناه واوّلَ خلقٍ ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وَعْدًا مقدّر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانّه عدةٌ بالاعادة عَلَيْنَا اى علينا انجازه إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ذلك لا محالة (١٠٥) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ فى كتاب داود عم مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ أَنَّ ٱلْأَرْضَ ارض الجنّة او الارض المقدّسة يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ يعنى عامّة المؤمنين او الّذين كانوا يُستضعفون مشارقَ الارض ومغاربها او امّة محمّد صلعم (١٠٦) إِنَّ فِي هَٰذَا اى فيما ذُكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لَبَلَاغًا لكفايةً او لسببَ بلوغ الى البغية لِقَوْمٍ عَابِدِينَ همّهم العبادةُ دون العادة (١٠٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لانّ ما بُعثت به سببٌ لاسعادهم وموجبٌ لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفّار أَمْنُهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال (١٠٨) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ اى ما يوحى الىّ الّا انّه لا اله لكم الّا اله واحد وذلك لانّ المقصود الاصلىّ من بعثته مقصورٌ على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشىء والثانية على العكس فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مخلصون العبادة للّه تعالى على مقتضى الوحى المصدّق بالحجّة وقد عرفت انّ

جزء ١٧ التوحيد ممّا يصحّ إثباته بالسمع (١٠٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد فَقُلْ آذَنْتُكُمْ اعلمتكم ما أُمِرتُ به او
ركوع ٧ حربى لكم عَلَى سَوَآءٍ مستوين فى الاعلام به او مستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة
او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم أنّى على سواء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النيّر وَإِنْ أَدْرِي وما
ادرى أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ من غلبة المسلمين او الحشر لكنّه كائن لا محالة (١١٠) إِنَّهُ يَعْلَمُ
ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ من الإحن والأحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه (١١١) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وما ادرى لعلّ تأخير جزائكم استدراج لكم
وزيادة فى افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ وتمتيع الى اجل مقدّر تقتضيه مشيئته
(١١٢) قُلْ رَبِّ ٱحْكُمْ بِٱلْحَقِّ اقضِ بيننا وبين اهل مكّة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد
عليهم وقرأ حفص قَالَ على حكاية قول رسول اللّه صلعم وقرئ رَبُّ بالضمّ وربّى أَحْكَمُ على بناء التفضيل
وأَحْكَمَ من الإحكام وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمٰنُ كثير الرحمة على خلقه ٱلْمُسْتَعَانُ المطلوب منه المعونة عَلَى مَا تَصِفُونَ
من الحال بأنّ الشوكة تكون لهم وأنّ راية الاسلام تخفق ايّاما ثمّ تسكن وأنّ المُوعَد به لو كان حقّا
لنزل بهم فاجاب اللّه دعوة رسوله فخيّب أمانيّهم ونصر رسوله عليهم وقرئ بالياء ، وعن النبىّ صلعم من
قرأ اقترب حاسبه اللّه حسابا يسيرا وصافحه وسلّم عليه كلّ نبىّ ذُكر اسمه فى القرآن •

سُورَةُ ٱلْحَجِّ

مكيّة الّا ستّ آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٨ (١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ تحريكها للاشياء على الاسناد المجازىّ او تحريك الاشياء
فيها فاضيفت اليها اضافةً معنويّةً بتقدير فى او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به
وقيل هى زلزلة تكون قُبَيْل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانّها من أشراطها شَيْءٌ عَظِيمٌ
هائل علّل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوّروها بعقولهم ويعلموا انّه لا يؤمنهم منها سوى التدرّع
بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتّقوها بملازمة التقوى (٢) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويومَ منتصب بتذهل وقرئ تُذْهَلُ وتُذْهِلُ مجهولا ومعروفا اى تذهلها
الزلزلة والذهولُ الذهاب عن الامر بدهشة والمقصودُ الدلالةُ على انّ هولها بحيث اذا دهشت التى
القمت الرضيعَ ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه ، وما موصولة او مصدريّة وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
جنينها وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى كأنّهم سكارى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى على الحقيقة وَلٰكِنَّ عَذَابَ ٱللّٰهِ شَدِيدٌ

فلا فهم عقولهم بحيث طيّر عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ تُرى من أُرِيتك قائما او رُوّيتَ قائما بنصب جزء ١٧
الناس ورفعه على انّه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لانّ الزلزلة يراها ركوع ٨
الجميع واثر السكر انّما يراه كلّ احد على غيره وقرأ حمزة والكسائىّ سَكْرَى كعطشى اجراءً للسكر مجرى
العلل (٣) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول
الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى تعمّه واضرابه وَيَتَّبِعُ فى المجادلة او
فى عامّة احواله كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ متجرّد للفساد واصله العرى (٤) كُتِبَ عَلَيْهِ على الشيطان أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ
تبعه والضمير للشأن فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ خبر لمَنْ او جواب له والمعنى كُتب عليه اضلالُ من يتولاه لانّه
جُبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انّه يضلّه لا على العطف فانّه يكون بعد تمام الكلام وقرئ
بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ
بالحمل على ما يؤدّى اليه (٥) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ من امكانه وكونه مقدورا
وقرئ مِنَ ٱلْبَعَثِ بالتحريك كالجلب فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ اى فانظروا فى بدء خلقكم فانّه يزيح ريبكم فانّا
خلقناكم مِنْ تُرَابٍ بخلق آدم منه او الاغذية التى يتكوّن منها المنىّ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ منىّ من النطف
وهو الصبّ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ قطعة من الدم جامدة ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدرُ ما
يُمضغ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة او تامّة وساقطة او مصوّرة وغير
مصوّرة لِنُبَيِّنَ لَكُمْ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وانّ ما قبِلَ التغيّر والفساد والتكوّن مرّة قبِلها اخرى
وانّ من قدر على تغييره وتصويره اوّلا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى انّ افعاله هذه يتبيّن
بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ أَنْ نُقِرَّهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى
هو وقت الوضع وادناه ستّة اشهر واقصاه اربع سنين وقرئ وَنُقِرَّ بالنصب وكذا قوله ثُمَّ نُخْرِجَكُمْ طِفْلًا
عطفا على نُبَيِّنَ كانّ خلقهم مدرّجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتّى يولدوا وينشؤا
ويبلغوا حدّ التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويَقِرُّ بالياء ونَقُرُّ من قررتُ الماء اذا صببته، وطفلا حال
أُجريت على تأويل كلّ واحد او للدلالة على الجنس او لانّه فى الاصل مصدر ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ
كمالكم فى القوّة والعقل جمع شِدّة كالأَنعُم جمع نِعمة كانّها شدّة فى الامور وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ عند بلوغ
الاشدّ او قبله وقرئ يَتَوفّى اى يتوفّاه الله وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ الهرم والخرف وقرئ بسكون
الميم لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل
وقلّة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه، والآية استدلال ثانٍ على امكان البعث بما يعترى

جزء ١٧ الانسان فى استقاله من الامور المختلفة والاحوال المتضادّة فانّ من قدر على ذلك قدر على نظائره وَتَرَى
ركوع ٨ ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ تحرّكت
بالنبات وَرَبَتْ وانتفخت وقرئ وربأت اى ارتفعت وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ من كل صنف بَهِيجٍ حسن
رائق، وهذه دلالة ثالثة كرّرها الله فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (٦) ذَٰلِكَ اشارة الى ما ذكر من
خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادّة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره
بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ اى بسبب انّه الثابت فى نفسه الّذى به تتحقّق الاشياء وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وانّه
يقدر على احيائها والّا لما احيى النطفة والارض الميتة وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لانّ قدرته لذاته الّذى
نسبته الى الكلّ على سواء فلما دلّت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء
كلّها (٧) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا فانّ التغيّر من مقدّمات الانصرام وطلائعه وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن
فِى ٱلْقُبُورِ بمقتضى وعده الّذى لا يقبل الخُلْف (٨) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ تكرير
للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ على انّه لا سَنَد له من استدلال او وحى
او الاوّل فى المقلّدين وهذا فى المقلّدين، والمراد بالعلم الفطرىّ ليصحّ عطف الهدى والكتاب عليه
(٩) ثَانِىَ عِطْفِهِۦ متكبّرا وثَنْى العطف كناية عن التكبّر كلّى الجيد او معرضا عن الحقّ استخفافا به
وقرئ بفتح العين اى مانع تعطّفه لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ علّة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس
بفتح الياء على انّ اعراضه عن الهدى المتمكّن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروجٌ من الهدى الى
الضلال وانّه من حيث مؤدّاه كالغرض له لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وهو ما اصابه يوم بدر وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ المُحْرِق وهو النار (١٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ على الالتفات او ارادة القول اى يقال له
يومَ القيامة ذلك الخزىُ والتعذيبُ بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ
ركوع ٩ وانّما هو مُجازٍ لهم على اعمالهم، والمبالغة لكثرة العبيد (١١) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ
على طَرَف من الدين لا ثبات له فيه كالّذى يكون على طرف الجيش فانْ احسّ بظفر قرّ والّا فرّ
فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ روى انّها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة
فكان احدهم اذا صحّ بدنه ونُتجت فرسه مُهرا سريّا وولدت امرأته غلاما سويّا وكثُر ماله وماشيته
قال ما اصبتُ منذ دخلت فى دينى هذا الّا خيرا واطمأنّ وان كان الامرُ بخلافه قال ما اصبتُ الّا شرّا
وانقلب وعن ابى سعيد انّ يهوديّا اسلم فأصابته مصايب فتشأّم بالاسلام فأتى النبىّ صلعم فقال
أَقِلْنى فقال انّ الاسلام لا يُقال فنزلت خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ
خَاسِرًا بالنصب على الحال والرفع على الفاعليّة ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على

انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله (١٢) يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا جزء ١٧
ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ركوع ٩
ابعد في التيه ضالا (١٣) يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة
اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى ، واللام معلقة ليدعو من
حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول
اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن
مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب (١٤) ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب
المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع (١٥) من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه
اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه
وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او
جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من
قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم
ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل
يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي
يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطئوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على
المشركين (١٦) وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي
ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او اثباته انزله كذلك مبينا (١٧) ان
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيامة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله
المحل المعد له ، وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد ان الله على كل شيء
شهيد عالم به مراقب لاحواله (١٨) الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر
لقدرته ولا يتأتى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ، ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم
على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها ، وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين
وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده

جزء ١٧ باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم
ركوع ٩ او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اى ويسجد له
كثير من الناس سجود طاعة وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل
وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام
موصوفا بما بعده ، وقرئ حُقَّ بالضم وحقًّا باضمار فعله (١٩) وَمَنْ يُهِنِ ٱللَّهُ بالشقاوة فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ من الاكرام والاهانة (٢٠) هَٰذَانِ
خَصْمَانِ اى فوجان مختصمان ولذلك قال ٱخْتَصَمُوا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما
المؤمنون والكافرون فِي رَبِّهِمْ فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال
اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا
بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت
فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى إِنَّ ٱللَّهَ يفصل بينهم يوم القيمة قُطِّعَتْ لَهُمْ
قدرت لهم على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ نيران تحيط بهم احاطة الثياب يُصَبُّ
مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ حال من الضمير فى لهم او خبر ثان ، والحميم الماء الحار (٢١) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي
بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فتذاب به احشاؤهم كما تذاب
به جلودهم ، والجملة حال من الحميم او من ضميرهم ، وقرئ بالتشديد للتكثير وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ
سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف (٢٢) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
من النار مِنْ غَمٍّ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار أُعِيدُوا فِيهَا اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا
تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها
ركوع ١٠ وَذُوقُوا اى وقيل لهم ذوقوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ النار البالغة فى الاحراق (٢٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده
بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يُحَلَّوْنَ فِيهَا من حليت المرأة اذا لبست الحلي وقرئ
بالتخفيف والمعنى واحد مِنْ أَسَاوِرَ صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار مِنْ ذَهَبٍ
بيان له وَلُؤْلُؤًا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ، ونصبه نافع
وعاصم عطفا على محلها او اضمارا لناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة
الاولى وروى حفص بهمزتين وقرئ لُولُوًا بقلب الثانية واوا ولُولِيًا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء
ولِيلِيًا بقلبهما ياءين ولُؤْلٍ كأَدْلٍ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير

ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة التواصل (٢٤) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وهو قولهم الحمد لله جزء ١٧
الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او ركوع ١٠
الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الاسلام (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع
ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر إن محذوف دل عليه آخر الآية
اى معذبون وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عطف على اسم الله اوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الَّذِي جَعَلْنَاهُ
لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ اى المقيم والطارى على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع
ضعفه معارض بقوله تعالى الَّذِينَ أُخْرِجُوا من ديارهم وشرى عمر رضه دار السجن فيها من غير نكير،
وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه
ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ الْعَاكِفِ بالجر على انه بدل من الناس
(٢٦) وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بِإِلْحَادٍ عدول عن
القصد بِظُلْمٍ بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اى
ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ جواب لمن (٢٧) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ ركوع ١١
مَكَانَ الْبَيْتِ اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه
قيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه
على اسه القديم أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ أن مفسرة
لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهى
اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر
عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت،
وقرئ يُشْرِكْ بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بَيْتِيَ بفتح الياء (٢٨) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ ناد فيهم وقرئ
وآذن بِالْحَجِّ بدعوة الحج والامر به روى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم
فاسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه ان يحج
وقيل الخطاب لرسول الله صلعم أمر بذلك فى حجة الوداع يَأْتُوكَ رِجَالًا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ اى وركبانا على كل بعير مهزول
اتعبه بعد السفر فهزله يَأْتِينَ صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او
استيناف فيكون الضمير للناس مِنْ كُلِّ فَجٍّ طريق عَمِيقٍ بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق

حزب ١٧ والمعتق بمعنى (٢٩) لِيَشْهَدُوا ليحضروا مَنَافِعَ لَهُمْ دينية ودنيوية وتنكيرها لانّ المراد بها نوع من المنافع
ركوع ١١ مخصوص بهذه العبادة وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر
عن النحر لانّ ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انّه المقصود ممّا يتقرّب به الى الله تعالى فِي أَيَّامٍ
مَعْلُومَاتٍ هي عشر ذي الحجّة وقيل ايّام النحر عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ علّق الفعل بالمرزوق
وبيّنه بالبهيمة تحريضا على التقرّب وتنبيها على مقتضى الذكر فَكُلُوا مِنْهَا من لحومها امر بذلك اباحة
وازاحة لما عليه اهل الجاهليّة من التحرّج فيه او ندبًا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوّع
به دون الواجب وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الَّذِي اصابه بؤس اي شدّة الْفَقِيرَ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد
قيل به في الاوّل (٣٠) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ثمّ ليزيلوا وسخهم بقصّ الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ما ينذرون من البرّ في حجّهم وقيل مواجب الحجّ وقرأ ابو بكر بفتح
الواو وتشديد الفاء وَلْيَطَّوَّفُوا طواف الركن الّذي به تمام التحلّل فانّه قرينة قضاء التفث وقيل
طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ القديم لانّه اوّل بيت وضع
للناس او المعتق من تسلّط الجبابرة فكم من جبّار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وامّا الحجّاج فانّما
قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلّط عليه (٣١) ذَلِكَ خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله تطلق
للفصل بين كلامين وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ احكامه وسائر ما لا يحلّ هتكه او الحرم وما يتعلّق بالحجّ
من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فالتعظيم
خير له عِنْدَ رَبِّهِ ثوابا وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ الّا المتلوّ عليكم تحريمه وهو ما حرّم
منها لعارض كالميتة وما أهلّ به لغير الله فلا تحرّموا منها غير ما حرّمه الله كالبحيرة والسائبة
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ الرجس الّذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في
النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ تعميم بعد تخصيص فانّ عبادة الاوثان
رأس الزور كانّه لمّا حثّ على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردًّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر
والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانّه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انّه عم قال
عَدَلَتْ شهادةُ الزور الاشراكَ بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزَّوْر وهو الانحراف كما انّ الإفك من
الأفك وهو الصرف فانّ الكذب منحرف مصروف عن الواقع (٣٢) حُنَفَاءَ لِلَّهِ مخلصين له غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
وهما حالان من الواو وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ لانّه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر
فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ فانّ الاهواء المردية توزّع افكاره وقرأ نافع وحده فَتَخَطَّفُهُ بفتح الخاء وتشديد الطاء
أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ بعيد فانّ الشيطان قد طوّح به في الضلالة ، وأو للتخيير كما
في قوله او كصيّب او للتنويع فانّ من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة

لكن على نفسه ويجوز ان يكون من التشبيهات المركّبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلكت جزء ١٧
نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين (٣٣) ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللّٰهِ دين الله او فرائض الحجّ ومواضع ركوع ١١
نسكه او الهدايا لانّها من معالم الحجّ وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا
غالية الاثمان روى انّه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل فى انفه بُرة من ذهب وانّ عمر رضه
اهدى نجيبة طُلبت منه بثلثمائة دينار فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ فانّ تعظيمها منه من افعال ذوى
تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى مَنْ ، وذكر القلوب لانّها منشأ التقوى والفجور او
الآمرة بهما (٣٤) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ اى لكم فيها منافع درّها
ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثمّ وقت نحرها منتهية الى البيت اى ما يليه من الحرم وثمّ
تحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة اى لكم فيها منافع دنيويّة الى وقت النحر وبعده منافع
دينيّة اعظم منها وهو على الاوّلين امّا متّصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها او المراد على الاوّل لكم
فيها منافع دينيّة تنتفعون بها الى اجل مسمّى هو الموت ثمّ محلّها منتهية الى البيت الّذى ترفع اليه
الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنّة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى
الاسواق الى وقت المراجعة ثمّ وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (٣٥) وَلِكُلِّ ركوع ١٢
أُمَّةٍ ولكلّ اهل دين جَعَلْنَا مَنْسَكًا متعبّدا او قربانا يتقرّبون به الى الله وقرأ حمزة والكسائىّ بالكسر
اى موضع نسك لِيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللّٰهِ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علّل الجعل به تنبيها على انّ
المقصود من المناسك تذكّر المعبود عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ عند ذبحها وفيه تنبيه على انّ
القربان يجب ان يكون نَعَمًا فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا اخلصوا التقرّب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك
وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ المتواضعين او المخلصين فانّ الاخبات صفتهم (٣٦) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
هيبة منه لاشراق اشعّة جلاله عليها وَٱلصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ من الكلف والمصائب وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلٰوةِ
فى اوقاتها وقرئ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلٰوةَ على الاصل وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى وجوه الخير (٣٧) وَٱلْبُدْنَ جمع
بَدَنة كخُشُب وخَشَبة وأصله الضمّ وقد قرئ به وانّما سمّيت به الابل لعظم بدنها مأخوذة من بَدُنَ
بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها فى إجزائها عن سبعة بقوله عم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة
تناولُ اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسّره جَعَلْنَاهَا لَكُمْ ومَنْ رفعه
جعله مبتدأ مِنْ شَعَائِرِ ٱللّٰهِ من اعلام دينه الّتى شرعها الله تعالى لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ منافع دينيّة ودنيويّة
فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللّٰهِ عَلَيْهَا بأن تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الّا الله والله اكبر اللّهمّ منك واليك صَوَافَّ
قائمات قد صففن ايديهنّ وارجلهنّ وقرئ صَوَافِنَ من صَفَنَ الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك
الرابعة لانّ البدنة تُعْقَل احدى يديها فتقوم على ثلاث وصَوَافِيًا بابدال التنوين من حرف الاطلاق

جزء ١٧ عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصوافن على لغة من يسكّن الياء مطلقا كقولهم أعط
ركوع ١٢ القوس باريها فَاِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ الراضى بما عنده وبما يُعطى من غير مسألة ويؤيّده انّه قرئ ٱلْقَنِعَ او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال وَٱلْمُعْتَرَّ والمتعرّض بالسؤال وقرئ وَٱلْمُعْتَرِى يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه كَذٰلِكَ مثل ما وصفنا من نحرها قياما سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ مع عظمها وقوّتها حتّى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافّة قوائمها ثمّ تطعنوا فى لبّاتها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ انعامنا عليكم بالتقرّب والاخلاص (٣٨) لَنْ يَنَالَ ٱللّٰهَ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لُحُومُهَا المتصدّق بها وَلَا دِمَاؤُهَا المهراقة بالنحر من حيث انّها لحوم ودماء وَلٰكِنْ يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَى مِنْكُمْ ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم الّتى تدعوكم الى تعظيم امر اللّه والتقرّب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهليّة اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى اللّه تعالى فهمّ به المسلمون فنزلت كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ كرّره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لِتُكَبِّرُوا ٱللّٰهَ اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحّدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح عَلَى مَا هَدَاكُمْ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفيّة التقرّب بها، ومَا تحتمل المصدريّة والخبريّة، وعَلَى متعلّقة بتكبّروا لتضمّنه معنى الشكر وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (٣٩) اِنَّ ٱللّٰهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيّون يُدَافِعُ اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه اِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
ركوع ١٣ خَوَّانٍ فى امانة اللّه كَفُورٍ لنعمته كمن يتقرّب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (٤٠) أُذِنَ رُخّص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائىّ على البناء للفاعل وهو اللّه لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للّذين يقاتلهم المشركون بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا بسبب انّهم ظلموا وهم اصحاب رسول اللّه صلعم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلّمون اليه فيقول لهم اصبروا فانّى لم أومر بالقتال حتّى هاجر فأنزلت وهى اوّل آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيّف وسبعين آية وَاِنَّ ٱللّٰهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفّار عنهم (٤١) ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يعنى مكّة بِغَيْرِ حَقٍّ بغير موجب استحقّوه به اِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللّٰهُ على طريقة قول النابغة

ولا عيبَ فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب

وقيل منقطع وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللّٰهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لَهُدِّمَتْ لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل، وقرئ دِفَاعُ وقرأ نافع وابن كثير لَهُدِمَتْ بالتخفيف صَوَامِعُ صوامع

الرهبانية وَبِيَعٌ وبيع النصارى وَصَلَوَاتٌ وكنائس اليهود سمّيت بها لانّها يصلّى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعرّبت جزء ١٧
وَمَسَاجِدُ ومساجد المسلمين يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّٰهِ كَثِيرًا صفة للاربع او المساجد خُصّت بها تفضيلا ركوع ١٣
وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ من ينصر دينه وقد انجز وعده بأن سلّط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم إِنَّ ٱللّٰهَ لَقَوِيٌّ على نصرهم عَزِيزٌ لا يمانعه شيء (٤٢) ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلٰوةَ وَآتَوُا ٱلزَّكٰوةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وصفٌ للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحّة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من مَنْ ينصره وَلِلّٰهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ فانّ مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده (٤٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ تسلية له عم بانّ قومه ان كذّبوه فهو ليس بأوحدي في التكذيب فانّ هؤلاء قد كذّبوا رسلهم قبل قومه وَكُذِّبَ مُوسَى غيّر فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لانّ قومه بنو اسرائيل ولم يكذّبوه وانّما كذّبه القبط ولانّ تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ فأمهلتهم حتّى انصرمت آجالهم المقدّرة ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ انكاري عليهم بتغيير النعمة محنةً والحيوة هلاكا والعمارة خرابا (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا باهلاك اهلها وقرأ البصريّان بغير لفظ التعظيم وَهِيَ ظَالِمَةٌ اى اهلها فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ساقطةٌ حيطانها على سقوفها بأن تعطّل بنيانها فخرّت سقوفها ثمّ تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خاليةٌ مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجارّ متعلّقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هي خالية وهي على عروشها اى مُطِلّة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مُشْرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانّها حال والاهلاك ليس حالَ خَواتها فلا محلّ لها إن نصبْتَ كأيّن بمقدّر يفسّره اهلكناها وان رفعتَه بالابتداء فمحلّها الرفع وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ عطف على قرية اى وكم بئر عامرة في البوادي تُركت لا يُسْتقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطّله وَقَصْرٍ مَشِيدٍ مرفوع او مجصّص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوّي انّ معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئرٌ في سَفْح جبل بحَضْرَمَوْت وبقصر قصرٌ مشرفٌ على قُلّته كانا لقوم حَنْظَلة بن صَفْوان من بقايا قوم صالح فلمّا قتلوه اهلكهم اللّه وعطّلهما (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ حثّ لهم على ان يسافروا ليروا مَصارع المُهْلَكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ما يجب ان يُعْقَل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ما يجب ان يُسْمَع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فَإِنَّهَا الضمير للقصّة او مُبْهَمٌ يفسّره الأبصار وفي تعمى راجعٌ اليه والظاهر اقيم مقامه لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ عن الاعتبار اى ليس الخلل في مَشاعرهم وانّما

جزء ١٧ ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوّز وفضل التنبيه
ركوع ١٣ على انّ العمى الحقيقى ليس المتعارف الّذى يخصّ البصر قيل لمّا نزل ومن كان فى هذه اعمى قال ابن
امّ مكتوم يا رسول اللّه انا فى الدنيا اعمى افأكون فى الآخرة اعمى فنزلت (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
المتوعّد به وَلَنْ يُخْلِفَ ٱللّٰهُ وَعْدَهُ لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنّه
سبحانه صبور لا يعجل بالعقوبة وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ بيان لتناهى صبره وتأنّيه
حتّى يستقصر المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايّامه حقيقة او من حيث انّ ايّام الشدائد
مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ وكم من اهل قرية فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانّما
عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لانّ الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ما تقدّمها من
الجملتين لبيان انّ المتوعّد به يحيق بهم لا محالة وانّ تاخيره لعادته تعالى أَمْلَيْتُ لَهَا كما امهلتكم
ركوع ١٤ وَهِيَ ظَالِمَةٌ مثلكم ثُمَّ أَخَذْتُهَا بالعذاب وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ والى حكمى مرجع الجميع (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر
الفريقين لانّ صدر الكلام ومساقه للمشركين وانّما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم
(٤٩) فَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لما بدر منهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ هى الجنّة والكريم من كلّ نوع
ما يجمع فضائله (٥٠) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا بالردّ والابطال مُعَاجِزِينَ مسابقين مشاقّين للساعين فيها
بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لانّ كلّا من المتسابقين يطلب اعجاز
الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو مُعَجِّزِينَ على انّه حال مقدّرة أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ
النار الموقدة وقيل اسم دركة (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الرسول من بعثه اللّه بشريعة
مجدّدة يدعو الناس اليها والنبىّ يعمّه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الّذين كانوا
بين موسى وعيسى ولذلك شبّه النبىّ صلعم علماء امّته بهم فالنبىّ اعمّ من الرسول ويدلّ عليه انّه عم
سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جمّا
غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبىّ غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبىّ يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ زوّر فى نفسه ما يهواه
أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فى تشهّيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانّه ليغان على قلبى فأستغفر
اللّه فى اليوم سبعين مرّة فَيَنْسَخُ ٱللّٰهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه
والارشاد الى ما يزيحه ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللّٰهُ آيَاتِهِ ثمّ يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ
باحوال الناس حَكِيمٌ فيما يفعله بهم قيل حدّث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنّى لحرصه على

جزء ١٧ ركوع ١٤

لعماين قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلمّا بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتّى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العُلى وانّ شفاعتهنّ لتُرتجى ففرح به المشركون حتّى شايعوه بالسجود لمّا سجد فى آخرها بحيث لم يبْق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الّا سجد ثمّ نبّهه جبريل فاغتمّ به فعزّاه اللّه بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صحّ فابتلاء يتميّز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنّى قرأ كقوله

تمنّى كتابَ اللّه اوّل ليله تمنّىَ داودَ الزبورَ على رِسْلِ

وامنيّته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلّم بذلك رافعا صوته بحيث ظنّ السامعون انّه من قراءة النبى وقد رُدّ بانّه ايضا يُخلّ بالوثوق بالقران ولا يندفع بقوله فينسخ اللّه ما يلقى الشيطان ثمّ يحكم اللّه آياته لانّه ايضا يحتمله والآية تدلّ على جواز السهو على الانبياء وتطرّق الوسوسة اليهم (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ علّة لتمكين الشيطان منه وذلك يدلّ على انّ المُلْقى امرٌ ظاهرٌ عرفه المُحِقّ والمُبْطِلُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شكّ ونفاق وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ المشركين وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ عن الحقّ او عن الرسول والمؤمنين (٥٣) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ انّ القران هو الحقّ النازل من عند اللّه او تمكينَ الشيطان من الالقاء هو الحقّ الصادر من اللّه لانّه ممّا جرت به عادته فى الانس من لدن آدم هم فَيُؤْمِنُوا بِهِ بالقران او باللّه فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ بالانقياد والخشية وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِي ٱلَّذِينَ آمَنُوا فيما اشكل إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحقّ فيه (٥٤) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ فى شكّ مِنْهُ من القران او الرسول او ممّا القى الشيطان فى امنيّته يقولون ما باله ذكرها بخير ثمّ ارتدّ عنها حَتَّى تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ القيامة او اشراطها او الموت بَغْتَةً فجاءة أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ يوم حرب يُقتلون فيه كيوم بدر سُمّى به لانّ اولاد النساء يُقتلون فيه فيصِرْن كالعُقم او لانّ المقاتلين ابناء الحرب فاذا قُتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتّساعا او لانّه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تُنشئ مطرا ولم تُلقح شجرا او لانّه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على أنّ المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل (٥٥) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ التنوين فيه ينوب عن الجملة الّتى دلّت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بالمجازاة والضمير يعمّ المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٦) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاوّل تنبيه على انّ اثابة المؤمنين بالجنّات تفضّل من اللّه تعالى وانّ عقاب الكافرين مسبّب عن اعمالهم فلذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب

جزء ١٧ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا في الجهاد أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا الجنّة ونعيمها

ركوع ١٥ وانّما سوّى بين من قُتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل. روى ان بعض الصحابة قالوا يا نبيّ الله هؤلاء الذين قُتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ فانّه يرزق بغير حساب (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ هو الجنّة فيها ما يحبّونه وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ باحوالهم واحوال معاديهم حَلِيمٌ لا يعاجل في العقوبة (٥٩) ذَٰلِكَ الامر ذلك وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ولم يزد في الاقتصاص وانّما سمّي الابتداء بالعقاب الّذي هو الجزاء للازدواج او لانّه سببه ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ بالمعاودة الى العقوبة لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ لا محالة إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ للمنتصر حيث اتّبع هواه في الانتقام واعرض عمّا ندب الله اليه بقوله وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ وفيه تعريض بالحثّ على العفو والمغفرة فانّه سبحانه وتعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لمّا كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيهٌ على انّه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الّا القادر على ضدّه (٦٠) ذَٰلِكَ اى ذلك النصر بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ بسبب انّ الله تعالى قادر على تغليب الامور بعضها على بعض جارٍ عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوَين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطّلاعها وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ يسمع قول المعاقب والمعاقَب بَصِيرٌ يرى افعالهما فلا يهملهما (٦١) ذَٰلِكَ الوصف بكمال القدرة والعلم بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فانّ وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأً لكلّ ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهيّة ولا يصلح لها الّا من كان قادرا عالما وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانّه في معنى الآلهة هُوَ ٱلْبَاطِلُ المعدوم في حدّ ذاته او باطل الالوهيّة وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ على الاشياء ٱلْكَبِيرُ عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا

(٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً استفهام تقرير ولذلك رفع فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدلّ على نفي الاخضرار كما في قولك ألم تر انّي جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانّما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ يصل علمه او لطفه الى كلّ ما جلّ ودقّ خَبِيرٌ بالتدابير الظاهرة والباطنة (٦٣) لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ في ذاته عن كلّ شيء ٱلْحَمِيدُ المستوجب للحمد بصفاته وافعاله

ركوع ١٦ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جعلها مذلّلة لكم معدّة لمنافعكم وَٱلْفُلْكَ عطف على ما او

جزء ١٧ على اسم أنّ وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بأمره حال منها او خبر ويمسك السّماء أن تقع
ركوع ١٩ على الأرض من ان تقع او كراهة ان تقع بأن خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك إلّا بإذنه إلّا
بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه ردّ لاستمساكها بذاتها فانّها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية
فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها إنّ اللّه بالنّاس لرءوف رحيم حيث هيّأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضارّ (٦٥) وهو الّذي أحياكم بعد ان كنتم جمادا
عناصر ونطفا ثمّ يميتكم اذا جاء اجلكم ثمّ يحييكم في الآخرة إنّ الانسان لكفور لجحود للنعم مع
ظهورها (٦٦) لكلّ أمّة اهل دين جعلنا منسكا متعبّدا او شريعة تعبّدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه
ينسكونه فلا ينازعنّك سائر ارباب الملل في الأمر في امر الدين او النسائك لأنّهم بين جهّال واهل عناد او
لأنّ امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من
المناظرة المؤدّية الى نزاعهم فانّها انّما تنفع طالب الحقّ وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا
يضاربنّك زيد وهذا انّما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفّار خزاعة قالوا للمسلمين ما
لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله اللّه وقرئ فلا ينزعنّك على تهييج الرسول والمبالغة في
تثبيته على دينه على انّه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربّك الى توحيده وعبادته انّك لعلى هدى
مستقيم طريق الى الحقّ سويّ (٦٧) وإن جادلوك وقد ظهر الحقّ ولزمت الحجّة فقل اللّه أعلم بما
تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (٦٨) اللّه يحكم بينكم
يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين (٦٩) ألم تعلم أنّ اللّه يعلم ما في السّماء والأرض فلا يخفى
عليه شيء إنّ ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمّنّك امرهم مع علمنا به وحفظنا له
إنّ ذلك انّ الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على اللّه يسير لأنّ علمه مقتضى ذاته المتعلّق
بكلّ المعلومات على سواء (٧٠) ويعبدون من دون اللّه ما لم ينزّل به سلطانا حجّة تدلّ على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظّالمين وما للّذين ارتكبوا مثل هذا
الظلم من نصير يقرّر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم (٧١) واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بيّنات
واضحات الدلالة على العقائد الحقّة والاحكام الالهيّة تعرف في وجوه الّذين كفروا المنكر الانكار لفرط
نكيرهم للحقّ وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الّذين

جزء ١٧ كفروا موضع الضمير او بما يقصدونه من الشرّ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون
ركوع ١٦ ويبطشون بهم قل أفأنبّئكم بشرّ من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم
من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اى هو النار كانّه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون
مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجرّ بدلا من شرّ فتكون
ركوع ١٧ الجملة استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار (٧٢) يا أيّها الناس ضرب مثل
بيّن لكم حال مستغربة او قصّة رائعة ولذلك سمّاها مثلا او جُعل لله مَثَل اى مِثْل فى استحقاق
العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبّر وتفكّر انّ الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام
وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيّا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاوّلين لن يخلقوا ذبابا
لا يقدرون على خلقه مع صغره لانّ لن بما فيها من تأكيد النفى دالّة على منافاة ما بين المنفىّ
والمنفىّ عنه · والذباب من الذبّ لانّه يُذَبّ وجمعه أذبّة وذبّان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدّر فى موضع
حال جيء بها للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهّلهم غاية التجهيل بأن اشركوا الها قدر على المقدورات
كلّها وتفرّد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيلَ هى اعجز الاشياء وبيّن ذلك بانّها لا تقدر على خلق اقلّ
الاحياء وأذلّها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقلّ الاذلّ وتعجز عن ذبّه عن نفسها
واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما
يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانّه يطلبه
ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حقّقت وجدت الصنم اضعف بدرجات (٧٣) ما قدروا الله حقّ قدره
ما عرفوه حقّ معرفته حيث اشركوا به وسمّوا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة انّ الله لقوىّ على
خلق الممكنات بأسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التى يعبدونها عاجزة عن اقلّها مقهورة من اذلّها
(٧٤) الله يصطفى من الملائكة رسلا يتوسّطون بينه وبين الانبياء بالوحى ومن الناس يدعون سائرهم
الى الحقّ ويبلّغون اليهم ما نزل عليهم كانّه لمّا قرّر وحدانيّته فى الالوهيّة ونفى ان يشاركه غيره فى
صفاتها بيّن انّ له عبادا مصطفين للرسالة يُتوسّل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تعالى وهو اعلى
المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوّة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الّا ليقرّبونا
الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك انّ الله سميع بصير مدرك للاشياء كلّها (٧٥) يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقّبها والى الله ترجع الامور واليه ترجع الامور كلّها لانّه مالكها

والخدمات لا يشغل عنّا بفعل من الافعال وغيره وهم يسألون (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا جزء ١٧
فى صلاتكم امرهم بهما لانّهم ما كانوا يفعلونهما اوّل الاسلام او صلّوا وعبّر عن الصلوة بهما لانّهما اعظم ركوع ١٧
اركانها او اخضعوا للّه وخرّوا له سجّدا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ بسائر ما تعبّدكم به وَافْعَلُوا الْخَيْرَ وتحرّوا ما
هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
اى افعلوا هذه كلّها وانتم راجون الفلاح غير متيقّنين له واثقين على اعمالكم ، والآية آية سجدة عندنا
لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
(٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ اى للّه ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس
وعنه عم انّه رجع من غزوة تبوك فقال رَجَعْنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حَقَّ جِهَادِهِ اى جهادا
فيه حقّا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحقّ الى الجهاد مبا[redacted]هاد
الى الضمير اتّساعا او لانّه مختصّ باللّه من حيث انّه مفعول لوجه اللّه ومن اجله هُوَ اجْتَبَاكُمْ اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
حَرَجٍ اى ضيق بتكليف ما يشتدّ القيام به عليكم اشارة الى انّه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه
او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شقّ عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما
استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كلّ ذنب مخرجا بأن رخّص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفّارات فى حقوقه والأروش والديات فى حقوق العباد مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ منتصبة على
المصدر بفعل دلّ عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسّع دينكم توسعة ملّة ابيكم او على
الاغراء او على الاختصاص ، وانّما جعله اباهم لانّه ابو رسول اللّه صلعم وهو كالاب لأمّته من حيث انّه
سبب لحياتهم الابديّة ووجودهم على الوجه المعتدّ به فى الآخرة او لانّ اكثر العرب كانوا من ذرّيّته
فغلّبوا على غيرهم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ (٧٨) مِنْ قَبْلُ من قبل القران فى الكتب المتقدّمة وَفِي هَٰذَا
وفى القران ، والضمير للّه ويدلّ عليه انّه قرئ اللّهُ سمّاكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين فى القران وان
لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذرّيّتنا امّة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره
وفى هذا بيان تسميته ايّاكم مسلمين لِيَكُونَ الرَّسُولُ يوم القيامة متعلّق بسمّاكم شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
بانّه بلّغكم فيدلّ على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ بتبليغ الرسل اليهم فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فتقرّبوا الى اللّه تعالى بانواع
الطاعات لما خصّكم بهذا الفضل والشرف وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة
والنصرة الّا منه هُوَ مَوْلَاكُمْ ناصركم ومتولّى اموركم فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ هو اذ لا مثل له فى

جزء ١٧ الوالدة والمرضعة لا موتى ولا انشر سواه في الحقيقة • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر
ربع ١٧ كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى •

قد انتهى بعون الله وبتوفيقه المجلد الأول
ويتلوه ان شاء الله المجلد الآخر